

لأبي الفضل
عبد الله محمد الصدّيق الغماري
الحسني الإدريسي



كتاب

بدع التفاسير

لأبى الفضل

عبد الله محمد الصديق الغمارى

الحسنى الإدريسى

عفى عنه

نشر وتوزيع

دار الرشاد الحديثة

98 شارع فيكتور هيكو

الهاتف : 17 .748 ـ 56 .732

الدار البيضاء (03)

الطبعة الثانية 1406 — 1986

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا كِتَابٌ مَا سُبِقْتُ بِمِثْلِهِ
جَمُّ الفَوَائِدِ نَاضِجُ الثَّمَرَاتِ
مَهَّدتُ فِيهِ مَسَائِلاً وَقَوَاعِداً
تُغْنِي عَنِ التَّفْسِيرِ بَعْضَ هِنَاتِ
جَلَيْتُ فِيهِ حَقَائِقاً لَا يَنْبَغِي
جَهْلٌ بِهَا لِمُفَسِّرِ الآيَاتِ
مَيَّنْتُهُ « بِدَعَ التَّفَاسِيرِ » الَّتِي
جَاءَتْ مِنَ الأَقْوَامِ بِالعَثَرَاتِ
أَرْجُو مِنَ اللهِ الكَرِيمِ نَوَالَهُ
مَحْوَ الذُّنُوبِ وَمَنْحَ فَضْلِ هِبَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن أنزل الكتاب . تذكرة لأولى الألباب . ووفق لفهم ما أودع فيه من دقائق الخطاب . وأبقاه برهانا على صحـــة دينه إلى يوم الحساب . أحمده ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، شهادة عبد مخلص أواب . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، مؤيدا بالدلائل القاطعة للشك والارتياب صلى الله عليه وسلم . ماطلع نجم وغاب . ورضى عن آله الكرام ، وصحابته العظام ، ومن تبع هديهم إلى يوم المآب .

أما بعد فهذا مؤلف عجيب ، ليس له فى بابه ضريب ، تضمن التنبيه على بعض التفاسير المخطئة ، وقد تكون أحيانا خاطئة (١) يجب اجتنابها فى فهم كلام الله تعالى ، والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه ، لنبو لفظه عنها ، أو مخالفتها لما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسنة ، أو نحو ذلك . وسميته « بدع التفاسير » ، وهى عبارة الزمخشرى فى كشافه يقولها حين يحكى بعض تلك التفاسير . وان كان هو نفسه قد وقع فى بعضها بسبب عقيدته الاعتزالية التى كان صلبا فيها ، متمسكا بها إلى حد التعصب والاعتساف . جريا فى القول بمقتضاها ، حتى صدرت عنه عبارات غير لائقة (٢) أو بسبب غلطه فى الاعراب ، أو مخالفته لسبب النزول . ولم

---

(١) أى آثمة ، والمراد أصحابها . أى انهم آثمون . قال تعالى (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) وفى الحديث «لا يحتكر الا خاطىء» ، وأغلب كتاب مصر وأدبائها يستعملون لفظ « خاطىء » بمعنى « مخطىء » ، فيقولون : أفكار خاطئة يقصدون مخطئة . وهذا من جملة الأغلاط التى ذل بها لسانهم ومرن عليها قلمهم .

(٢) وسماه العلامة الفقيه أحمد بن حجر الهيتمى فى مبحث التكذيب بالقدر من الزواجر : حامل راية المعتزلة إلى النار . وما يقال عن توبته من الاعتزال ورجوعه عنه ، غير صحيح .

أقصد بهذا المؤلف استيعاب التفاسير المخطئة والخاطئة فإن ذلك غير متيسر لى الآن . وإنما قصدت ذكر مثُل تكون نموذجا لمالم يذكر ، وعنوانا عليه . ويمكن أن أحيل القارىء على نوعين من كتب التفسير :

أحدهما : تفاسير المعتزلة ، كتفسير أبى مسلم محمد بن بحر الأصفهانى ، وتفسير أبى الحسن على بن عيسى الرمانى ، وتفسير أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى ، وغيرها من التفاسير التى تكثر فيها البدع ، لسببين :

الأول : أن أصحابها جرآء على القول فى التفسير بالرأى ، لاتردعهم هيبة القرآن ، ولا خشية من منزّله ، وإذا عورضوا بحديث صرح فى آية بخلاف مافسروه بها ، سارعوا إلى الطعن فيه وانكار صحته ، كحديث صهيب - فى صحيح مسلم - عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أن الزيادة : النظر إلى الله تعالى ، فقد طعنوا فيه ، ونسبوه إلى المشبهة والمجبرة (١) يعنون أهل السنة ، لأنه خالف تفسيرهم الزيادة بالتفضل الزائد على الثواب ، مع أن النظر تفضل بل هو أعلى أنواعه . فكم من حديث متفق على صحته ، أو مستفيض ، أو متواتر . كان نصيبه عندهم الرفض المطلق ، لمجيئه بخلاف ما رأوه وقرروه .

والثانى : أنهم جعلوا قواعد مذهبهم فى العدل وخلق القرآن ، وخلق المكلف أفعاله ، ونفى الكلام النفسى ، ونفى تعلق المشيئة الإلهية بالمعاصى والمباحات واستحالة رؤية الله تعالى ، وخلود العاصى فى النار مثل الكافر .

---

(١) قال الزمخشرى فى الكشاف : وزعمت المجبرة : أن الزيادة هى النظر إلى وجه الله تعالى ، وجاءوا بحديث مرقوع . قال الطيبى فى حاشيته : قوله : مرقوع ، هو عنده بالقاف أى مرقع معدل ، وهو عند أهل السنة بالفاء اه والمجبرة بضم الميم وسكون الجيم وكسر الباء ، نسبة إلى القول بالجبر ، وهذا الاسم يطلقه المعتزلة على أهل السنة .

أصولا مسلّمة ، أولوا ظواهر الآيات ، وخصصوا بها عمومات القرآن ، وقيدوا مطلقه ، وبالجملة جعلوا قواعدهم حاكمة على آى القرآن الكريم ، بحيث لا تفيد إلا مذهبهم ! ! وتفسير الكشاف ، شاهد صدق على ما نقول .

ثانيها : تفاسير بعض المعاصرين . وهى :

(١) المصحف المفسر ، لمحمد فريد وجدى .

(٢) أوضح التفاسير ، لمحمد عبد اللطيف الخطيب .

(٣) تفسير أبى زيد الدمنهورى .

(٤) تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم ، لعبد الجليل عيسى . فإن فيها كثيرا من بدع التفاسير ، وأكثرها بدعا ، وأشدها وقاحة : الثانى (١) والثالث ولا يقل عنها ما كتبه محمود شلتوت فى التفسير ، وعبد الوهاب النجار فى قصص الأنبياء . ولقد بلغ من جراءة الأخير فى بدعته ، أنه يذكر الحديث عازيا له إلى الصحيحين . أو أحدهما ، ويكون مخالفا لرأيه ، فيعلق عليه بالرد ، وقد يصحب رده بالطنز والسخرية ، كما فعل بحديث فرار الحجر بثوب موسى عليه السلام (٢) ولا حظت على عبد الجليل عيسى

---

(١) على أنه وفق فى كتابة بحثين اثنين هما الدفاع عن تعدد الزوجات فى الإسلام ، والدفاع عن تعدد أزواج النبى عليه الصلاة والسلام .

(٢) كان اليهود يغتسلون عراة ، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده لئلا ترى عورته فاتهموه بالأدرة — وهى انتفاخ الخصية — وأراد الله أن يبرئه مما رموه به فذهب يغتسل منفردا على عادته ، ووضع ثيابه على حجر ، ولما اغتسل وأراد لبس ثيابه جرى الحجر بها وموسى يجرى خلفه ، حتى مر على ملأ من بنى اسرائيل . فرأوه عاريا ليس به داء ، وتحققوا من كذبهم فيما رموه به . ثبت هذا الحديث فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقد ذكره النجارى فى قصصه وعلق عليه بعبارة فيها سخرية ، حيث تعجب كيف تحصل المعجزة بغير =

فى تفسيره أنه إذا كان فى الآية رأيان ، يختار منهما : الذى لايكون فيه فضل للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتنويه عنه ولنذكر لذلك مثلين حضرانى :

(١) قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية .. جمهور المفسرين على أنها تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الله أخذ الميثاق على النبيين — إن ظهر فى زمنهم — أن يؤمنوا به وينصروه . لعموم دعوته ، ولأن الله أخبر بأن إبراهيم واسماعيل ، وهما يبنيان البيت ، بشرا به فى صورة دعاء ، كما جاءت البشارة به وبصفاته فى التوراة والإنجيل ، بل جاءت فيهما صفات صحابته أيضا (١) وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد أن الله أخذ الميثاق على كل نبي فى النبي الذى يأتى بعده .

= ارادة النبي ، بل بالرغم منه ؟ ! ! لكنه جهل الفرق بين المعجزة والآية فى عرف العلماء فانهما — وان اتفقا فى كونهما خارقين للعادة — تنفرد المعجزة بأنه يقصد بها التحدى ، فلا تكون الابطلب من النبي ، والآية لايقصد بها ذلك ، فلا يلزم أن تكون بطلبه ولابإرادته . فانقلاب العصا ثعبانا آية ومعجزة لأنه قصد به التحدى ، وانفلاق البحر آية ، لأنه قصد به انجاء موسى ومن معه ، وليس بمعجزة لأنه لم يقصد به التحدى . وفرار الحجر بثوب موسى آية قصد به تبرئته ، وليس بمعجزة لعدم التحدى . وانشقاق القمر آية ومعجزة أيضا ، لأنه وقع بطلب النبي صلى الله عليه وسلم تحديا للمشركين ، ونبع الماء من الأصابع الشريفة آية ، لأنه وقع إسعافا للصحابة بالماء فى وقت لم يجدوه فيه ، وليس بمعجزة لعدم التحدى . وحمل مريم كان آية قصد به اظهار قدرة الله فى ايلاد البنت من غير مسيس ذكر . وقد حصل كرها عنها ، حتى قالت . ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . لكنه ليس بمعجزة ، لعدم نبوة مريم . وكلام عيسى فى المهد آية ، حصل لتبرئة مريم وليس بمعجزة لعدم التحدى . وقد قال تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) فكل معجزة آية ، وليست كل آية معجزة .

(١) اقرأ قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية إلى آخر السورة ، وليس فى القرآن آية جمعت حروف المعجم غير هذه الآية .

واختاره عبد الجليل عيسى ، مع أنه ضعيف لأنه لم يثبت أن نبيا بشر بنبي بعده ، ولا يعقل ذلك ، لأن كل نبي إنما يبعث لقومه خاصة . وإنما جاءت البشارة بعيسى فى كتب اليهود لأنه بعث مصدقا بالتوراة ، متمما لشريعتها .

(٢) قوله تعالى (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون) قال ابن عباس أقسم الله بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الراجح فى الآية ، لوجوه منها : سلامته من التقدير الذى هو خلاف الأصل . وقيل : قسم من الملائكة بحياة لوط عليه السلام .

والتقدير : قالت الملائكة تخاطب لوطا : لعمرك أنهم لفى سكرتهم يعمهون . وهذا الرأى - مع ضعفه من وجوه - اختاره عبد الجليل عيسى وأغلب البدع الموجودة فى تفاسير المعاصرين ، منشأها الجهل بأصول علم التفسير وقواعده ، أو الحرص على الظهور بمظهر المستنير الرأى ، النابذ للتقليد . ومن هنا كانوا خاطئين ، لأنهم أقدموا على التفسير بجهل أو بسوء نية وسيلقون جزاء ما كتبوه عند الله تعالى ، وهو المسئول أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا إلى التمسك بالسنة ويحشرنا فى زمرة أهلها ، إنه قريب مجيب .

مقدمة

تشتمل على مسائل هامة ، تنفع الناظر في هذا الكتاب خاصة وفي كتب التفسير والحديث عامة .

— ١ —

ألفاظ القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة لها حالتان :

الحالة الأولى : أن يمتنع حملها على المجاز . وهي نوعان :

أحدهما : أن تكون متعلقة بالتوحيد والإيمان ، مثل سورة الإخلاص والكافرون والنصر وآية المواريث وسائر آيات الأحكام . فهذه تحمل على حقائقها الشرعية كالإيمان والإسلام والصلاة والزكاة والصيام والحج ، فإن لم يكن لها حقيقة شرعية ، حملت على الحقيقة اللغوية ، كالنكاح والطلاق والظهار والقروء في العدة ، والبعث بعد الموت ، والعذاب والنعيم ، فدخول المجاز في هذا النوع ممتنع ، لأنه ينافي الغرض من التكليف ، ويؤدي إلى مفاسد عظيمة ، أعظمها : تعطيل الشريعة .

ثانيهما : أن تكون في سياق الحديث عن الأمم السابقة ، مثل مايحكيه الله تعالى عن قوم نوح ، وقوم فرعون ، وبني اسرائيل ، فهذه تحمل على حقيقتها ، ويمتنع فيها المجاز ، لما سيأتي بيانه في سورة هود بحول الله تعالى .

الحالة الثانية : أن يمتنع حملها على الحقيقة ، نحو (الرحمن على العرش استوى ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، فإنك بأعيننا ، وجاء ربك والملك صفا صفا) ونحو قوله عليه السلام « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، إن الله لاينام ولاينبغي له أن ينام ، بيده الميزان يخفض القسط

ويرفعه ، ان قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، فالحقيقة هنا ممتنعة ثم اختلف العلماء على مذهبين معروفين :

تفويض المعنى المراد منها إلى الله تعالى ، وهو مذهب السلف ، أو تأويلها بمعان مجازية معروفة فى لغة العرب ، وهو مذهب الخلف إلا أن قليلا من جهلة المجسمة حملوها على حقيقتها ، فوصفوا الله باليدين والأيدى والأعين والاستواء والمجيء ، حتى قال قائل من زعمائهم : أصف الله بكل ماورد ، ماعدا اللحية والعورة ، لعدم ورودهما ، ووجدت ابن القيم يقول فى كتابه «زاد المعاد» : وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية ، يذكر فى سبب الذؤابة - العذبة - شيئا بديعا ، وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذى رآه فى المدينة ، لما رأى رب العزة تبارك وتعالى ، فقال «يامحمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لاأدرى يارب ، فوضع يده بين كتفى ، فعلمت ما بين السماء والأرض» الحديث ، وهو فى الترمذى ، وسئل عنه البخارى ، فقال صحيح قال : فمن تلك الليلة أرخى الذؤابة بين كتفيه ، وهذا من العلم الذى تنكره ألسنة الجهال وقلوبهم ، ولم أر هذه الفائدة فى اثبات الذؤابة لغيره . اهـ .

قلت : إن كان نفى صفات المخلوقات عن الخالق سبحانه وتعالى جهلا . فالجهل خير من علم يصف الله باليد ، وبمماستها كتف نبيه ، حتى اتخذ الذؤابة ستراً لذلك المحل الذى مسته يد الله !!! ويكفى دليلا على بدعية هذه الفائدة ، شهادة ابن القيم بأنه لم يرها لغير شيخه ، أى أنه تفرد بها ، لأنه يميل إلى التجسيم ، والعجيب إبداء تلك الفائدة المبتدعة من غير استناد إلى حديث يؤيدها ، أو رواية تاريخية تعضدها ! بل الذى أثبته التاريخ : أن الذؤابة عادة عربية ، كان العرب يتقون بها حر الشمس فى أقفيتهم وأكتافهم ، ولذلك لم يواظب عليها النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا صح فى فضلها حديث ووجدت أيضا ابن عبدالهادى المقدسي الحنبلى - وهو من تلاميذ ابن تيمية -

ذكر فى « الصارم المنكى » حديث « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا » الحديث ، وحكى خلاف المتقدمين ـ يعنى من مجسمى الحنابلة ـ هل يخلو منه العرش إذا نزل ؟ فقال قوم منهم : نعم يخلو منه ، لأنه إذا نزل فقد بارحه ! ولا يعقل أن يكون فى مكانين فى وقت واحد ! ! وقال آخرون : لا يخلو منه لأنه لو خلا منه لزم أن يكون العرش وبعض السموات أعلى منه حين نزوله إلى السماء الدنيا ، مع أنه العلى على مخلوقاته ! ! فهذا هو العلم الذى يصف ابن القيم من ينكره بأنهم جهال ، ونحن نحمد الله على هذا الجهل ، ونسأله الثبات عليه حتى نلقاه .

— ٢ —

يجب على المتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يتجرد من الآراء المذهبية ، ويوطن نفسه على تقبل ماتفيده الآية ، وتدل عليه ، ويرجع عما كان يراه أو يعتقده بخلافها ، لأن القرآن حجة الله على خلقه ، وعهده إلى عباده ، إليه يتحاكمون ، وعن حكمه يصدرون ، ولا يجوز له أن يتمحل فى فى تأويل الآية ، ويتطلب الوجوه البعيدة فى الإعراب ، أو يحملها على المعانى التى لا تتفق مع سياقها ، أو سبب نزولها لتفيد رأى فلان ، أو عقيدة فلان ، فإن هذا تحريف لكلام الله تعالى ، وتغيير لمعانيه ، وهو منشأ بدع التفاسير ، وسبب هام لكثرة وقوعها فى تفاسير المعتزلة كما مرت الإشارة إليه ، ويرتكب هذا من أهل الحديث : الحافظ الطحاوى الحنفى ، فإنه يتعسف فى تأويل الأحاديث ، ويسرف فى التعسف ، لتوافق مذهب أبى حنيفة ، وقد يرتكب البيهقى مثل هذا بالنسبة لمذهب الشافعية ، لكن على قلة ، ورأيت الباجى فى شرح الموطأ — حين تكلم على حديث « كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير حرام » ، قال : يحتمل

أن يريد بقوله «حرام» أنه مكروه، قلت: هـذا تعسف فى شرح الحديث، ليوافق مذهب المالكية فى كراهة أكل السباع، ولم أقف له على غير هذا الموضع.

- ٣ -

مما يجب على المفسر فى تفسيره أمور:

أحدها: ألا يخالف ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير آية؛ كتفسيره المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، وهو قليل، وفى عزمى أن أجمعه فى كتاب خاص، وفق الله إلى ذلك وأعان عليه، أما تفسير الصحابى أو التابعى - إن كان يستند إلى ذكر سبب النزول - فيجب اتباعه؛ لأنه فى حكم المرفوع، كقول جابر: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته فى قبلها من جهة دبرها، جاء الولد أحول، فأنزل الله تعالى رداً عليهم (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) وهذا يعين أن معنى (أنى): كيف، لا: أين، ويكون تفسيرها بأين من بدع التفاسير. وان لم يستند إلى ذلك فينبنى على الخلاف فى حجية قول الصحابى(١).

ثانيها: أن يفسر الآيات بالمعانى التى كانت معروفة للعرب وقت نزوله، حقائق كانت أو مجازات. لقوله تعالى (إنا أنزلناه قرآنا عربيا) فيجب فهمه فى حدود قواعد اللغة العربية، وأساليبها المعهودة لهم ولا يجوز تفسيره بمعان مستجدة، حدثت بعد التنزيل، ومن فسره بها فقد زعم أن القرآن خاطب العرب بما لم يفهموه، ولا عرفوه، وكان تفسيره من بدع التفاسير،

---

(١) على أن معظم الأصوليين والمفسرين أوجبوا اتباع تفسير الصحابى مطلقا، لأنه شاهد التنزيل، وعرف من القرائن الدالة على تعيين المعنى المراد مالم نعرفه، وانظر أوائل تفسير ابن كثير.

ومن يسلك هذا : محمد عبده فى تفسيره، وعبدالوهاب النجار فى قصص الأنبياء .

ثالثها : أن يجتنب تفسير ألفاظه باللغات الغريبة أو تخريج اعرابه على الوجوه الضعيفة ، أو الشاذة ، بحسب القواعد النحوية . لأن ذلك ينافى فصاحة القرآن ، التى هى خلوص كلماته من الغرابة والتنافر والتعقيد . ولا شك أن حمل الكلمة على لغة غريبة ، أو تخريج الكلام على اعراب ضعيف أو شاذ ، يورث تنافرا فى الكلمات ، وضعفا فى التركيب . وكثيرا مايحمل بعض المعتزلة ألفاظا من القرآن ، على لغات غريبة نادرة ، سيأتى التنبيه على بعضها بحول الله تعالى .

١ — من سورة البقرة

قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم) ذكر الزمخشرى فى هذه الآية وجوها من التأويل ، تتضمن جميعها نفى اسناد الختم إلى الله حقيقة ، وانما هو على سبيل التمثيل أو المجاز ، وأن الخاتم فى الحقيقة هو الشيطان أو الكافر . وليس لله تعالى فعل فى تجافى قلوبهم عن الحق ، ونبوها عن قبوله . وهو تفسير اعتزالى ، فيه اعتساف وانحراف عن مدلول اللفظ . وأدلة الكتاب والسنة متضافرة على اسناد الختم والطبع إلى الله تعالى ، والأصل فى الإسناد الحقيقة . والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « بعثت داعيا وليس إلىّ من الهداية شىء وجعل الشيطان مزينا وليس له من الضلالة شىء » والشيطان نفسه يقول يوم القيامة (وماكان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى) وفسر الزمخشرى دعوته بمجرد الوسوسة والتزيين . وما أورده لتأييد تأويلاته ، معارض بمثله . وليس غرضنا أن نفيض فى بيان المعارضة ، ووجوه الاحتجاج . ولكن غرضنا أن نقول : تفسيره هذا من بدع التفاسير . لأنه تغيير لمعنى الآية ، وعدول عما يقتضيه ظاهرها ، لتتمشى مع مذهبه وعقيدته .

قوله تعالى (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) قال الزمخشرى أيضا :

وإسناد الإضلال إلى الله تعالى، إسناد الفعل إلى السبب، لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم، واهتدى به قوم، تسبب لضلالهم وهداهم. وعن مالك ابن دينار رحمه الله تعالى: أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه، وقيد، فقال: يا أبا يحيى أما ترى مانحن فيه من القيود؟ فرفع مالك رأسه، فرأى سلة فقال: لمن هذه السلة؟ فقال: لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة، فقال مالك: هذه وضعت القيود في رجلك. اه

قلت: هذا التفسير على نمط سابقه، وهو مبني على مذهب المعتزلة أن العبد يخلق أفعاله. وقد أساء بذكره قصة السلة، تنظيراً لله تعالى، وله من هذه التفاسير البدعية كثير، ليس غرضنا استقصاءها، وانما ذكرنا هذين المثالين، ليستدل بهما على غيرهما.

قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين [1]) معنى الآية: أن الله تعالى علم آدم أسماء المسميات كلها مثل جبل، وشجر، وبيت، وإنسان، وقصعة. إلى آخرها من أجناس وأنواع.

ومن بدع التفاسير: علمه أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء الأئمة من ولده، نقله الشريف المرتضى في أماليه، وقال: وفيه أحاديث مروية. قلت: المرتضى شيعي امامي، والإمامية يقولون بإمامة اثنى عشر من أهل البيت، فكأن الله تعالى علم آدم أسماء ثلاثة عشر رجلا!! ويقال على هذا:

---

(١) هذه الآية من أدلة القائلين بأن اللغة توقيفية، كما يدل لهم أيضا حديث أبي داود والترمذي، قال الله عز وجل: «أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي» الحديث، ولهذا البحث بقية تنظر في المزهر للسيوطي، وارشاد الفحول للشوكاني.

مافائدة التأكيد بلفظ (كلها) ؟ والأحاديث التى أشار إليها المرتضى ، ساقطة ، لاتقوم بها حجة .

قوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) أى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل ، وهى التوراة . ونحوه قوله تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) أى الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا . فالنسق فى الآيتين لجمع الصفات ، كقولك : رأيت الغيث والليث ، تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة .

وقيل : الكتاب التوراة ، والفرقان انفراق البحر لموسى عليه السلام .

وقيل : الفرقان : الفرق بين الحلال والحرام . أو : الفرق بين موسى وأصحابه المؤمنين ، وبين فرعون وأصحابه الكافرين ، باغراق هؤلاء ، وانجاء أولئك . وقيل : البرهان الفارق بين الإيمان والكفر ، من العصا واليد وغيرهما .

ومن بدع التفاسير : أن المراد بالفرقان القرآن ، والتقدير : وإذآتينا موسى التوراة والإيمان بالقرآن ، لأن موسى عليه السلام كان مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ومبشرا ببعثته . وفى هذا الوجه حذف لفظ الإيمان ، من غير دليل يدل عليه ، وحذف حرف الجر من الفرقان ، ونصبه بنزع الخافض وهو شاذ لايقاس إلا فى أنّ وأنْ .

أو المراد : القرآن أيضا ، والتقدير : وإذ آتينا موسى الكتاب ، وآتينا محمدا الفرقان .

فهو كقول الشاعر :

علفتها تبناً وماء بارداً حتى غدت همالة عيناها

أى : وسقيتها ماء باردا . فدل علفت على سقيت ، كما دل فى الآية : آتينا موسى على آتينا محمدا ، وهذا ضعيف مردود ، لأن « علفتها » فى معنى غذيتها فصح عطف « ماء » على « تبنا » لأنه مما يتغذى به ، والآية لا يصح فيها ذلك بحال ، وضعفه أبو بكر ابن الأنبارى من جهة أخرى فقال : ان الاستشهاد بالبيت لا يجوز على هذا الوجه ، لأن البيت اكتفى فيه بذكر فعل عن ذكر فعل غيره ، والآية اكتفى فيها باسم دون اسم . وتوضيح كلامه ، أن موضوع الكلام فى البيت متحد ، وهو الناقة . فجاز حذف الفعل ، لأن وحـــدة الموضوع دلت عليه ، والآية ليست كذلك ، إذ موضوع الكلام فيها متعدد فموسى المخبر عنه بايتائه الكتاب ، غير محمد صلى الله عليه وسلم المخبر عنه بايتائه الفرقان ، فلذا لم . يجز حذفه قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخـــاذكم العجل) إلها (فتوبوا إلى بارئكم) خالقكم من عبادته . واختير لفظ بارئكم تنبيها على غباوتهم حيث تركوا عبادة الخالق إلى مخلوق (فاقتلوا أنفسكم) أى ليقتل البرىء منكم المجرم ، فأرسل الله عليهم سحابة سوداء ، لئلا ينظر بعضهم بعضا فيرحمه . فقتل منهم نحو سبعين ألفا ، فتاب الله عليهم ، كما فى بقية الآية . وليس بكثير عليهم القتل ، لأنهم ارتدوا بعد إيمانهم [1] وكفروا بعد ماشاهدوا من الآيات ، مايخشع لها قلب الجاحد العنيد .

---

(١) وفى شريعتنا الإسلامية يقتل المرتد ، لحديث البخارى « من بدل دينه فاقتلوه » لكن بعد امهاله ثلاثة أيام واستتابته فيها من غير تضييق عليه ولا اضطهاد له . وليس قتل المرتد من الاكراه فى الدين كما يقول مبتدعة العصر وملاحدته ، لكن من اعتنق الاسلام واقتنع بأدلته خصوصا القرآن الكريم ، ثم رجع عنه ، يكون متلاعبا ، أو قاصدا افساد عقيـــدة بعض المسلمين الذين تصلهم به قرابة أو صداقة أو معاملة ، فكان القتل عقابه كما عوقب الزانى المحصن بالرجم . وبعض الدول الكبيرة فى هذا العصر تقتل السارق أو المتلاعب فى التموين حماية للشعب فكيف يعاب على الإسلام أن يسن تشريعا يحمى عقيدة المسلمين ممن يتلاعب بها ؟!! والعقيدة أهم من القوت وأسمى من المال .

ومن بدع التفاسير : قول المرتضى . (فاقتلوا أنفسكم) معناه : اجتهدوا فى التوبة مما أقدمتم عليه . والندم على مافات . وإدخال المشاق الشديدة عليكم فى ذلك ، حتى تكادوا أن تقتلوا أنفسكم . وقديسمى من فعل مايقارب الشيء باسم فاعله ، ومذهب أهل اللغة فى ذلك معروف مشهور . يقولون : ضرب فلان عبده حتى قتله ، وفلان قتله العشق ، وأخرج نفسه ، وأبطل روحه . قلت : هذامعنى مجازى ، والمجاز لايدخل فيما يحكيه القرآن عن الأمم السابقة ، لما بيناه فى سورة هود .

قوله تعالى (واتبعوا) أى اليهود . والمعنى : نبذوا كتاب الله واتبعوا (ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان) أى على عهد ملكه وفى زمانه . وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ، ويضمون إلى ماسمعوا أكاذيب يلفقونها ثم يلقونها إلى الكهنة ، وقد دونوها فى كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك فى زمان سليمان عليه السلام ، حتى قالوا : أن الجن تعلم الغيب . وكانوا يقولون : هذاعلم سليمان ، وماتم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم . فاتبعوا كتب السحر . ورفضوا كتب أنبيائهم (وماكفر سليمان) بعمل السحر . تكذيب للشياطين واليهود ، وتبرئة لسليمان مما رموه (ولكن الشياطين) هم الذين(كفروا) باستعمال السحر وتدوينه . حال كونهم (يعلمون الناس السحر) يقصدون به اغواءهم واضلالهم (و) يعلمونهم (ما) أى السحر الذى (أنزل على الملكين) الكائنين (ببابل) بلد بالعراق ، وهذا البلد ومصركانا أكثر البلاد استعمالا للسحر ، وأكثرهاتروبجاله ، فبعث الله موسى إلى أهل مصر ، أبطل سحرهم بعصاه ، حتى صـــار من الأمثال السائرة ، قول الشاعر :

إذا جاء موسى وألق العصا فقد بطل السحر والساحر

وبعث فى بابل (هاروت وماروت) يعلمان الناس السحر ، ليعلموا الفرق

بينه وبين المعجزة ، وليعلموا أن الساحر صنو الشيطان ، وأن النبي مؤيد من الرحمن ويؤخذ منه أن تعلم السحر لمثل هذه المصلحة جائز (وما يعلمان من أحد حتى) ينصحاه ، و (يقولا له إنما نحن فتنه) ابتلاء من الله وامتحان (فلا تكفر) فلا تتعلمه معتقدا أنه حق فتكفر (فيتعلمون منهما) فيتعلم الناس من الملكين (مايفرقون به بين المرء وزوجه) أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه ، كالنفث فى العقد ونحوه مما يحدث الله عنده الفرك (١) والنشوز والخلاف (وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) بارادته . هذا تفسير هذه الآية تفسيرا يلائم سياقها ويقتضيه نظمها من غير تكلف . وقيل فيها : وجوه من التأويل تعتبر من بدع التفاسير ، ونحن ننبه عليها بحول الله تعالى .

فقيل فى (ما أنزل) إنه فى محل جر ، معطوف على (ملك سليمان) والمعنى : واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وماكفر سليمان ولاأنزل الله السحر على الملكين - وهما جبريل وميكائيل - ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت . وهما رجلان لاملكان ، ذكرا بعد الناس تبيينا وتمييزا لهما . وهذا التأويل فساده ظاهر ، لأن فيه تفكيكا لنظم الآية ، وتعقيدا لمعناها وإلحاقا لها بالألغاز والمعميات .

وقيل : يجوز أن يكون هاروت وماروت بدلا من الشياطين ، والمعنى : ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ، وهذا فاسد كسابقه .

وقيل : أن « ما » فى قوله (وما يعلمان) نافية والمعنى : أنهما لايعلمان أحدا ، بل ينهيان عنه . ويبلغ من نهيهما وصدهما عنه أن يقولا (إنما نحن فتنة فلا تكفر) باستعمال السحر . وهذا باطل أيضا ، لأن (حتى يقولا) تقتضى أنهما يعلمانه بعد تحذيره ونصحه ، فهى غاية لامتناع التعليم .

---

(١) البغض . يقال : فركت المرأة زوجها ، أبغضته .

وإذا كانا لايعلمانه أصلا ، فلم كانا فتنة ؟! وهل يعقل أن يكون مجرد وجودهما فتنة ؟!.

وقيل ـ تفريعا على هذا التأويل الباطل ـ : (فيتعلمون منهما) أي من الكفر والسحر المفهومين مما سبق (مايفرقون به بين المرء وزوجه) وهذا واضح البطلان ، لايحتاج إلى بيان . وكيف يتعلم الإنسان من الكفر أن يفرق بين المرء وزوجه ؟!!.

قيل أيضا : ويجوز أن يكون معنى (فيتعلمون منهما) فيتعلمون بدلا مما علمهم الملكان ، أي يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان في النهي عن السحر إلى تعلمه . ويكفي في رد هذا التأويل ما فيه من التكلف الزائد . على أن (من) تكون بمعنى : بدل ، إذا وقعت بين شيئين تصح فيهما المعاوضة نحو (أرضيتم بالحياة الدنيامن الآخرة) فالحياة الدنيا والآخرة ، يصح التبادل والتعاوض بينهما . ولكن لايصح التبادل بين الملكين وعلم السحر . ثم يجب أن يكون الفعل مؤذنا بمعنى البدلية ، مثل فعل « رضيتم » فانه يؤذن بأنهم رضوا بشيء بدلا عن آخر . لكن فعل « يتعلمون » لا يؤذن بذلك .

وقيل : يجوز أن يكون قوله (وما يعلمان من أحد حتى يقولا) راجعا إلى هاروت وماروت ، على أنهما من الشياطين كما مر ، أو رجلان كما مر أيضا ، ومعنى قولها (إنما نحن فتنه فلا تكفر) يكون على سبيل الاستهزاء كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحا : هذا فعل من لا يفلح ، لا يقصد النصح ، لكن على وجه المجون والاستهزاء ، ويرده أن هاروت وماروت ملكان ، لايجوز في حقهما الاستهزاء ، والقول بأنهما شيطانان ساقط ، لا دليل عليه ، ومن قال . رجلان ، استند إلى قراءة (الملكين) بكسر اللام ، وهي قراءة شاذة ، وهي هنـــا مردودة ، لأن القراءة المتواترة تعارضها .

وقيل : ـ تفريعا على جعل (وما أنزل على الملكين) للنفي : ـ يكون

الضمير فى قوله (وما يعلمان من أحد) يعود على قبيلتين من الجن ، أو إلى شياطين الجن والإنس وفيه تشتيت الكلام ، وعود الضمائر إلى مالم يذكر .

وقيل : معنى (مايفرقون به بين المرء وزوجه) إنهم يغوون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى ، فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المقيم على دينه . فيفرق بينهما اختلاف الملة . وهذا باطل لوجهين :

أحدهما : أن الملكين لم يكونا يعلمان كيفية اغواء الناس وحملهم على الشرك . وإنما كانا يعلمان السحر ، ليفرق بينه وبين المعجزة ، وليعرف شره فيتقى .

ثانيهما : أن التفريق بين الزوجين لاختلاف الدين . لم يثبت أنه كان معمولا به فى بابل ، حين كانا يعلمان السحر .

وقيل : معناه : يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية ، حتى يئول أمرهما إلى الفرقة . وهذا باطل أيضا ، لأن الملكين لم يعلما النميمة والوشاية ولا جاء ما يدل على ذلك . على أن النميمة ليست علما له قواعد ، كعلم السحر .

وقيل : كلمة « الا » زائدة ، والمعنى وماهم بضارين به من أحد بإذن الله وهذا باطل بوجهين :

أحدهما : أن دعوى زيادة كلمة فى القرآن ، تخريج له على وجه ضعيف وهو لايجوز .

ثانيهما : أن المعنى على اثباتها لأن ماعلم بالضرورة والمشاهدة أن المسحور قد يحصل له ضرر في جسمه أو عقله ، فأخبرت الآية أن ما يحصل من ذلك الضرر ، لا يكون إلا بإذن الله تعالى .

وقيل فى (وما هم بضارين به من أحد) : أن يكون الضرر هو ما يلحق

المسحور من الأدوية والأغذية التي يطعمه إياها السحرة ، ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور. وهذا ليس بشيء،لأن السحرة لايطعمون المسحور أدوية ولا غيرها . وانما يعملون عملهم من نفث فى العقد ونحوه، فيحصل الضرر باذن الله . وربما لايحصل ضرر إذا كان المسحور قوى الروح ، أو يتحصن بسورتى المعوذتين . ونحوهما .

« تنبيه » تكلمت على قصة هاروت وماروت فى كتاب « قصة ادريس » فليراجعها من أرادها ، هناك .

قوله تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) جملة واحدة إلى السماء الدنيا ، ثم نزل بعد ذلك مفرقا حسب الأسباب والمقتضيات (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ثناء على القرآن ، ومدح لرمضان بانزاله فيه ، وهذا التفسير هو المشهور .

وقيل . معنى (أنزل فيه القرآن) : أنه أنزل فى فرضه وإيجاب صومه ، فيكون (فيه) للسببية ، كما يقال : أنزل الله فى الصلاة كذا ، أى لأجل الصلاة . وهو مردود بوجهين .

أحدهما : أنه بعيد من مدلول لفظ الآية ، مناف لسياقها .

ثانيهما : أن القرآن أنزل فى إيجاب الصلاة والزكاة والحج والجهاد ، فما الحكمة فى تخصيص رمضان بأن القرآن أنزل فى إيجابه .

ووجه ثالث ، ذكره الشريف المرتضى ، فقال : هذا التأويل انما هرب متكلفه من شيء ، وظن أنه قد اعتصم بتأويله عنه ، وهو بعد ثابت على ما كان عليه . لأن قوله (القرآن) إذا كان ظاهره يقتضى إنزال جميع القرآن ، فيجب على هذا التأويل أن يكون قد أنزل فى فرض رمضان جميع القرآن . ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يتضمن إيجاب صوم رمضان ، وأن أكثره خالى من ذلك . فان قيل : المراد بذلك أنه أنزل فى فرضه شيء من القرآن ، وبعض منه قيل : فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه أنزل فيه

شيء من القرآن : في شهر رمضان . ولم يحتج إلى أن يجعل لفظة (فيه) بمعنى في فرضه وإيجاب صومه اه وبالجملة هو من بدع التفاسير.

قوله تعالى (فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم) أى وابتغوا بمباشرتهن ماكتب الله لكم من الولد ، ولا تقصدوا قضاء الشهوة وحده ، أو : وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحلله ، وهو الفرج . دون مالم يكتب لكم حله وهو الدبر ، أو : وابتغوا ماكتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر وقيل : واطلبوا ليلة القدر ، وماكتب الله لكم من الثواب ان أصبتموها وقمتموها . قال الزمخشرى : وهو قريب من بدع التفاسير . قلت: لم يجعله منها ، لأن صدر الآية مفتتح بإباحة الجماع ليلة الصيام فى رمضان ، كما أن سياق الآيات قبله فى رمضان أيضا ، ومع هذا فهو بعيد من مدلول اللفظ ، ومن السياق الذى يقتضى إباحة بعد حظر ، قوله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ،وأتوا البيوت من أبوابها) كان العرب فى الجاهلية ، إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، ودخلوا من ظهورها بنقب يحدثونه فى الجدار إلا قريشا لأنهم سكان الحرم ، وجيران البيت . فنزلت الآية تبين بطلان هذا العمل ، وأنه لا بر فيه . هذا ماصح فى سبب نزول الآية ، وهو يتمشى مع سياقها . فانهم لما سألوا عن الهلال ، واختلاف أحواله . أنزل الله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) وأعقبه بقوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) حين احرامكم بالحج (ولكن البر) بر (من اتقى) الله (وأتوا البيوت) إذا أحرمتم بحج أو عمرة (من أبوابها) وهذا المعنى واضح .

وقال أبو عبيدة : معنى الآية : ليس البر بأن تطلبوا الخير من غير أهله ، وتلتمسوه من غير بابه (وأتوا البيوت من أبوابها) واطلبوا الخير من وجهه ، ومن عند أهله .

وقال أبو على الجبائى : خرج هذا الكلام مخرج ضرب المثل ، والمعنى :

ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته ، لأن اتيانه من خلاف جهته ، يخرج الفعل عن حد الصواب والبر ، إلى الإثم والخطأ . وبين البر والتقوى ، وأمر باتيان الأمور من وجوهها . وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلا . لأن العادل في الأمر عن وجهه ، كالعادل في البيت عن بابه . حكى هذين التأويلين المرتضى في أماليه ، وحكى بعدهما تأويلا ثالثا . وهو :

أن تكون البيوت كناية عن النساء ، ويكون المعنى : وأتوا النساء من حيث أمركم الله ، والعرب تسمى المرأة بيتا . قال الشاعر :

مالى إذا أنزعها (١) صأيت ؟ أكبر غيرنى أم بيت ؟

أراد بالبيت المرأة . قلت : الوجه الذى ذكرناه أولا هو الصحيح .

والوجهان بعده لايناسبان سياق الآية ، فهما قريبان من بدع التفاسير أما الوجه الأخير ، فردود لوجهين .

أحدهما : أنه لايوافق سبب النزول ، ولا يتمشى مع سياق الآية ونظمها .

ثانيهما : أن معناه جاء مصرحا به فى قوله تعالى (فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) فلا فائدة فى استنباطه من هذه الآية ، بطريق الكناية ، إلا مجرد التكرار الخالى عن أى نكتة بيانية ، أو حكمة تشريعية . وهذا مما يجب تنزيه القرآن عنه ، فالوجه المذكور من بدع التفاسير .

قوله تعالى(أولئك)الداعون بالحسنتين(لهم نصيب)ثواب (مما كسبوا) من أعمال الحج وغيرها من الطاعات (والله سريع الحساب)يوشك أن يقيم القيامة ، ويحاسب العباد . فبادروا إكثار الذكر ، وطلب الآخرة . فالمراد

---

(١) الضمير فى أنزعها للدلو ، أى مالى إذا نزعت الدلو من البئر صأيت أى خرج من صدرى صوت كأنى أنزع شيئا شديدا فوق طاقتي ؟ فهل أضعفنى كبر السن ؟ أو قربان الزوجة ؟

بهذا . الإخبار بقرب يوم القيامة الذى يكون فيه الحساب ، لينال المؤمنون ثواب أعمالهم .

وقيل : المراد وصفه تعالى بسرعة محاسبة الخلائق على كثرة عددهم ، وكثرة أعمالهم وتنوعها . ليدل على كمال قدرته ، ووجوب الحذر منه ، والرغبة فى ثوابه ، فقد ثبت أنه يحاسب الخلق فى مقدار فواق ناقة .

ومن بدع التفاسير : قول بعضهم : المراد : أنه سريع العلم بكل محسوب ، وأنه لما كانت عادة الناس . أن يستعملوا الحساب والاحصاء فى أكثر أمورهم أخبرهم تعالى أنه يعلم مايحسبون بغير حساب . وسمى العلم حسابا على سبيل المجاز ، من اطلاق اسم المعلوم على العلم ، وهو مردود بوجوه .

أحدها : أن العلم بالحساب أو المحسوب . لايسمى حسابا فى اللغة حقيقة ، ولا مجازا .

ثانيها : لو فرض تسميته حسابا ، لم يجز أن يقال : سريع العلم بالحساب . لأن علمه تعالى بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة .

ثالثها : أنه لايناسب سياق الآية . وكثير من المفسرين يغفل عن ملاحظة السياق ، وهى ملاحظة واجبة الاعتبار ، لأن الآيات انما تترابط وتأتلف . بسياقاتها المتناسبة . ولولا ذلك ، لكانت متفككة غير مترابطة .

ومن البدع أيضا : أن المراد : أن الله سريع القبول لدعاء عباده ، مع كثرتهم واختلاف دعواتهم ، فيعطى لكل داع ماينفعه بحد ومقدار . وهذا التأويل ـ وان كان مناسبا لنظم الآية ـ مردود ، لأن قبول الدعاء لايسمى حسابا .

قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) بدل اشتمال ، والمعنى : يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام ؟ (قل قتال فيه) إثم (كبير)

فهو صفة للمحذوف المقدر (وصد عن سبيل الله) مبتدأ والخبر أكبر عند الله (وكفر به) معطوف على المبتدأ (و) صد عن (المسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله) فالمسجد الحرام معطوف على سبيل الله ، لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن دين الله ، ويصدون المؤمنين عن دخول المسجد الحرام والطواف به .

وقال المرتضى : المسجد معطوف على الشهر الحرام ، والمعنى : يسألونك عن الشهر الحرام ، وعن المسجد الحرام . وهذا من بدع التفاسير ، وهو مردود بوجهين .

أحدهما : الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبي .

ثانيهما : أن السؤال عن المسجد ، ليس له جواب فى الآية .

قوله تعالى (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) ألوف جمع ألف ، وهو يفيد كثرتهم .

وقيل : ألوف متآلفون ، من الألفة جمع آلف ، كقاعد وقعود . وهو من بدع التفاسير ، كما قال الزمخشرى ، وان حكاه البيضاوى ولم يعترضه . وهو بعيد من سياق الكلام ، لأنه لامعنى لذكر الألفة هنا ، ولا مناسبة تقتضيها .

ومن بدع التفاسير فى الآية أيضا : أن معنى الموت الاحتلال ، والاحياء الاستقلال . فيكون المعنى : أن الله سلط على أولئك الألوف قوما استعبدوهم ، واحتلوا بلادهم ، فذلك موتهم . ثم هيأ الله لهم أسباب الدفاع عن بلادهم وديارهم حتى استقلوا ، فذلك احياؤهم . قرأت هذا التأويل منسوبا لمحمد عبده (1) ، لكن لم يأت فى القرآن موت واحياء بهذا المعنى ،

---

(1) كأنه نحا منحى بعض المعتزلة الذين يقولون : احياء الموتى أمر خارق للعادة لا يجوز وقوعه إلا معجزة لنبي ، ويقولون أيضا : أن المعارف تصير =

ولا كان معروفا عند العرب وقت نزول القرآن وقبله ، ولا يستطيع أحد أن يأتى بشاهد من كلامهم عليه . والشيخ غفر الله له،كثيراً مايفسر آيات القرآن بمعان مستحدثه ، لم تكن معروفة وقت التنزيل . وقد عاب الزمخشرى مثل هذا على بعض المفسرين ، فقال - فى قوله تعالى (فمن عفى له من أخيه شيء) .

فإن قلت : فقد ثبت قولهم : عفا أثره إذا محاه وأزاله ، فهلا جعلت معناه : فمن محى له من أخيه شيء ؟ قلت : عبارة قلقة فى مكانها ، والعفو فى باب الجنايات،عبارة متداولة مشهورة فى الكتاب والسنة واستعمال الناس،فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها . وترى كثيراً ممن يتعاطى هذا العلم - يعنى التفسير - يجترىء - إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله - على اختراع لغة ، وادعاء على العرب مالا تعرفه ، وهذه جرأة يستعاذ بالله منها اه

= ضرورية عند معاينة الموت وأهواله ، فيجب إذا عاش أولئك القوم أن يبقوا ذاكرين ذلك ، لأن الأشياء العظيمة لاتنسى مع كمال العقل ، وإذا بقيت عندهم تلك العلوم الضرورية امتنع تكليفهم كالحال فى الآخرة ، وهذا كلام باطل ، لأن الممتنع هو ظهور الخارق على يد مدعى النبوة كذبا كمسيلمة مثلا . إما أن يظهر الله فى ملكه خارقا من الخوارق تحذيراً لعباده أو تنبيها لهم ، لا على يد أحد فلم يقم على امتناعه دليل . بل هو جائز وقد أمات الله الرجل الذى مر على قرية خاوية فتعجب كيف يحييها الله بعد موتها ؟ ! ! ثم أحياه بعدمائة عام فوجد طعامه لم يتغير ، وأراه كيف أحيا حماره . فهذا الخارق ليس بمعجزة لأنه لم يتحد به أحد ، بل صرح الله أنه جعله آية للناس على البعث .

ودعواهم أن الأشياء العظيمة لا تنسى ، مردودة بأن ظاهر الآية يقتضى أنهم ماتوا فجأة فلم يعاينوا هولا ولا شدة ولو سلم أنهم عاينوا فلا مانع أن ينسوا ماعاينوه بعد إحيائهم ، لأنهم خلقوا خلقا جديدا . بدليل قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) ولم يعودوا لما نهوا عنه إلا لأنهم نسوا ماعاينوه .

والمعنى المفهوم من الآية : أن جمعا من الناس كانوا قبلنا ـ عدتهم عشرة آلاف أو أكثر ، خرجوا من ديارهم هربا من الموت ، لوباء وقع بأرضهم فأماتهم الله ميتة رجل واحد ، ثم أحياهم ، ليعلموا أنه لامفر من قضاء الله[1] وهذه الآية ذكرت لمناسبة قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) الآية . فإنه لما أمرهم بإقامة الصلاة فى حالة الخوف من عدو أو غيره ، ذكر قصة هؤلاء القوم الذين هربوا من الموت ، ليبين لهم أن قضاء الله نافذ ، لايرده حذر حاذر ، ولاحرص حريص . وحيث ثبت ذلك فاقامة الصلاة فى حالة الخوف والشدة ، أوجب على أهل الإيمان ، وأليق بهم . لدلالتها على وثوقهم بالله ، واطمئنانهم إلى أحكامه واستسلامهم لقضائه .

« تنبيه » ثبت فى السنة إطلاق الذل ، كناية عن الإحتلال . فنى المسند وسنن أبى داود وابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم واتبعوا أذناب البقر[2] وتركوا الجهاد فى سبيل الله . أنزل الله بهم ذلا فلم

---

(١) هكذا قال أكثر المفسرين ، ذكروا : أن قرية قرب واسط وقع بها طاعون فخرج عامة أهلها ، ولم يبق إلا طائفة معظهم مرضى . فلما ارتفع الطاعون رجع الهاربون سالمين فقال القاعدون : هؤلاء أحزم منا ، لوصنعنا كما صنعوا نجونا . فوقع فيها الطاعون من قابل ، فهرب أهل القرية جميعا . حتى نزلوا واديا أفيح ، وظنوا النجاة فأماتهم الله جميعا . وقد صح النهى عن الفرار من الوباء ، لما خرج عمر رضى الله عنه إلى الشام ، وبلغ سرغ ، علم أن الوباء وقع بالشام ، فاستشار الصحابة ، فلم يجد عندهم علما وهم بالرجوع إلى المدينة . ثم جاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال له : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » فحمد الله عمر ورجع ، وهو أول من نفذ نظام الكرنتينة ، عملا بالحديث .

(٢) اتباع أذناب البقر كناية عن الاشتغال بحراثة الأرض وزراعتها .

يرفعه حتى يراجعوا دينهم ، ولا شك أن الذل الذى يترتب على ترك الجهاد، هو احتلال العدو لبلاد المسلمين ، وتحكمه فى شئونهم . وهذا من الكنايات الواضحة التى لاتحتاج إلى كبير تأمل .

قوله تعالى (ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) سكينة سكون وطمأنينة . والمعنى : أنهم إذا رأوا التابوت سكنت قلوبهم واطمأنت .

ومن بدع التفاسير . ماحكاه الزمخشرى ولم يتعقبه : أن السكينة صورة من زبرجد أو ياقوت ، كانت فى التابوت ، لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه ، وجناحان ـ فتئن ، فيزف التابوت نحو العدو ، وهم يمضون معه ، فإذا استقر ، ثبتوا وسكنوا ، ونزل النصر ، وحكى أيضا عن على رضى الله عنه . أن السكينة لها وجه كوجه الإنسان ، وفيها ريح هفافة . قلت لكن لم يصح عنه ، فإن قيل : فما تفعل بحديث الصحيحين : أن أسيد ابن حضير كان يقرأ فى ليلة سورة البقرة ، فرأى مثل الظلة ، فيها أمثال السرج ، تغشاه فى مكانه ، حتى أضاء المكان ونفرت الفرس ، فسكت مخافة أن تصيب الفرس ابنه الذى كان قريبا منها ، فذهبت ، فلما أصبح أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال « تلك السكينـــة تنزلت لقراءتك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس لاتستترمنهم » فهذا يفيد أن السكينة جسم يرى؟ قلت حقيقة السكينة ماقدمناه فى تفسير الآية ، أما الحديث فهو من باب مجاز الحذف ، والتقدير : تلك أثر السكينة ، وبيان ذلك : أن قارىء القرآن تنزل عليه السكينة ، كما ثبت فى صحيح مسلم ، فحين تلا أسيد رضى الله عنه سورة البقرة ، نزلت السكينة عليه فى قلبه . وكان من أثر نزولها عليه ، وتحققه بها . اكرام الله له بهذه الكرامة التى أنارت له المكان وما فيه (١) ، وفيها إشارة

---

(١) وثبت فى رواية فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأسيد =

إلى أن القرآن يفتح الأبصار والبصائر ، وينور البواطن والظواهر .

قوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) حرف بعض المتصوفة هذه الآية إلى من ذل ذى - يعنى نفسه - يشفع عنده ، يقصد أن من أذل نفسه يشفع عند الله . وغفل عن الاستثناء الذى يصفعه ، كما غفل - لجهله - عن أن فعل ذل لازم . ونظير هذا شرح متصوف آخر . قوله عليه الصلاة والسلام - فى حديث جبريل الطويل - « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » على معنى : فإن لم تكن أى تصر بأن فنيت عن نفسك تراه . ونسى أن تراه يجب أن يكون مجزوما ، لأنه جواب الشرط ، وهو مرفوع فى الحديث ، كما نسى أن قوله « فإنه يراك » يكون على شرحه زائدا لامعنى له .

قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) الكرسى مخلوق عظيم ، نسبة السموات والأرض إليه ، كحلقة فى فلاة من الأرض ، وهو بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض . والآية تبين عظم قدرة الله تعالى ، لأن الكرسى وهو بعض مخلوقاته ، يسع الدنيا بسمواتها وأرضها ومن فيها وما فيها .

ومن بدع التفاسير . قول المعتزلة : الكرسى هو العلم . والمعنى : وسع علمه السموات والأرض . لجأوا إلى هذا التفسير ، لإنكارهم الكرسى والعرش ونحوهما مما ثبت به النص . وقد نعى عليهم ابن قتيبة ذلك ، فقال - فى تأويل مختلف الحديث - : وفسروا القرآن بأعجب تفسير ، يريدون أن يردوه إلى مذاهبهم ، ويحملوا التأويل على نحلهم - فقال فريق منهم فى قوله

= « تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم »

تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) : أى علمه . وجاؤا على ذلك بشاهد لا يعرف وهو قول الشاعر :

ولا يكرسىء علم الله مخلوق . كأنه عندهم : ولا يعلم علم الله مخلوق ويكرسىء مهموز ، يستوحشون أن يجعلوا لله كرسيا اهـ قلت : لاشك أن الشطر المذكور مصنوع ، وماذا يضيرهم أن يكون من مخلوقات الله عرش وكرسى ؟ إلا أن يكونوا توهموا أنهما موضع استواء الله تعالى ؛ ووضع قدمه ، كما قال به بعض المجسمة . وهو توهم يقضى العقل ببطلانه ، لاستحالته فى حق الله تعالى . وفى الكشاف : فى قوله (وسع كرسيه) أربعة أوجه .

أحدها : أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض ، لبسطه وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته ، وتخييل فقط ، ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد قلت : هذا من بدع التفسير أيضا ، وهو مبنى على توهم أن الكرسى موضع القعود ، وهو توهم باطل كما مر . وإطلاق التخييل فى جانب الله تعالى لايجوز ، لأنه منزه عنه . عاد كلامه .

والثانى . وسع علمه ، وسمى العلم كرسيا ، تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم . قلت : لايوجد إطلاق الكرسى على العلم فى اللغة العربية إذا استثنينا ذلك الشطر المصنوع . وحاول بما ذكره أن يجعله مجازا مرسلامن اطلاق المحل وإرادة الحال ، ولكنها محاولة فاشلة .

إذ الكرسى ليس مكانا للعالم بل هو مكان لمن يجلس عليه من عالم وجاهل وبليد وذكى ، فإن صح تسمية العلم كرسيا ، لكونه مكان العالم ، صح تسمية الجهل والبلادة والذكاء كرسيا لعلاقة المكانية أيضا!! وكذلك يصح إطلاق السرير على العلم والجهل للعلاقة نفسها !! وماأظن الزمخشرى أخفق فى تقرير مجاز ، مثل إخفاقه هنا . والعجيب أنه حين تكلم على قوله تعالى (إذ يريكهم الله فى منامك قليلا) وفسر منامك برؤياك قال : وعن الحسن : فى منامك ،

فى عينك ، لأنها مكان النوم ، كما يقال للقطيفة : المنامة ، لأنه ينام فيها وأعقبه بقوله . وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية عنه صحيحه ، وما يلائم عليه بكلام العرب وفصاحته !! ولولا تقديسه للحسن ، لأنه يعتبره شيخ المعتزلة(١) ورئيسهم ، لعد كلامه هنا من بدع التفاسير وما قاله عن هذا التفسير ، يقال عن تفسير الكرسى بالعلم . على أن العين مكان للنوم حقيقة ، أما الكرسى فلا علاقة له بالعلم . عاد كلامه .

والثالث . وسع ملكه ، تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك قلت ، جعل الكرسى هنا مجازا عن الملك ، وهو من بدع التفاسير أيضا . لأن العلاقة يجب أن يكون لها مزيد اختصاص بالمعنى الذى تجوز له . وعلى هذا فالذى يصح أن يتجوز به عن الملك هو العرش أو التاج أو المقاليد . لأن هذه الأشياء لا توجد إلا عند الملوك ، وهى مظاهر ملكهم . أما الكرسى فلا اختصاص له بالملوك ، ولا مظهر فيه من مظاهر الملك وأبهته ، وهو موجود عند جميع الرعايا فقرائها وأغنيائها . فلا يصح جعله كناية عن الملك.

ولو قرأت قوله تعالى . (له مقاليد السموات والأرض) أو (وهو رب العرش العظيم) لوجدت الكناية عن الملك فيه واضحة ، بخلاف (وسع كرسيه) .

والرابع . ماروى أنه خلق كرسيا هو بين يدى العرش ، دونه السموات والأرض وهو الى العرش كأصغر شىء . قلت : ذكر هذا الوجه بصيغه

---

(١) لأن الحسن البصرى شيخ واصل بن عطاء الغزال البصرى رئيس المعتزلة وإمامهم ، لكن الحسن برىء من مذهبهم ، رغم نقلهم عنه أشياء توافقهم . وهى اما غير صحيحة عنه ، واما مؤولة . وقد قيل فى سبب تسميتهم معتزلة : أن الحسن لما سمع كلام واصل فى القدر ، وخلق الأفعال وغير ذلك من مسائلهم التى تخالف ما كان عليه الصحابة ، قال له : اعتزل مجلسنا.

التضعيف ، لأنه يخالف رأى المعتزلة ، مع أنه هو الصحيح كما مر . وذكر عن الحسن أن الكرسى هو العرش ، وهذا غير صحيح . والعجب أن من بعده كالبيضاوى وأبى السعود والسيوطى قلدوه ، فذكروا فى معنى الكرسى هنا العلم والملك ، غير مدركين أن هذا المعنى من اختراع المعتزلة ، هربا من الاعتراف بحقيقة الكرسى كما ثبت فى السنة (١) !!

قوله تعالى (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى) معنى الآية : انه ان لم يوجد رجلان يشهدان ، فليشهد رجل وامرأتان ، لأجل أن تذكر إحدى المرأتين الأخرى إذا نسيت ، فلفظ تذكر ، من التذكير ضد النسيان ، وهو واضح .

ومن بدع التفاسير - كما يقول الزمخشرى - : فتذكر ، فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا ، يعنى : أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ، وهذا لايتلاقى مع قوله (أن تضل إحداهما) .

٢ — ومن سورة آل عمران

قوله تعالى (ربنا لاتزغ) تمل (قلوبنا) عن الحق (بعد إذهديتنا) اليه (وهب لنا من لدنك رحمة) تثبيتا (انك أنت الوهاب) هذا دعاء الراسخين فى العلم يدعون الله ألا يزيغ قلوبهم عن الحق وأن يثبتهم عليه . حكى الله دعاءهم . فى معرض الثناء عليهم وهو دعاء واضح ليس فيه غموض . ولكن

(١) قوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم) ماأنفقوا مفعول أول ليتبعون ، ومنا مفعول ثانى ، وأذى معطوف عليه . ومن بدع التفاسير : جعل أذى اسم لا ، والخبر محذوف ، والمعنى : ولا أذى حاصل منهم . نقله ابن حجر فى الزواجر عن بعضهم واستبعده قلت : بل هو باطل ، يخالف رسم المصحف ، لأن اسم لا يبنى معها على الفتح ، وأذى فى الآية منصوب .

المعتزلة الذين يرون أن الله لا يزيغ القلوب ، وانما يزيغها أصحابها ، رأوا هذا الدعاء غامضا يحتاج إلى تأويل .

فقال أبو علي الجبائي : المراد بالآية : ربنا لاتزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك : ومعنى هذا السؤال : أنهم سألوا الله تعالى أن يلطف بهم فى فعل الايمان ، حتى يقيموا عليه ، ولا يتركوه فى مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الإيمان أن تزيغ قلوبهم عن الثواب ، وأن يفعل بهم بدلا منه العقاب . فإن قال قائل : فما هذا الثواب الذى هو فى قلوب المؤمنين ، حتى زعمتم أنهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم عنه ؟ وأجاب بأن من الثواب الذى فى قلوب المؤمنين ، ماذكره الله تعالى من الشرح والسعة ، بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله تعالى لرسوله عليه وآله السلام (ألم نشرح لك صدرك) وضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة . قال : ومن ذلك أيضا التطهير الذى يفعله فى قلوب المؤمنين ، وهو الذى منعه الكافرين ، فقال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) ومن ذلك أيضا كتابته الإيمان فى قلوب المؤمنين ، كما قال تعالى (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) وضد هذه الكتابة هى سمات الكفر التى فى قلوب الكافرين ، فكأنهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب .

قلت : هذا من بدع التفاسير ، وفيه تكلف فى التقدير ، وعدول عن ظاهر اللفظ ، إلى مالا دليل عليه من السياق . ويظهر أن أبا على افترض الراسخين فى العلم معتزلة يدعون الله على قواعد مذهبهم ! وإلا فما هذا التأويل المتكلف ؟ وهل غاب عنه أن الداعى لايراعى تلك التقديرات التى تحتاج مراعاتها إلى معرفة قواعد علم الكلام وغيره ؟ ! وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم دعاء يؤيد دعاء الراسخين فيما يفيده ظاهر الكلام من غير تعسف ولا التواء ، فكان يقول عليه الصلاة والسلام « يامقلب القلوب ثبت قلبى

على دينك ، وسألته أم سلمة رضى الله عنها عن هذا الدعاء الذى كان يكثر منه : فقال لها « ان قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد فإن شاء أقامه وان شاء أزاغه » .

وقال المرتضى : المراد بالآية : ربنا لاتشدد علينا المحنة فى التكليف ، ولا تشق علينا فيه ، فيفضى بنا ذلك إلى زيغ القلوب منا بعد الهداية . وليس يمتنع أن يضيفوا مايقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة إليه ، كما قال عز وجل (انها - يعنى الآية - زادتهم رجسا إلى رجسهم) وكما قال مخبرا عن نوح عليه السلام (فلم يزدهم دعائى إلا فرارا) .

فإن قيل : كيف يشدد عليهم فى المحنة ؟ قلنا : بأن يقوى شهواتهم لما قبحه فى عقولهم ، ونفورهم عن الواجب عليهم . فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا ، والثواب المستحق عليه عظيما متضاعفا . وانما يحسن أن يجعله شاقا . تعريضا لهذه المنزلة .

قال : ويجوز أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على الهداية ، وإمدادهم بالألطاف التى معها يستمرون على الإيمان . فإن قيل : وكيف يكون مزيغا لقلوبهم بألا يفعل اللطف ؟ قلنا : من حيث كان المعلوم أنه متى قطع امدادهم بألطافه وتوفيقاته ، زاغوا وانصرفوا عن الإيمان . ويجرى هذا مجرى قولهم : اللهم لاتسلط علينا من لايرحمنا . معناه : لاتخل بيننا وبين من لايرحمنا . فيتسلط علينا ، ومنه قول الشاعر :

أتانى ورحلى بالمدينة رقعة لآل تميم أقعدت كل قائم

أراد : قعد لها كل قائم . فكأنهم قالوا : لاتخل بيننا وبين نفوسنا ، وتمنعنا ألطافك ، فنزيغ ونضل . اهـ

وقال الزمخشرى : (ربنا لاتزغ قلوبنا) لاتبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد إذ هديتنا) وأرشدتنا لدينك . أو : لاتمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا . اهـ

قلت : ليس ببعيد أن يكون هذان التأويلان ملخصين مما سبق ، والمرتضى - وان كان اماميا - فالإمامية يوافقون المعتزلة فى مسائل منها هذه ومسألة العدل وامتناع رؤية الله تعالى . وهذان التأويلان من بدع التفاسير ، رغم إطالة المرتضى فى توضيحهما ودعمهما بالاستشهاد والتنظير ، وبيان ذلك من وجوه .

الأول : أن الدعاء مما لايدخله مجاز ولا كناية ، لأنه توجه إلى الله تعالى ، ورغبة إليه . والمتوجه الراغب أشغل من أن يلاحظ العلاقة المصححة للمجاز ، والقرينة المانعة من الحقيقة . أو يطلق اللفظ ويريد لازم معناه ، أو ينوى مضافا محذوفا . إلى غير ذلك مما يحسن استعماله فى مقامات أخرى كالخطب مثلا . وانظر إلى الدعوات الواردة فى القرآن فى سورة البقرة وآل عمران وغافر ونوح وغيرها ، تجدها خالية من المجاز ، وهذا مما يغفل عنه المفسرون ، فيقعون فى خطأ كبير كما حصل هنا .

الثانى : أن الدعاء يحسن فيه الإطناب ، تلذذا بخطاب الله تعالى ومناجاته . وبسطا لمطالب العبد بين يدى خالقه . وعلى هذا لو صح ماقدره المعتزلة فى الآية ، لكان الواجب أن يصرح به فيها - بأن يقال : ربنا لاتشدد علينا المحنة فى التكليف ، ولا تبلنا ببلايا تزيغ بها قلوبنا . ولاتقطع امدادنا بتوفيقاتك . ولا تمنعنا ألطافك حتى نستمر على الإيمان بك . لأن المقام كما قلنا مقام اطناب . وهكذا دعوات القرآن ، فيها اطناب ، وفيها تكرار لكلمة (ربنا) وهو نوع من الإطناب .

الثالث : إذا كان الباعث لهم على تأويل الإزاغة بما ذكروه ، أن الإزاغة قبيحة ، والله لايفعل القبيح . فقد وقعوا فيما هربوا منه حيث أولوا : لاتزغ قلوبنا . بمعنى : لاتمنعنا ألطافك فتزيغ قلوبنا . ومنع الألطاف قبيح أيضا ، لأنه بخل ، والله منزه عنه . ولأنه يؤدى إلى الإزاغة حتما ، وما أدى

إلى القبيح ، قبيح . ولأنه لايؤدى إلى استحقاق ثواب وتضعيفه ، فلم تكن فيه جهة حسن أصلا . وكذلك التخلية بينهم وبين نفوسهم ، قبيحة أيضا ، لأن نتيجتها المحتمة الازاغة والضلال ، فالهم فى تأويلاتهم التى وقعوا بها فيما فروا منه ، أشبه بالقائل .

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء ! !

قوله تعالى (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) لما بشرت الملائكة مريم بعيسى عليهم السلام ، قالت متعجبة ، تخاطب الله تعالى ـ : رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟

ومن بدع التفاسير ـ كما يقول الزمخشرى ـ : أن قولها : رب ، نداء لجبريل عليه السلام ، بمعنى ياسيدى . قلت : هذا نداء لله تعالى ، حصل منها على سبيل التعجب والدهشة ، حين سمعت مالم يخطر لها عـلى بال . أما مخاطبتها لجبريل ، فهى مذكورة فى سورة مريم .

قوله تعالى (وما كان لنبى أن يغل) ذكر فيه الزمخشرى ـ وتبعه البيضاوى ـ وجهين :

أحدهما : أنه تبرئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الغلول ، وتنزيه له ، وتنبيه على عصمته بأن النبوة والغلول متنافيان . وهذا الوجه هو الصحيح ، وهو الموافق لسبب النزول . فقد صح أن قطيفة حمراء ، فقدت يوم بدر ، من المغنم . فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ، فنزلت الآية . وتؤيده أيضا قراءة ورش (يغل) بالبناء للمجهول ، وهى أبلغ فى التبرئة والتنزيه . لأن معناها : وماكان لنبى أن ينسب إلى الغلول . فهو نهى عن نسبته للغلول ، فى صورة نفى وهو أقوى كما لايخفى .

والثانى : أن يكون مبالغة فى النهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

على ماروى أنه بعث طلائع . فغنمت غنائم فقسمها ، ولم يقسم للطلائع ، فنزلت . يعني : وما كان لنبي أن يعطى قوما ويمنع آخرين ، بل عليه أن يقسم بالسوية . وسمى حرمان بعض الغزاة غـــلولا ، تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر .

قلت : هذا من بدع التفاسير ، ورواية بعث طلائع ، وعدم قسمته لها لاتصح[1] . وحمل الغلول على الحرمان بعيد من مدلول اللفظ ، وتأييده بالتغليظ والتقبيح ، اساءة فى حق الجناب النبوى الكريم . مع مخالفتها لأسلوب القرآن ، إذ ليس فيه آية تشتمل على تغليظ فى مخاطبته ، أو تقبيح لشيء فعله . بل فيه من دلائل تكريمه فى الخطاب ما يطول تتبعه . وانظر كتابنا « دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين » .

« تنبيه » صح أن النبي صلى الله عليه وسلم آثر فى قسمة الفيء فى بعض المغازى لكنه إيثار لمصلحة الدعوة ، ولتأليف ضعفاء الإسلام . لم يعنفه الله عليه ، ولا لامه . ففى غزوة حنين أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصين مثله ، وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم . فقال رجل : والله أن هذه قسمة ماعدل فيها ، وما أريد فيها وجه الله . فأخبره ابن مسعود رضى الله عنه . فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم ، حتى كان كالصرف - بكسر الصاد : صبغ أحمر - ثم قال « يرحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر » والحديث فى الصحيحين ، وأخشى أن يكون الزمخشرى قد آذاه صلى الله عليه وسلم بتفسيره المذكور .

٣ — من سورة النساء

قوله تعالى (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) أمر الله تعالى فى الناشزات بوعظهن ، ثم بهجرهن فى المضاجع ،

---

(١) رواها ابن أبي شيبة عن الضحاك مرسلا ، فهى مرسلة ضعيفة .

ثم يضربهن ضربا غير مبرح إن لم ينفع فيهن وعظ ولا هجر .

وقيل - فى معنى (واهجروهن) : - أكرهوهن على الجماع ، واربطوهن بالهجار من هجر البعير إذا ربطه بالهجار (١) .

قال الزمخشرى : وهذا من تفسير الثقلاء ، وصدق فيما قال . فإنها إذا كانت ناشزة عاصية لزوجها ، فكيف يليق به أن يكرهها على الجماع ، ويربطها لأجله إلا إذا كان سمجا ثقيلا ؟ ! وهو أيضا من بدع التفاسير ، لأنه عدول عن اللغة المشهورة والمناسبة للسياق ، إلى لغة غير مشهورة ولا مناسبة .

قوله تعالى (وإن تصبهم) أى اليهود (حسنة) نعمة كخصب وسعة (يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة) محنة كجدب وضيق (يقولوا هذه من عندك) يا محمد أى بشؤمك (قل) لهم (كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) من قبله (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون) لا يقاربون أن يفهموا (حديثا) يلقى لنبيهم ، والقصد بالاستفهام التعجيب من فرط جهلهم (ما أصابك) الخطاب للنبي والمراد أفراد أمته (من حسنة) من نعمة (فمن الله) أتتك فضلا منه (وما أصابك من سيئة) بلية (فمن نفسك) أتتك ، حيث ارتكبت مايستوجبها من الذنوب (وأرسلناك) يا محمد (للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) على رسالتك .

وقال أبو على الجبائى : قد ثبت أن لفظ السيئة تارة يقع على البلية والمحنة ، وتارة يقع على الذنب والمعصية . ثم أنه تعالى أضاف السيئة إلى

---

(١) الهجار - بكسر الهاء - حبل يشد به البعير . والعجيب أن ابن جرير الطبرى اختار هذا التأويل مع بعده وشذوذه ! ! ولذا قال أبو بكر ابن العربى المعافرى : يالها من هفوة عالم بالكتاب والسنة ! لكن الحامل له على اختيار هذا التأويل ، حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك عن أسماء بنت أبى بكر زوجة الزبير بن العوام ، وانظر كتاب أحكام القرآن لابن العربى وتفسير القرطبى

نفسه أولا ، وإلى العبد ثانيا . ولابد من التوفيق بينهما ، ليزول التناقض بين هاتين الآيتين المتجاورتين . وقد حمل المخالفون . أنفسهم على تغيير الآية ، وقرؤا : أفمن نفسك ؟ فغيروا القرآن ! وسلكوا مثل طريقة الرافضة فى ادعاء المعنيين فى القرآن . فإن قيل : لم أضاف تعالى الحسنة التى هى الطاعة إلى نفسه دون السيئة وكلاهما فعل العبد عندكم ؟

قلنا : الحسنة ـ وان كانت فعل العبد ـ فإنما وصل إليها بتسهيله وألطافه ، فصحت الاضافة إليه . وأما السيئة فهى غير مضافة إليه تعالى بأنه فعلها ولا أرادها ولا أمر بها ولا رغب فيها ، فلا جرم انقطعت هذه النسبة إلى الله تعالى من جميع الوجوه .

قلت : هذا من بدع التفاسير . وقد توسع فى رده ابن حجر الهيتمى فى كتاب الزواجر ، بعد أن سماه : امام المعتزلة فى الضلالة ، ووصفه بقصور الفهم ، وفساد التصور ، وقلة العلم . ونحن نلخص رده ، قال : ليس المراد بالسيئة والحسنة أولا وثانيا ، طاعة ولا معصية ، بل النعم والمحن ، وهما ليستا من فعلهم . ودليل ذلك : التعبير بأصابك إذ لايقال فى الطاعة والمعصية : أصابنى ، بل أصبته . بخلاف النعم والمحن ، فإنها التى يقال فيها : أصابتنى . والسياق صريح فى ذلك ، إذ سبب نزول الآية : أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، قال المنافقون واليهود : مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم الرجل وأصحابه ، فكانوا ينسبون النعم إلى الله ، والمحن إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله ذلك مخبرا بمقالتهم الفاسدة ، ثم ردها بقوله (قل كل من عند الله) مبينا لمصدرها الأصلى ثم السبب فخاطبه صلى الله عليه وسلم والمراد غيره بقوله تعالى (ما أصابك من حسنة) أى نعمة كخصب ونصر فمن الله أى من محض فضله ، اذ لا يستحق أحد عليه تعالى شيئا . وما أصابك من سيئة أى محنة كجدب وهزيمة فمن نفسك أى من أجل عصيانها ، فهى من الله لكن بسبب ذنب النفس

عقوبة لها ، كما قال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال ابراهيم عليه السلام (وإذا مرضت فهو يشفين) فأضاف المرض لنفسه والشفاء إلى الله تعالى ، رعاية للأدب لأنه تعالى انما يضاف إليه على الخصوص الشريف دون الخسيس ، فيقال : ياخالق الخلق ، ولا يقال : يا خالق القردة والخنازير . ويقال : يامدبر السموات والأرض ، ولا يقال : يامدبر القمل والخنافس ، فكذا هنا . وأما ماشنع به عـــلى من قرأ : أفمن نفسك ؟ بالاستفهام ، فهو من جملة افترائه كشيعته . إذ أهل السنة لم يعولوا على هذه القراءة ، ولا جعلوها حجة . وانما الحق فى ذلك : أنه ان صح أنه قرأبها أحد من الصحابة والتابعين ، وجب قبولها ، وتكون حينئذ دليلا عليهم . لأن القراءة الشاذة إذا صح سندها كالخبر الصحيح فى الحجية على الأصح . وان لم يصح ذلك لم يلتفت إليها ، وليست الحجية مفتقرة إليها اهـ ملخصا . ومن أراد الوقوف عليه بتمامه فليقرأه فى مبحث التكذيب بالقدر من الزواجر . والاستفهام المشار إليه فى القراءة الشاذة ، وجه كونه دليلا على المعتزلة أنه استفهام انكارى قطعا ، ينكر على من يجعل الحسنة من الله والسيئة من العبد والمقصود أن الجبائى أخطأ فى الكلام على هذه الآية خطأ فاحشا لايقـــع من صغار المبتدئين ، بسبب حرصه الشديد على نصرة مذهبه .

قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) معنى الآية : أن الله تعالى أسمع موسى كلامه ، وأكد بالمصدر ، لينفى عنه احتمال المجاز ، ولذا سمى موسى كليم الله .

ومن بدع التفاسير ـ كما قال الزمخشرى ـ : أن كلم من الكلم . بسكون اللام ، وأن المعنى : وجرح موسى بأظفار المحن ، ومخالب الفتن ـ قلت : هذا تفسير خاطىء ، لأن صاحبه تعمد تحريف معنى الآية ، حتى لايضطر إلى الاعتراف بنسبة الكلام إلى الله تعالى .

٤ — ومن سورة المـــائدة

قوله تعالى (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) استشكل المعتزلة هذه الآية ، فقالوا : كيف يجوز أن يخبر الله عن هابيل ـ وقد وصفه بالتقوى ـ أنه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وهو قبيح ؟ وارادة القبيح قبيحة ؟

وأجاب المرتضى ـ وهو من الإمامية الذين يوافقون المعتزلة فى هذه المسألة ـ بأن فى الكلام مضافا محذوفا ، وأن المعنى : إنى أريد أن تبوء بعقوبة إثمى وعقوبة إثمك ، والدليل على هذا المضاف المحذوف ، قوله (وذلك جزاء الظالمين) قال : وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه .

قلت : والأشعرية يقولون : كان لابد لهابيل من أحد أمرين : إما أن يدافع عن نفسه ، فيأثم بقتل أخيه . وإما أن يستسلم ، فيأثم أخوه بقتله . ولم يرد الأول ، فاضطر إلى الثانى ، فلم يرد إثم أخيه إلا من حيث اختياره الاستسلام على المقاومة . وهذا كما يتمنى المسلم الشهادة ، ومعناها : أن يبوء الكافر بإثم قتله ، مضموما إلى إثم كفره . فالمسلم لم يقصد هذا المعنى الذى هو لازم لتمنيه الاستشهاد فى سبيل الله .

وظهر لى وجه آخر ، وهو : أن يكون غرض هابيل وعظ أخيه وتذكيره بمصيره عند الله ان قتله ، حتى يرتدع وينزجر . فلم يرد بكلامه إلا تهديد أخيه وزجره .

ومن بدع التفاسير : ما حكاه المرتضى بقوله : وقد ذكر قوم فى الآية وجها آخر ، وهو : أن يكون المراد : إنى أريد زوال أن تبوء بإثمى وإثمك لأنه لم يرد له إلا الخير والرشد . فحذف زوال ، وأقام أن وما اتصل بها مقامه .

كما قال تعالى (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) أى حب العجل ، حذف حب ، وأقام العجل مقامه ، وكما قال تعالى (واسأل القرية) أى أهلها .

قال : وهذا قول بعيد ، لأنه لا دلالة فى الكلام على محذوف . وإنما تستحسن العرب الحذف فى بعض المواضع ، لاقتضاء الكلام المحذوف ، ودلالته عليه اه .

أى كالآيتين المذكورتين ، فإن الحذف فيهما اقتضاه الكلام ، ودل عليه ، لأن العجل لا يشرب فى القلوب ، ولكن حبه يشرب فيها . ولا تسأل القرية ، ولكن يسأل أهلها . ومما يبعد ذلك التأويل أيضا ، قوله تعالى (وذلك جزاء الظالمين) « تنبيه » قوله (بإثمى وإثمك) معناه . بإثم قتلى ، وإثمك الذى لم يقبل قربانك لأجله ، فاضافة إثم الأول ، إلى مفعوله . وهى سائغة شائعة فى اللغة العربية . وإضافة الثانى ، إلى فاعله

٥ — ومن سورة الأنعام

قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) معنى الآية : أن المشركين حين يجمعهم الله يوم القيامة ، ويسألهم عن شركائهم الذين كانوا يزعمونهم آلهة فى الدنيا ، يتنصلون منهم ، ويحلفون أنهم ما كانوا مشركين . هذا وهم يعلمون أنهم كاذبون فى حلفهم وتنصلهم ، لكنهم كالغريق ، يتمسك بما يتوهم أنه ينجيه ، وان كان لا ينفعه .

قال الزمخشرى : وقول من قال : معناه : ما كنا مشركين عند أنفسنا ، وما علمنا أنا على خطأ فى معتقدنا . وحمل قوله (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) يعنى فى الدنيا ، تمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام ، إلى ما هو عى وإفحام . لأن المعنى الذى ذهبوا إليه ، ليس هذا الكلام بمترجم عنه ، عنه ، ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو ، وما أدرى ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون) ؟ بعد قوله (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) فشبه كذبهم فى الآخرة بكذبهم فى الدنيا اهـ .

قلت : هذا تأويل حكاه المرتضى فى أماليه وأيده ، ولا شك أنه من بدع التفاسير . والذى دعاه إلى تكلف هذا التأويل وتأويل آخر ننقله عنه ، استشكاله الآية . وإيراده سؤالا جاء فيه : كيف يقع من أهل الآخرة نفى الشرك عن أنفسهم ؟ والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون فى ذلك ؟ مع أنهم عندكم فى تلك الحال لا يقع منهم شىء من القبيح ، لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ، ولأنهم ملجئون هناك إلى ترك جميع القبائح . وأجاب بأنه ليس فى ظاهر الآية مايقتضى أن قولهم (ما كنا مشركين) إنما وقع فى الآخرة دون الدنيا وإذا لم يمكن ذلك فى الظاهر ، جاز أن يكون الاخبار يتناول حال الدنيا ، وسقطت المسألة .

قلت : هذا بعيد مصادم للآية،وقد فطن لذلك ، فقال : وليس لأحد أن يتعلق فى قوع ذلك فى الآخرة بقوله تعالى قبل الآية (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) وأنه عقب بقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) فيجب أن يكون الجميع مختصا بالآخرة . لأنه لا يمنع أن تكون الآية تتناول مايجرى فى الآخرة ، ثم تتلوها آية تتناول مايجرى فى الدنيا . لأن مطابقة كل آية لما قبلها فى مثل هذا ، غير واجبة . وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) لا يدل أيضا على أن ذلك يكون واقعا بعد ما خبر تعالى عنه فى الآية الأولى . فكأنه تعالى قال ـ على هذا الوجه ـ : انا نحشرهم فى الآخرة ، ونقول : أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ؟ وما كان سبب فتنتهم وضلالهم فى الدنيا إلا قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) .

قلت : هذا أبعد من التأويل الذى رده الزمخشرى ، وأولى منه ببدع التفاسير . والمرتضى غافل عن آية المجادلة التى تصرح بأن الكفار يحلفون لله تعالى يوم القيـــامة وهم كاذبون . وثبت فى قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) : أنهم يجحدون ويخاصمون ، فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم ، فيحلفون : ما كنا

مشركين . فحينئذ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم (١) فمذهبه فى أن الكفار يوم القيامة لايكذبون ، غير صحيح ، يرده القرآن والحديث الصحيح .

قوله تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان) بأن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهى (مع القوم الظالمين) .

ومن بدع التفاسير : قول الزمخشرى : ويجوز أن يراد : وإن كان الشيطان ينسينك قبل النهى ، قبح مجالسة المستهزئين ، لأنها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى ، بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه ، معهم .

قلت : هذا تعسف كبير ، وقسر لألفاظ الآية على أن تفيد مذهبه الاعتزالى فى التحسين والتقبيح العقليين .

٦ — ومن سورة الأعراف

قوله تعالى (فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أى فبسبب إغوائك إياى ، لأقعدن لهم .

ومن بدع التفاسير : قول من جعل ما استفهامية ، أى فبأى شىء أغويتنى ؟ ثم ابتدأ : لأقعدن . قال الزمخشرى : وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية ، قليل شاذ اه أى لايصح تخريج القرآن عليه . ثم الاستفهام لامعنى له هنا .

قوله تعالى (وقال) ابليس لآدم وحواء عليهما السلام (مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا) كراهة (أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)

---

(١) وقوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) يقتضى أنهم كانوا مصرين على الكذب ، وأنهم استنكروا على جلودهم شهادتها عليهم بالصدق .

استدل المعتزلة وبعض الأشعرية بهذه الآية على أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وأجاب عنها ابن المنير فى الانتصاف ، والبيضاوى فى تفسيره[1] وغيرهما . لكن المرتضى أجاب عنها بجواب يعتبر من بدع التفاسير .

ذلك أنه قال : لم زعمتم أن قوله تعالى (إلا أن تكونا ملكين) معناه : أن تصيرا وتنقلبا إلى صفة الملائكة ؟ فإن هذه اللفظة ليست صريحة لما ذكرتم ، بل أحسن الأحوال أن تكون محتملة . وما أنكرتم أن يكون المعنى : أن المنهى عن تناول الشجرة غيركما ، وأن النهى يختص الملائكة والخالدين دونكما ؟ ويجرى ذلك مجرى قول أحدنا لغيره : مانهيت عن كذا إلا أن تكون فلانا ، وإنما يعنى أن المنهى هو فلان دونك ، ولم يرد إلا أن تنقلب فتصير فلانا . ولما كان غرض إبليس إيقاع الشبهة لهما ، فمن أوكد الشبه إيهاما أنهما لم ينهيا . وإنما المنهى غيرهما .

قلت : هذا تأويل بعيد ، ترده آية طه (قال هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى) ؟وتوجيه النهى لهما صريحا فى قوله تعالى (ولا تقربا هــــذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ولا يناسب هذا التأويل فى بعده إلاقول من زعم أن آدم عليه السلام تناول من الشجرة وهو سكران ! ! .

قوله تعالى (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشــــاء الله ربنا) لا إشكال فى هذه الآية على مذهب أهل السنة ، لأنهم يعتقدون أن الكفر والمعاصى واقعة بمشيئة الله تعالى ، ويرون أن المشيئة والارادة

---

(١) عقيدتى فى هذا : أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، إلا نبينا صلى الله عليه وسلم وإبراهيم وموسى عليهما السلام فهم أفضل ، وبيان ذلك ينظر فى كتابى « دلالة القرآن المبين على أن النبى أفضل العالمين » وهو مطبوع .

غير المحبة والرضا . فالله يريد الكفر ، لكن لايحبه ولا يرضاه وكذلك الأمر عندهم يباين المشيئة . أما المعتزلة الذين يرون أن الله لايريد الكفر والمعاصي،لأنها قبيحة ، ويقولون بتلازم المشيئة ، والمحبة ، والأمر . فالآية على رأيهم مشكلة . وقد أجابوا عنها بتأويلات ، ذكرها المرتضى فى أماليه ـ وهو من الإمامية وهم يوافقون المعتزلة فى هذه المسأله ـ وأنا أذكر منها ماهو داخل فى بدع التفاسير ، مع بيان وجه دخوله .

قال المرتضى : فى هذه الآية وجوه :

الأول . أن تكون الملة التى عناها الله ، إنما هى العبادات الشرعيات التى كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن ما يرجع إلى الاعتقادات فى الله وصفاته ، مما لايجوز أن تختلف العبادة فيه ـ فكأنه قال : ان ملتكم لانعود فيها مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود إليها . قلت : هذا باطل لوجوه :

أحدها . أن شعيباعليه السلام ، دعا قومه إلى توحيد الله تعالى وأفراده بالعبادة ، وإلى إيفاء الكيل والميزان بالعدل. ولاشك أن التوحيد والعدل لايدخلهما نسخ . لأنهما مما لايجوز فيه الاختلاف لقبح نقيضهما قبحا ذاتيا .

ثانيها : أنه لم يأت فى القرآن ، ولا ثبت فى التاريخ أن قوم شعيب كانوا متمسكين بشريعة ، جاءهم شعيب بنسخها : فكيف يحمل الآية على معنى لايستطيع لإثباته دليلا ؟ .

ثالثها : أن ماقدره فى الآية لم يثبت فى نفسه كما سبق فى الوجه قبله . ولم يقم على تقديره فيها دليل ، ومن ثم كان من بدع التفاسير ، قال : وثانيها أنه أراد أن ذلك لايكون أبدا من حيث علقه بمشيئة الله تعالى ، لما كان معلوما أنه لايشاؤه . وكل أمر علق بما لايكون ، فقد نفى كونه على أبعد الوجوه . وتجرى الآية مجرى قوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم

الخياط) قلت : هذا الوجه شبيه بما يسمى بالمصادرة فقد جعل مذهبه فى عدم تعلق المشيئة بالكفر ، قرينة فى الآية على استحالة عودة شعيب إلى ملة قومه . وما يؤمنه أن يجعل مخالفوه تعليق العودة على المشيئة دليلا على امكانها لأن المشيئة لا تتعلق بالمستحيل ، بدليل قوله تعالى (وماالله يريد ظلما للعالمين) والآية التى نظر بها تشير إلى غلطه من حيث لايشعر . ذلك أن استحالة ولوج الجمل فى سم الخياط مما وقع عليه اتفاق العقلاء ، بخلاف تعلق المشيئة بالكفر ، فقد قال بوقوعه معظم فرق المسلمين . فهذا الوجه باطل أيضا . قال .

ورابعها : ما ذكره قطرب بن المستنير ، من أن فى الكلام تقديما وتأخيرا ، وأن الاستثناء من الكفار وقع ، لا من شعيب ، فكأنه تعالى قال - حاكيا عن الكفار - (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعود فى ملتنا) ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب (ما يكون لنا أن نعود فيها) على كل حال قلت : يكفى دليلا على بطلانه مافيه من من تفكيك نظم الآية ، وإخراجها من حد الفصاحة والإعجاز ، إلى الركاكة والألغاز . فهى على تقديره أشبه بقول الفرزدق :

وما مثله فى الناس إلا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه

أصل البيت : وما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملكا - بفتح اللام المشددة . أبو أمه . أى الملك . أبوه أى أبو الممدوح ، وهو مدح لخال أحد ملوك بنى أمية . فالبيت فى غاية الركة بما حصل فيه من تقديم وتأخير ، ولا يجوز حمل الآية على تأويل يورثها تعقيدا وركاكة ، فهذا الوجه من بدع التفاسير ، وهو من الأدلة على ضعف قطرب فى النحو ، كما قيل عنه قال :

وخامسها : أن تعود الهاء فى قوله (فيها) إلى القرية لا إلى الملة ، لأن ذكر القرية قد تقدم ، كما تقدم ذكر الملة . قلت : أقرب مذكور هو الملة فى قوله تعالى (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا

الله منها) فيتعين عود الضمير إليها . لاسيما وهى المقصود من المراجعة بين شعيب وقومه ، فالعدول عنها إلى القرية من بدع التفاسير . قال .

وسادسها : أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا فنعود إلى إظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه ، قوله تعالى (أو لوكنا كارهين) قلت : هذا وجه باطل ، وتقدير الإكراه بعيد من سياق الآية ونظمها ، يضاف إليه أنه ينافى الحكمة من إرسال الرسل ، لأنه إن جاز أن يمكن الله قوم شعيب من إكراهه وإكراه من آمن به ، على إظهار الكفر ، فلم بعثه اليهم ؟ وأى مصلحة فى أن يظهر شعيب عليه السلام كفر قومه ويعلنه مكرها .

ومثله فى البطلان : الوجه الذى ذكره بعده ، وهو أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا باظهار ملتكم مع الإكراه ، لأن كلمة الكفر قد تحسن فى بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهارها . قال : وقوله (أو لوكنا كارهين) يؤيد هذا الوجه أيضا . قلت : يبطل بما تقدم فى الوجه قبله ، ويزيده بطلانا زيادة تقدير التعبد باظهار كلمة الكفر مع الإكراه ، ودعوى حسن إظهار كلمة الكفر إذا تعبد الله باظهارها ، باطلة . ولا يجوز أن يتعبد الله باظهار كلمة الكفر ، لقبحها ، وغاية مافى الباب أنه رخص فى النطق بها عند الإكراه ، كما رخص فى أكل الميتة عند الإضطرار ، أما أن يتعبد بإظهارها ، ويصير بالتعبد حسنا ، فما تأباه العقول .

قوله تعالى (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون) أى فثبت الحق وظهر وبطل ما كانوا يعملون من السحر ، أى ظهر بطلانه .

ومن بدع التفاسير . كما قال الزمخشرى : فوقع الحق قلوبهم ، أى أثر فيها من قولهم . فاس وقيع اه وهو بعيد من سياق الكلام . قوله تعالى (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) مهما أصلها ما الشرطية

ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد ، وقلبت الألف هاء ، استثقالا لتكرير المتجانسين - وقيل : مه اسم فعل للكف ، ضم إليه ما الشرطية . والمعنى على هذا : كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ، أى أىّ شيء تأتنا به . والضمير فى (به) يعود على مهما باعتبار اللفظ . وفى (بها) باعتبار المعنى ، لأنه فى معنى الآية .

ومن بدع التفاسير : قول من جعل مهما بمعنى متى ما .

قال الزمخشرى : وهــــذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لايد له فى علم العربية . فيضعها غير موضعها ، ويحسب مهما بمعنى متى ما . ويقول مهما جئتنى أعطيتك . وهذا من وضعه ، وليس من كلام واضع العربية فى شيء . ثم يذهب فيفسر : مهما تأتنا به من آية ، بمعنى الوقت ، فيلحد فى آيات الله وهو لايشعر . وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدى الناظر فى كتاب سيبويه اه وصدق فيما قال بالنسبة لأهل عصره،أما بالنسبة لأهل عصرنا فقد تجرأ على التفسير منهم طائفة ، دل كلامهم فيه على أنه يجب عليهم الجثو بين يدى مدرس الكفراوى .

قوله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) هم طائفة من بنى اسرائيل لم يغيروا دينهم ، ولم يحرفوا كتب أنبيائهم ، مثل عبد الله ابن سلام .

ومن بدع التفاسير : ماحكاه الزمخشرى ، فقال: وقيل . ان بنىاسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا ، وكانوا اثنى عشر سبطا ، تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ، ففتح الله لهم نفقا فى الأرض ، فساروا فيه سنة ونصفا ، حتى خرجوا من وراء الصين ، وهم هنالك حنفاء مسلمون ، يستقبلون قبلتنا . وذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن جبريل عليه السلام ، ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل : هل تعرفون من تكلمون ؟ قالوا : لا . قال : هذا محمد النبى

الأمى ، فآمنوا به ، وقالوا : يارسول الله ان موسى أوصانا : من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منى السلام ، فرد محمد على موسى السلام . ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة . ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم ، وكانوا يسبتون ، فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت . وعن مسروق : قرىء بين يدى عبد الله ـ يعنى هذا الحديث ـ فقال رجل : إنى منهم. فقال عبد الله ـ لمن كان فى مجلسه . وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئا ؟ من يهدى بالحق وبه يعدل ـ قلت : هذه قصة واضحة البطلان ، والعجب من الزمخشرى كيف خفى عليه بطلانها ! ! ونظيرها : مارواه ابن مردوية عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم مر ليلة الاسراء على يأجوج ومأجوج ودعاهم إلى الاسلام ، فأبوا ، قال : « فهم فى النار مع كفرة الجن والإنس » وهذا حديث باطل ، فى سنده نوح ابن أبى مريم المتهم بالكذب(١) .

قوله تعالى (هو الذى خلقكم) يابنى آدم (من نفس واحدة) هى نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) وهى حواء (ليسكن إليها) ليطمئن إليها ويأنس بها (فلما تغشاها) فلما جامع الذكر منكم امرأته (حملت حملا خفيفا) أى حبلت منه ، وكان الحبل فى أوله خفيفا (فمرت به) فقامت وقعدت وتصرفت به لخفته عليها (فلما أثقلت) كبر الولد فى بطنها وأثقل حركتها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا) ولداً أونسلا (صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) حيث سموا أولادهم عبد العزى وعبد شمس وعبد مناة وعبد المسيح (فتعالى الله عما يشركون) وقد دل الجمع فى (خلقكم) وفى (يشركون) على أن التثنية فى (دعوا ـ جعلا) مراد بها نوعا الذكر والأنثى من بنى آدم . وقد تكلمت على هذه الآية فى قصة آدم عليه السلام . وبينت نكارة الحديث الوارد

(١) كان يقال له : نوح الجامع ، قال بعض الحفاظ : لجمعه فنونا من العلم إلا الصدق

عن سمرة ، فى أن الشيطان قال لحواء ـ وهى حامل ـ سمى ولدك عبد الحارث ليعيش ، وكان لايعيش لها ولد ، فسمته بذلك الاسم فعاش .

ومن بدع التفاسير : قول الزمخشرى . ووجه آخر ، وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم آل قصى . ويراد : هو الذى خلقكم من نفس قصى ، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ، ليسكن إليها . فلما آتاهما ماطلبا من الولد الصالح السوى . جعلاله شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبدالعزى وعبد قصى وعبد الدار ، وجعل الضمير فى يشركون لها ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه . قلت : بل هو بعيد ، وتخصيص للآية بدون دليل .

وما حكاه أبو مسلم الأصفهانى فى تفسيره بقوله : وقال قوم : معنى (جعلا له شركاء) أى طلب من الله أمثالا للولد الصالح ، فشركا بين الطلبتين وتكون الهاء فى قوله (له) راجعة إلى الصالح لا إلى الله تعالى . ويجرى مجرى قول القائل . طلبت منى درهما ، فلما أعطيتك أشركته بآخر ، أى طلبت آخر مضافا اليه . وعلى هذا الوجه لا يمتنع أن يكون قوله (جعلا) والخطاب كله . متوجها إلى آدم وحواء عليهما السلام . قلت : لكنه وجه بعيد جداً يرده قوله (فتعالى الله عما يشركون) .

٧ ــ ومن سورة الأنفال

قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (إذا دعاكم لما يحييكم) من أمر الدين ، لأنه سبب الحياة الأبدية . وقيل : لما يحييكم من علوم الدين والشرائع ، لأن العلم حياة ، كما أن الجهل موت قال بعضهم :

لاتُعجبن الجهولَ حلّتُه فذاك ميت وثوبُه كفن

قال المرتضى : ويمكن فى الآية وجه آخر ، وهو : أن يكون المراد بالكلام الحياة بالحكم لا بالفعل ، لأنا قد علمنا أنه عليه السلام كان مكلفا بجهاد المشركين المخالفين لملته وقتلهم . وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شرطها . فكأنه تعالى قال : استجيبوا للرسول ولا تخالفوه فإنكم إذا خالفتم ، كنتم فى الحكم غير أحياء ، من حيث تعبد عليه السلام بقتالكم وقتلكم . فإذا أطعتم كنتم فى الحكم أحياء .

ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (من دخله كان آمنا) وانما أراد تعالى أنه يجب أن يكون آمنا ، وهذا حكمه ، ولم يخبر بأن ذلك لامحالة واقع . قلت : فىهذا الوجه بعد وتكلف فى التقدير . ثم الخطاب موجه إلى المؤمنين ولا يتصور[1] أن يخالفوا جميعاً بالكفر ، حتى يجب قتالهم وقتلهم . فهذا الوجه جدير بأن يكون من بدع التفاسير . وتنظيره بقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) غلط . لأن هذه الجملة من جملة الآيات البينات . وهى فى المعنى معطوفة على (مقام ابراهيم) والتقدير : فيه آيات بينات قوم ابراهيم وأمن داخله من غضب الله وعذابه . قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) يفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه . وهو كناية ـ بطريق الاستعارة التصريحية التبعية ـ عن كونه تعالى أقرب للشخص من قلبه وأقرب من قلبه لذاته ، فلا يستطيع طاعة ولا معصية إلا بإرادته . روى أبو نعيم عن سفيان الثورى . أن شابا سأله بمكة ، فقال . هل عرفت الله ؟ قلت . نعم قال . كيف عرفته ؟ قلت بأنه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ، ويصور الولد فى الرحم . قال ، ياسفيان ماعرفت الله حق معرفته قلت . كيف تعرفه أنت ؟

---

(١) لأنه يستحيل شرعا أن تجتمع الأمة كلها على الكفر ، لحديث (لاتجتمع أمتى على ضلالة » وهذا من خصائص الأمة المحمدية : ومن هنا كان إجماع العلماء حجة ، كما هو مبين فى كتب الأصول

قال . بفسخ الهم ، ونقض العزم . هممت ففسخ همى ، وعزمت فنقض عزمى ، فعرفت أن لى ربا يدبرنى .

قلت . هذه القصة تبين بوضوح كيف يحول الله بين المرء وقلبه ، بفسخ همه ، ونقض عزمه . وانظر ماتقدم فى قوله تعالى (ربنا لاتزغ قلوبنا) وقيل يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله ، وإبطال تمييزه . لأنه يقال لمن فقد عقله أنه بغير قلب . قال الله تعالى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أى عقل ، وهذا من بدع التفاسير ، لأن من فقد عقله ، سقط عنه التكليف ، وأى فائدة فى أن يأمر الله عباده بأن يعلموا أنه يزيل عقل المكلف ويذهب عنه التكليف ؟ ! ثم كيف ترتبط هذه الجملة بقوله (وأنه إليه تحشرون) ؟ وهل يكون المعنى . واعلموا أنكم إليه تحشرون فاقدى العقول ؟ ساقطى التمييز .

وقيل . المعنى . أنه تعالى يحول بين المرء وبين مايدعوه إليه قلبه من المعاصى ، بالأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، لأنه لو لم يكلف الشخص مع ما فيه من الشهوات لم يكن له عن القبيح مانع فكأن التكليف حائل بينه وبينه ، بما فيه من زجر ومنع . وليس يجب فى الحائل أن يكون فى كل موضع مما يمتنع معه الفعل . لأنا نعلم أن المشير منا على غيره ـ فى أمر كان قد هم به ـ أن يجتنبه ، يصح أن يقال حال بينه وبين فعله . قلت . هذا من بدع التفاسير أيضاً ، وبيان ذلك من وجوه :

أحدها : أن النفس هى الداعية إلى القبيح ، قال يوسف عليه السلام (وما أبرىء نفسى أن النفس لأمارة بالسوء) ولم يقل . وما أبرىء قلبى أن القلب لأمارة بالسوء .

ثانيها : أن حمل (يحول) على : يمنع بالأمر والنهى والوعد والوعيد ، مجاز ، وهو خلاف الأصل ، والمعنى الحقيقى المتبادر من اللفظ ما تقدم : أنه يفصل بين المرء وقلبه بتصاريفه وأحكامه ، وهذا المعنى هو المراد هنا من جهة أخرى ، وهى

ثالثها : إفادة أن الله تعالى يملك القلوب ويتصرف فيها ، وأنهم ان لم يستجيبوا للرسول ، حال بينهم وبين قلوبهم، فلاتجد قبولا للطاعة ولاتتذوق حلاوتها . وأنهم اليه يحشرون فيجازيهم على مافرط منهم .

وقيل : يحول بين المرء وقلبه بالموت ، فلا ينتفع بقلبه ، وهذا حث على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف . كأنه تعالى قال : بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت ، فيحول بينكم وبين الانتفاع بقلوبكم ، ويتعذرعليكم ماتسوفون به نفوسكم من التوبة بقلوبكم .

قال المرتضى : ويقوى ذلك قوله تعالى (وأنه اليه تحشرون) قلت : هذا من بدع التفاسير أيضا . لأن المكلف إذا مات ، حيل بينه وبين حياته والانتفاع بجوارحه كلها . ولاخصوصية للقلب فى هذا ، ثم هو معنى مجازى والمعنى الحقيق ماقررناه وأوضحناه

وهذه التفاسير الثلاثة ، للمعتزلة ومن وافقهم من الإمامية الذين لايعترفون بأن الله تعالى يصرف قلب المكلف عن الايمان أو الطاعة ان شاء . لأن ذلك قبيح عندهم ، والله لايفعل القبيح . لكنهم لايقدرون أن ينكروا مايحسه الشخص أحيانا من عزمه على الطاعة أو المعصية ، وتصميمه على تنفيذها . ثم عند التنفيذ ينصرف قلبه ، وينفسخ عزمه وتصميمه . مع وجود الداعى ، وفقدان المانع . ولا تعليل لذلك إلا بأنه من فعل الخالق سبحانه وتعالى .

٨ — ومن سورة التوبة

قوله تعالى (كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) إلا : قرابة وقيل : عهداً . وقيل : جؤاراً ، وهورفع الصوت عندالمحالفة ، لأنهم كانوا يرفعون أصواتهم عند المحالفة ، إعلانا لها ، وتأكيدا لعقدها . وجمع إل ، إلال كقداح .

ومن بدع التفاسير : إلا أى الله تعالى ، ومن لغات جبريل : جبرئل بفتح الجيم وكسر الهمزة وتشديد اللام ، على أن جبر : عبد ، وال : الله . وفى المختار : الإل بالكسر ، هو الله عز وجل . قلت . لعله معرب عن اللغة السريانية أو العبرانية . وهو فى الآية منكر ، فلا يصح أن يكون معناه إلها أو ربا ، ثم بعد هذا فأسماء الله توقيفية ، أى لا يصح أن يسمى الله باسم إلا إذا جاء صريحا فى آية ، مثل الأسماء المذكورة فى خواتيم سورة الحشر ، أو جاء فى حديث صحيح مثل . مقلب القلوب .

« تنبيه » يقع فى كتب الروحانيات مثل شمس المعارف أسماء غريبة . يقول عنها أصحاب تلك الكتب : إنها أسماء الله تعالى باللغة السريانية . غافلين عما قرره علماء الشريعة أن تسمية الله بها لا تجوز ، كما لا تجوز تلاوتها ولا كتابتها فى جدول بقصد الاستشفاء أو التبرك ، لأنها لم تأت فى آية قرآنية ، ولا حديث نبوى صحيح . كذلك يذكر جماعة من الصوفية باسم « آه » مستندين إلى مارواه الديلمى فى مسند الفردوس والرافعى فى تاريخ قزوين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على مريض يعوده ـ وكان يئن ـ فقال له أهله : اسكت ، فقد حضر النبى صلى الله عليه وسلم . فقال « دعوه يئن فإن الأنين اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه العليل » وهذا حديث واهى ، لايجوز العمل به ، ففى سند الديلمى محمد ابن أيوب بن سويد الرملى ، وهو وضاع وسند الرافعى فيه ثلاث علل :

إحداها : أنه وجادة :

ثانيتها : أن فيه ليث بن أبى سليم ، وهو ضعيف مختلط ، رفّاع للموقوفات .

ثالثتها : أن فيه رواة مجهولين .

قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم) قال الزمخشرى : عفا الله عنك ،

كناية عن الجناية ، لأن العفو رادف لها . ومعناه : أخطأت وبئس مافعلت
قلت : هذا من بدع التفاسير .

والحقيقة : أنه لاجناية ولا خطأ ، لسبب واضح . هو أن الجناية أو الذنب أو المعصية ، مخالفة النهى ، ولم يسبق من الله نهى عن الاذن للمنافقين . والنبي صلى الله عليه وسلم أذن لهم اجتهاداً منه ، فكيف تنسب إليه جناية ؟ ! بل لو فرض أنه أخطأ ، لكان مثابا على اجتهاده[1] ، غير مؤاخذ بخطئه ، وهو صلى الله عليه وسلم لم يخطىء ، لأنه سلك ماهو أوفق بخلقه ، من التيسير على أصحابه ، والميل إلى ستر حالهم ، وتفويض أمرهم إلى الله تعالى ، لكن الله أراد منه أن يكون شديداً على المنافقين فهو كقوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) فالاذن للمنافقين كان جائزا بحسب الأصل ، ثم نسخ بهذه الآية ، كما كان الاستغفار لهم والصلاة عليهم جائزين ، ثم نسخا بقوله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) وفاعل الحكم المنسوخ ـ قبل نسخه ـ لايكون عاصيا ، بل هو مثاب مبرور .

وقوله تعالى (عفاالله عنك) استفتاح كلام، على عادة العرب فى استفتاح مخاطباتهم بهذه الجملة ، أو بقولهم : غفر الله لك ، أوأطال الله بقاءك . ونحو ذلك ، لايقصدون المدلول اللفظى للكلام ، وإنما يريدون تكريم المخاطب إذا كان عظيم القدر ، فهذه الجملة تفيد تكريم النبي لاتجريمه ، وقد عقد المرتضى فى أماليه مسألة أجاب فيها عن الآيات التى يفيد ظاهرها عتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال عن هذه الآية : فأما قوله تعالى (عفا الله عنك) فليس يقتضى معصية ، وذاك أن المقصد فى الغالب بمثل هذا الخطاب التعظيم

---

(١) لحديث الصحيحين « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد »

للمخاطب ، واستيضاح ما عنده فيما يفعله . ألا ترى أن الواحد منا يقول لغيره : لم كان كذا وكذا ؟ رحمك الله وغفر لك ! وهو لا يقصد إلا الملاطفة له ، وحسن المحاورة ، ولا يقصد الاستيضاح له عن زلة ، وإنما الغرض الاجمال فى الخطاب .

وقد صار ذلك عرفا بين الناس ، والمقصد به التوقير والاجلال فأما قوله تعالى (لم أذنت لهم) فليس يجب حمله على العتاب ، لأن هـذه اللفظة ليست موضوعة لذلك خاصة ، بل قد تطلق ويراد بها الاستفهام ، وتارة يراد بها التقرير ، وتارة العتاب ، وهى محتملة لجميع المذكور . فلم نحملها فى حق النبى صلى الله عليه وسلم على العتاب دون بقية الأقسام ؟ ! وغاية ما فى ذلك حمله على ترك الأولى حسب ما تقدم فى الآيات .

٩ ـ ومن سورة يونس

قوله تعالى (ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) قال الزمخشرى : فان قلت : كيف جاز النظر على الله تعالى ؟ وفيه معنى المقابلة ؟ قلت : هو مستعار للعلم المحقق الذى هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر ، وعيان المعاين فى تحققه . قلت : حاصل كلامه نفى النظر عن الله تعالى ، بدعوى استلزامه المقابلة وهى فى حقه ممتنعة .

وهذا من بدع التفاسير ، ومن غلطاته الشنيعة التى يردها النص الصريح . فمن أسمائه تعالى الثابتة فى القرآن والسنة البصير .

وقال تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) والرؤية والنظر واحد .

ودعوى استلزامهما للمقابلة باطلة ، لأن الله تعالى منزه عن الجسمية ولوازمها ، فكما أنه تعالى موجود لا فى مكان ولا فى جهة ، كذلك يرى

وينظر من غير جارحة ولا مقابلة ، ونفى النظر عنه ، ينافى كماله المطلق سبحانه وتعالى ، لكن جاء فى عبارة له مايفيد أنه يفرق بين النظر والرؤية بأنها لاتستدعى المقابلة ، فإنه قال ـ فى الكلام على قوله تعالى (كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) ـ وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام ، يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه ، إذا حضر واستمع مايجرى بينكما وبينه ، فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ، فان قلت : لم جعلت (مستمعون) قرينة (معكم) فى كونه من باب المجاز . والله يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع ؟ قلت : ولكن لايوصف بالمستمع على الحقيقة ، لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء ، والاستماع من السمع ، بمنزلة النظر من الرؤية اه .

وتوضيح ماأشار اليه : أن الاستماع إلى الشيء ، معناه الإصغاء والإمالة اليه ، والله سبحانه منزه عن ذلك ، بل يتعلق سمعه بجميع المسموعات من غير إصغاء وإمالة ، وكذلك النظر ، معناه تأمل الشيء بالعين ، والناظر فى المقلة السواد الأصغر الذى فيه إنسان العين ، فمن هنا كان النظر مستلزما للمقابلة ، والله تعالى أعلم ، ومن هنا جاء التعبير بالنظر عن المقابلة ، فى قوله تعالى (وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون) وتراهم أى الأصنام يقابلونك بعيون كأنها حقيقية ، وهم لايبصرون حقيقة ، لأن عيونهم مصنوعة .

قوله تعالى (فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه) بفتح الهمزة أى بأنه ، وبكسرها على الاستئناف (لاإله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) قال الزمخشرى : كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات ، فى ثلاث عبارات [1] ، حرصا على القبول .

---

(١) هى : آمنت ، إنه لاإله إلاالذى آمنت به بنواسرائيل ، وأنا من المسلمين. هذا على قراءة كسر همزة انه ، باعتبارها جملة مستأنفة ، وعلى فتحها تكون مفعولا لآمنت فى قوة المفرد .

ثم لم يقبل منه ، حيث أخطأ وقته ، وقاله حين لم يبق له اختيار قط ، وكانت المرة الواحدة كافية فى حال الاختيار ، وعند بقاء التكليف (آلآن) أتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار ، حين أدركك الغرق ، وآيست من نفسك (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الإيمان (فاليوم ننجيك) نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر . حال كونك (ببدنك) أى جسما لا روح فيه (لتكون لمن خلفك) بعدك (آية) عبرة فيعرفوا عبوديتك ومهانتك ، وليتيقن بنو اسرائيل هلاكه . لأنهم كانوا فى شك منه ، حتى رأوه مطروحا على الساحل . ففرعون مات كافرا عدواً لله ورسوله ، وأجمع العلماء على ذلك منذ الصحابة والتابعين وهلم . لكن القاضى عبد الصمد الحنفى ـ وكان موجودا سنة ثلاثين وأربعمائة ـ حكى فى تفسيره عن مذهب الصوفية : أن الإيمان ينتفع به ولو عند معاينة العذاب .

قلت : ومن هنا قال الشيخ محيي الدين ابن العربى الحاتمى فى الفتوحات المكية ، بصحة إيمان فرعون ، ونجاته من العذاب . وإليك حاصل كلامه فى هذا المعنى : لما حال الغرق بين فرعون وبين أطماعه ، لجأ إلى الله تعالى ، وإلى ما أعطاه باطنه مما كان عليه من الذلة والافتقار . فقال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل . لرفع الإشكال ، كما قالت السحرة لما آمنت : آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ، لرفع الارتياب ، وإزاحة الاشكال . ثم قال : وأنا من المسلمين . فخاطبه بلسان العتب (آلآن) أظهرت ماكنت قبل قد علمته (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فى أتباعك (فاليوم ننجيك) فبشره قبل قبض روحه (لتكون لمن خلفك آية) أى لتكون النجاة علامة له . إذا قال ماقلته كانت له النجاة مثل ماكانت لك . إذ العذاب مايتعلق إلا بظاهرك وقد أريت الخلق نجاتك من العذاب . فكان ابتداء الغرق عذابا ، وصار الموت فيه شهادة خالصة . كل ذلك حتى لاييأس أحد من رحمة الله تعالى ، فانه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . والأعمال بالخواتيم . وأما قوله تعالى (فلم يك ينفعهم

إيمانهم لما رأوا بأسنا) فكلام محقق فى غاية الوضوح . فإن النافع هو الله ، فما نفعهم إلا الله . وقوله تعالى(سنة الله التى قد خلت فى عباده)يعنى الإيمان عند رؤية البأس . وانما قبض فرعون ولم يؤخر فى أجله ، فى حال إيمانه ، لئلا يرجع إلى ماكان عليه من الدعوى .

وأما قوله تعالى (فأوردهم النار) فما فيه نص أنه يدخلها معهم ، بل قال الله تعالى (أدخلوا آل فرعون) ولم يقل : أدخلوا فرعون . ورحمة الله أوسع من حيث أن لايقبل إيمان فرعون المضطر ، وأى اضطرار أعظم من اضطرار فرعون فى حال الغرق ؟ والله تعالى يقول (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فقرر للمضطر إذا دعاه الإجابة وكشف السوء عنه : فلم يكن عذابه أكثر من الغرق فى الماء اه .

قلت : الذى يدل عليه القرآن والحديث : أن الإيمان عند المعاينة لا يقبل ، فإن قوله تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) يفيد أن الايمان عند المعاينة لاينفع أصحابه إلا قوم يونس فقط نفعهم ايمانهم عند المعاينة . ولو كان ينفع كما نقل عن الصوفية لم يكن لاستثناء قوم يونس معنى ، وفى مسند أحمد وسنن الترمذى وابن ماجه وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم من حديث ابن عمر « أن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » وهذا الحديث مثل قوله تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) وفرعون إنما آمن عند الغرغرة ومعاينة العذاب ، فكان إيمانه غير مقبول . لهذا ، ولأنه لم يؤمن بموسى ، وقياسه على السحرة غلط ، فإنهم صرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين ، ثم صرحوا بخصوص ربوبيته لموسى وهرون ، وفى ذلك تصريح بإيمانهم بهما . ولكن فرعون لم يذكر

موسى تصريحا ولا إشارة ، لأنه كان يراه ربيب نعمته وقوله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) خطاب تقريع وتوبيخ ، بدليل تذكيره بعصيانه وإفساده . وذلك يدل على غضب الله منه وبغضه له ، كما قال تعالى فى آية أخرى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) ولو قبل إيمانه لما عيره بعصيانه وإفساده . بل كان يقول له : الآن نقبلك ونكرمك ، جريا على عادة الله مع عباده حين يتوبون إليه ويقبل توبتهم ، فإنه يعرض عن ذكر مامضى من كفرهم وعصيانهم .

ومن حكم الصوفية : ذكر الجفاء وقت الصفاء ، من الجفاء . والعتاب إنما يكون بين الأحباب ، ابقاء على المودة التى بينهم . كما قال الشاعر :

ويبقى الود مابقى العتـــاب

وفرعون كان عدو الله إلى آخر لحظة من حياته فكيف يعاتبه الله الذى إنما يعاتب أصفياءه ؟ ثم ماسمعنا عتابا يذكر فيه لفظ العصيان والافساد . وفى الآية نكتة تفيد القطع بأنها ليست خطاب عتاب . وهى : أن الله تعالى لم يقل له : وكنت مفسدا . بل قال : وكنت من المفسدين ، وهذه الجملة أبلغ ، لأنها تفيد أن فرعون عريق فى الإفساد . بحيث أنه صار ـ لعراقته فيه ـ من جملة المفسدين الذين صار الفساد والإفساد دأبا لهم وعادة وانجاؤه ببدنه الخالى من الروح ، ليكون آية على فساد دعواه الألوهية، فالضمير فى (لتكون) لفرعون لأن الخطاب موجه إليه ، وجعله عائدا على النجاة المأخوذة من لفظ ننجيك ، يرده أمران :

١ ـ أنه تشتيت للضمائر من غير ضرورة تدعو اليه .

٢ ـ أنه إن أريد النجاة من الغرق ، فهو لم ينج منه ، وإن أريد النجاة من عذاب يوم القيامة ، فرمى جسمه على الساحل لا يدل عليها ولا يقتضيها ، لأن جسم الميت لا يظهر عليه أثر عذاب ولا نعيم .

فالخلق لم يروا نجاة فرعون ، وانما رأوا جسمه خاليا من الروح مطروحا على الشاطىء ، كما نرى نحن جسم الكافر الميت سليما ليس فيه شيء ، وروحه تعذب عند الله تعالى . وكذلك فرعون وقومه تعذب أرواحهم عند الله كما قال تعالى (وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) فروح فرعون معذبة الآن بعرضها على النار صباحا ومساء وعبرت الآية بآل فرعون ، لأمرين :

١ - الإشارة إلى أن آله إذا عذبوا أشد العذاب ، كان هو أولى بذلك منهم ، لأنهم إنما كفروا باضلاله وحملهم على عبادته ، وقوله لهم : أنا ربكم الأعلى .

٢ - الاستهزاء به والطنز عليه ، وذلك أغيظ له ، وأشد لعذابه ، وهذا كما يقال لأبي جهل يوم القيامة وهو فى أشد العذاب (ذق انك أنت العزيز الكريم) استهزاء به ، وسخرية منه .

وقوله تعالى (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) يدل أيضا على أن الإيمان عند معاينة العذاب لا ينفع صاحبه . وسياق الآية يقتضى ذلك (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ، فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده) فى الأمم التى لا ينفعهم الإيمان عند معاينة العذاب (وخسر هنا لك الكافرون) فهؤلاء الأقوام آمنوا عند معاينة البأس وهو العذاب كما آمن فرعون فلم يقبل منهم وخسروا .

ولما كان الايمان المقبول سببا لنجاة صاحبه من العذاب ، نسب النفع إليه ، على عادة القرآن والسنة فى نسبة الأمور إلى أسبابها الشرعية أو العادية ، وان كان النافع فى الحقيقة هو الله ، فى كل شيء ، لا فى الايمان

وحده ؛ فالتمسك به فى هذه الآية ، مخالف لنظمها وسياقها ، كما هو مخالف لعادة القرآن والسنة على مامر .

وقوله تعالى (فأوردهم النار) نص فى دخولها ، وذلك أن الله تعالى يقول (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) بمحمود العاقبة ثم بين عدم رشاده بقوله (يقدُم) يتقدم (قومه يوم القيامة) وهم يتبعونه كما كانوا يتبعونه فى الدنيا (فأوردهم النار) وهو سابقهم اليها وهم وراءه .. ولا أحد يفهم من هذه العبارة أنه أدخلهم النار وعاد لأن ادخال الكفار والعصاة للنار يوم القيامة وظيفة الزبانية ، وهم طائفة من الملائكة خصهم الله بهذا العمل ، لايتولاه غيرهم . حتى إن الرسل المكرمين لايقدرون أن يدخلوا مكذبيهم النار ، لأنهم غير مأذون لهم فى ذلك : فكيف يتأتى لفرعون أن يورد قومه النار ثم يرجع ؟!! أأعطى فى ذلك اليوم مالم يعط الرسل ؟ أم جعل مساعداً للزبانيه ؟ أم ماذا ؟ والله تعالى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف عنه السوء ، ولو كان كافرا ، لكن لايقبل إيمان الكافر إذا آمن عند معاينة العذاب ، ولا توبة العاصى إذا غرغر (١) . فمقام الايمان غير مقام الدعاء ، وخلط أحدهما بالآخر غلط واضح .

---

(١) شرط قبول إيمان الكافر أو توبة العاصى أمران : أن يكون مختارا غير مضطر ، وأن يكون غائبا عنه العذاب المتوعد به على الكفر أو المعصية فاذا عاين العذاب كحال فرعون عند الغرق ، أو المحتضر عند الغرغرة . كان إيمانه أو توبته حينئذ عن اضطرار ، فلم يقبل منه ، لفقد الشرطين . أما الدعاء فاجابته منوطة بالاضطرار ، فكلما كان الداعى أشد ضرورة ، وأكثر مصائب ، كان أقرب إلى الاجابة ، ولو كان كافرا . لأنه خاص بالدنيا ولاعلاقة له بالآخرة . ولو أن فرعون دعا الله عند الغرق لأنجاه ، وأعطاه فرصة الحياة مرة أخرى ، كما أنجى غيره من المشركين عند اضطرارهم ، لكنه لم يوفق للدعاء ولجأ الى الإيمان مضطرا ، فلم يقبل منه ، ولم ينج من الغرق .

وبعد : فالدليل على موت فرعون كافرا ـ سوى مامر ـ قوله تعالى يخاطب أم موسى عليهما السلام (أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له) تخبر هذه الآية بأن فرعون عدو لله وعدو لرسوله موسى ، وخبر الله تعالى لايدخله نسخ ولا تغيير . وهذا الدليل لم يتفطن له جميع من تكلم فى إيمان فرعون وكفره ، [1] وانظر تتمة هذا البحث فى كتابنا « خواطر دينية » .

قوله تعالى (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك) على سبيل الفرض و التقدير (فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) وهم علماء اليهود ، لأن أمرك مكتوب عندهم فى كتبهم ، وهم يعرفونك كما يعرفون أبناءهم .

والآية لاتقتضى وقوع الشك منه صلى الله عليه وسلم ، لأن حرف «ان» لايفيد حصول شرطه ، بل يفيد الشك فى حصوله ، ولهذا يدخل على المستحيل كما فى هذه الآية . وهى مثل قوله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) ومن المعلوم بالضرورة أن وقوع الشك أو الشرك منه صلى الله عليه وسلم محال .

وقيل : الخطاب ـ فى الآية ـ موجه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد أمته، مثل (ياأيها النبى إذا طلقتم النساء) والمعنى على هذا : فان كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم ، كقوله (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) .

وقيل : الخطاب لأى سامع ممن يجوز عليه الشك . وهذا كقول العرب: إذا عز أخوك فهن .

ومن بدع التفاسير : قول من قال : « ان » نافية ، بمعنى « ما » ، وتقديرا لكلامه على هذا : فما كنت فى شك مما أنزلنا إليك . لكنه لا يتلاقى مع قوله (فاسأل) ووجهه الزمخشرى بأن المعنى : فما كنت فى شك فاسأل. يعنى

---

(١) ألف العلامة الجلال الدوانى الصديقى رسالة « إيمان فرعون » أيدفيها رأى ابن العربى الحاتمى ، طبعت أخيرا . وألف ابن سلطان القارى رسالة فى كفر فرعون ، لم تطبع بعد .

لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ، ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى ، وفى هذا الوجه تكلف لايخفى . ووجهه المرتضى بأنه تعالى لو أمره بسؤال أهل الكتاب من غير أن ينفى شكه ، لأوهم أمره بالسؤال أنه شاك فى صدقه ، وصحة ماأنزل عليه . فقدم نفى الشك عنه ، ليعلم أن أمره بالسؤال ، ليزول الشك عن غيره ، لا عنه .

قلت : الإيهام المشار إليه باطل ، لما مر . وغفل المرتضى والزمخشرى عن أن تعقيب النفى بالأمر لايحسن فى اللغة العربية ، لأنه يورث ركاكة لا يجوز تخريج القرآن عليها ، وإنما يحسن تعقيب النفى بالفعل المضارع كما هو معلوم .

١٠ — ومن سورة هود

قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض) أى ما كانوا يعجزون الله فى الدنيا لو أراد أن يعاقبهم فيها (وما كان لهم من دون الله من أولياء) أنصار ينصرونهم منه ، ويمنعون عنهم عقابه . لكنه أراد تأخيرهم إلى هذا اليوم (يضاعف لهم العذاب) لأنهم أضلوا غيرهم ، ولأنهم (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) أى أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق ، وشدة كراهتهم له كأنهم لايستطيعون السمع والإبصار[1] وفى الآية وجوه أخرى .

ومن بدع التفاسير : جعل ما مصدرية ، والمعنى : يضاعف لهم العذاب فى الآخرة مدة كونهم يستطيعون السمع والأبصار ، أى ماداموا أحياء ،

---

(١) يؤيد هذا التأويل قوله تعالى فى سورة الكهف (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لايستطيعون سمعا) فهذه الآية تفيد أنهم ـ لكراهتهم الحق وبغضهم له ـ كانت أعينهم مغطاة عنه ، لاتراه وكانوا لايستطيعون سماعه

فجعل استطاعة السمع والأبصار كناية عن حياتهم . ذكر هذا الوجه ، المرتضى فى أماليه ، وهو ضعيف لا يفيده سياق الآية .

قوله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) المراد بالتنور : الذى يختبز فيه . وهو تنور كان بدار نوح عليه السلام ، جعل فوران الماء منه علامة على الطوفان الذى أغرق قومه . وهذا القول هو الراجح . لأنه الحقيقة وهى الأصل ولأنه قول ابن عباس والحسن ومجاهد ، ولأن فوران الماء من مكان النار أقوى فى المعجزة ، وأبلغ فى الدلالة على ما أعقبه من طوفان لم يحصل مثله فى العالم .

وقيل : التنور وجه الأرض ، وأن الماء نبع وفار على وجه الأرض وهذا قول عكرمة ، ويروى عن ابن عباس أيضا ، قال المرتضى : والعرب تسمى وجه الأرض تنورا .

وقيل : أعالى الأرض ، روى عن قتادة فى قوله تعالى (وفار التنور) قال : ذكر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفها .

وقيل : معنى (وفار التنور) : برز النور ، وظهر الضوء وتكاثفت حرارة دخول النهار ، وتقضى الليل .

وقيل : معنى وفار التنور : اشتد غضب الله عليهم وحل وقوع نقمته بهم . فذكر تعالى التنور مثلا لحضور العذاب . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « الآن حمى الوطيس » حين اشتدت الحرب يوم بدر .

وهذا التأويل والذى قبله من بدع التفاسير . لأنهما مجازان بعيدان . ولأننا لا نجزم بأن اللغة التى خاطب الله بها نوحا كان فيها مثل هذه المجازات المعروفة فى لغة العرب .

ولهذه المناسبة ننبه إلى قاعدة هامة ، غفل عنها المفسرون قاطبة فيما

أعلم ، إذ لم أجد منهم من فطن لها ، أو نبه إليها . وبسبب غفلتهم عنها وقع كثير منهم فى تفسيرات مخطئة ، مثل التفسيرين المذكورين ، لجنوحهم إلى المجاز أو الاستعارة أو الكناية فى معظم الآيات التى يفسرونها ، غير مفرقين بين موضوعاتها ، مع أن الآيات التى يكون موضوعها الحديث عن الأمم التى لا تتكلم العربية ، مثل قوم نوح وإبراهيم وبنى اسرائيل ، وحكاية ما حصل بين رسلهم وبينهم من مجادلات ، وما توجه إليهم من خطابات تكليفية وغيرها . لا يجوز حملها على المجاز كما مر فى المقدمة ، بل يجب حملها على الحقيقة ، لأنها مجزوم بإرادتها رغم اختلاف اللغات ، ورغم تباين التقاليد والعادات ، فنحن حين نحمل التنور على تنور الخبز ، نجزم بأنه كان عند نوح وقومه تنانير يخبزون فيها وان كانوا قد يسمونها باسم آخر ، فنكون قد أصبنا المعنى المراد حتما . ولكن حين نحمل (فار التنور) على برز النور ، أو : اشتد غضب الله ، أو نحو هذا من المعانى المجازية ، نكون مخطئين أشد الخطأ . لأننا لا نعرف هل كان فى لغة نوح وقومه مجاز وكناية ؟ وليس لدينا ما يدلنا على أصول لغتهم ، وكيفية تخاطبهم . والمعروف على وجه العموم : أن اللغة العربية انفردت من بين اللغات بما فيها من كثرة التجوز والاتساع ، حتى ادعى ابن جنى أن أغلب اللغة مجاز ، وذلك لسيلان أذهان العرب وسلامة فطرتهم ، وسرعة لمحتهم للمعانى التى يصوغونها فى قالب تشبيه أو مجاز أو كناية ، وهم أنفسهم ما توصلوا إلى هذا الرقى اللغوى حتى تهذبت طباعهم ، ورق إحساسهم واكتسبوا برحلاتهم إلى الشام واليمن والبحرين وأطراف الجزيرة العربية معارف وحضارات نقلوها إلى لغتهم ، وأضافوها إلى كلامهم ، وتعريبهم لكلمات فارسية ورومية وحبشية ونبطية شاهد صدق على ذلك ، ولهذا لا تجد فى لغة العرب القدماء ، وهم العرب العاربة ، وهى البائدة . ما تجده فى لغة العرب المستعربة ، من الثروة اللسانية التى بلغت ذروتها زمن البعثة المحمدية ، بحيث يكاد يجزم الباحث فى لغاتهم أن العرب جنسان مختلفان .

وإذا كان الفرق بين متقدمي العرب ومتأخريهم بهذه المنزلة من البعد ، فالفرق بينهم وبين من لايتكلم بلغتهم ، أشد بعدا وأبعد منزلة . إذن فمن الخطأ البين حمل مايحكيه القرآن من كلام الاسرائيليين وغيرهم على مذاهب العرب في التجوز والاتساع ، لما قررناه وأوضحناه ، فشد يدك على هذه القاعدة التي لاتجدها في غير هذا الكتاب .

قوله تعالى (قال يانوح انه ليس من أهلك) وعد الله تعالى نوحا عليه السلام بانجاء أهله من الطوفان ، فلما هلك ابنه مع الهالكين فيه ، قال نوح يخاطب ربه (رب ان ابني من أهلي الذين وعدتني بانجائهم ، وإن وعدك الحق) ، لايدخله خلف . فكيف هلك ابني ؟ فقال الله تعالى (ان ابنك ليس من أهلك) الموعود بنجاتهم . لأنه كافر ، ولا نجاة لكافر .

ومن بدع التفاسير : قول بعض الجهلة ممن تسوروا علم التفسير بغير علم . ليس من أهلك ، أي هو ابن زنا . وهذا قول شنيع ، يدل على الجهل بمقام النبوة . ثم هو مردود بنص القرآن . (١) فإن الله تعالى قال قبل هذه الآية (ونادى نوح ابنه) فنسب الابن إليه ، وهذا دليل قاطع على أنه ابنه لصلبه ، إذ من المستحيل أن يكون ابن زنا وينسبه الله إليه وأما قوله (ليس من أهلك) فهو من حذف الصفة للعلم بها كما تقدم ، قوله تعالى (ولو شاء ربك) هداية الخلق (لجعل الناس أمة واحدة) أهل دين واحد ، وهو دين الإسلام (ولا يزالون مختلفين) على أديان شتى (إلا من رحم ربك) فهداهم للاتفاق على دين الحق (ولذلك) المذكور من الاختلاف والرحمة (خلقهم) خلق

---

(١) في الآية نكتة ترد هذا القول الشنيع ، لم أر من تعرض لها ، وهي أن نوحا قال : رب إن ابني من أهلي ، فاشتمل كلامه على أمرين : نسبة الابن إليه ، وأنه من أهله . ورد الله عليه قال : انه ليس من أهلك ، فأقر بنوته . ونفى أنه من أهله الناجين ، ولو لم يكن ابنه لقال له : ليس ابنك ولا من أهلك .

أهل الاختلاف لتكون عاقبتهم الاختلاف ، وأهل الرحمة لتكون عاقبتهم الرحمة ، فاللام للعاقبة (وتمت كلمة ربك) وهى (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) .

ومن بدع التفاسير : قول أبى مسلم الأصفهانى : معنى (مختلفين) : أن خلف هؤلاء الكفار يخلف سلفهم فى الكفر ، لأنه : سواء قولك : خلف بعضهم بعضا ، وقولك : اختلفوا . وسواء قولك : قتل بعضهم بعضا ، وقولك : اقتتلوا . ومنه قولهم : لا أفعل كذا ، مااختلف الجديدان . قلت : ان صح ان اختلفوا بمعنى خلف بعضهم بعضا ، فالسياق لايساعد عليه ، ولا يناسبه وإنما يناسب الاختلاف بالمعنى السابق ، وهو المشهور المتعارف .

١١ – ومن سورة يوسف

قوله تعالى (ولقد همت به) أى همت بمخالطته (وهمّ بها) هم بمخالطتها (لولا أن رأى برهان ربه) لخالطها ، والمراد : أن نفسه مالت إليها بحكم الطبيعة البشرية ، كما يميل الصائم للماء البارد مثلا ، لكنه لم يعزم . بل امتنع عن قربانها خوفا من الله تعالى ، ورعاية لزوجها الذى تركه معها مؤتمنا له ، فلم يكن ليخونه . فقد تبين أن هم يوسف على حقيقته ، وأن جواب لولا محذوف ، تقديره ماذكرناه . وأن البرهان الذى رآه خشية الله المطلع على سره ونجواه ، وقبح خيانة سيدها الذى أكرم مثواه .

ومن بدع التفاسير : جعل « هم بها » جواب « لولا » مقدما عليها ، والتقدير : ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها . امتنع همه بها ، لرؤية برهان ربه ، فلم يقع هم أصلا وهو مردود بوجهين .

أحدهما : أن جواب لولا لايتقدم عليها ، لأنها فى حكم الشرط ، وللشرط صدر الكلام . ولأنها مع مافى حيزها من الجملتين ، مثل كلمة واحدة ،

ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض ، أما حذف بعضها إذا دل عليه دليل فجائز .

ثانيهما : أنه لو لم يقع منه هم أصلا ، لما كان ممدوحا عند الله تعالى ، ولا كان له ثواب ، لأن استعظام الصبر على الابتلاء ، على حسب عظم الابتلاء ، وكذلك الثواب على قدر المشقة ، ولا مشقة فى عدم الهم . ولو كان همه كهمها عن عزيمة ، لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين .

وقيل : وهم بها أى هم بضربها ، لولا أن رأى أن ضربها يؤدى إلى اتهامه بأنه أراد بها سوءاً فامتنعت منه . وهذا من بدع التفاسير أيضا ، وهو قول سخيف . وكيف يضربها وهو خادم عندها ؟ غريب فى بيتها ؟ بل قوله لها (معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون) يدل على أنه كان يخاطبها بأسلوب مؤدب مهذب ، وهـــذا هو اللائق بمقامه ، والمناسب لموقفه منها .

قال الزمخشرى : وقد فسر همّ يوسف بأنه حل الهميان ، وجلس منها مجلس المجامع . وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع ، وهى مستلقية على قفاها . وفسر البرهان بأنه سمع صوتا : إياك وإياها ، فلم يكترث له ، فسمعه ثانيا ، فلم يحمل به ، فسمع ثالثا : أعرض عنها ، فلم ينجع فيه . حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته ، وقيل : ضرب بيده فى صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

وقيل : صيح به : يا يوسف لا تكن كالطائر ، كان له ريش ، فلما زنى قعد لا ريش له وقيل : بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم ، مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ، فرأى فيها : ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا . فلم ينته ، ثم رأى فيها : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه . فقال الله لجبريل عليه السلام : أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة . فانحط جبريل وهو يقول : يا يوسف أتعمل عمل السفهاء

وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء ؟! وقيل : رأى تمثال العزيز .

وقيل : قامت المرأة إلى صنم لها كان هناك ، فسترته . وقالت : استحى منه أن يرانا . فقال يوسف : استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ، ولا أستحى من السميع البصير العليم بذوات الصدور .

قلت : هذه الأقاويل من بدع التفاسير . وقد أحسن ردها الزمخشرى حيث قال : ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة ، لنعيت عليه ، وذكرت توبته واستغفاره ، كما نعيت على آدم زلته ، وعلى داود ، وعلى نوح . وعلى أيوب . وعلى ذى النون ، وذكرت توبتهم واستغفارهم . كيف وقد أثنى عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت فى ذلك المقام الدحض . وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولى القوة والعزم . ناظرا فى دليل التحريم ووجه القبح ، حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ، ثم فى القرآن الذى هو حجة على سائر كتبه ، ومصداق لها . ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها (١) ، ليجعل له لسان صدق فى الآخرين . كما جعله لجده ابراهيم عليه السلام ، وليقتدى به الصالحون إلى آخر الدهر ، فى العفة وطيب الازار ، والتثبت فى مواقف العثار . قلت : ويعجبنى قول الإمام الرازى فى هذا المقام : ان يوسف عليه السلام برأه الله تعالى بقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وبرأته النسوة (قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء) وبرأته امرأة العزيز ، قالت

---

(١) ولم يضرب سورة لأيوب عليه السلام مع عظيم ماأصابه من الضر حتى أثنى الله عليه بقوله تعالى (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) ويؤخذ من هذا أن الصبر عن المعصية مع قوة الشهوة الداعية إليها أعظم عند الله من الصبر على البلية فى جسم أو مال أو ولد . وجاء فى حديث ضعيف : ان الصبر على فعل الطاعة بثلاثمائة حسنة ، والصبر على المصيبة بستمائة ، والصبر عن المعصية بتسعمائة.

(الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وبرأه الشيطان (قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) فمن يتهمه بعد ذلك ؟ !

قوله تعالى (فلما رأينه أكبرنه) الآية ، أى فلما رأين يوسف أعظمنه وهبن حسنه الرائع . ومن بدع التفاسير : ماحكاه الزمخشرى فقال : وقيل : أكبرن بمعنى حضن ، والهاء للسكت يقال : أكبرت المرأة إذا حاضت . وحقيقته : دخلت فى الكبر ، لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر ، إلى حد الكبر . وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت فى الخدور العواتق

قلت : هذا التفسير ـ وان لم يتعقبه هو ولا البيضاوى ـ بعيد من السياق ، بل هو من غريب اللغة الذى يجب اجتنابه فى تفسير القرآن الكريم .

قوله تعالى (وقال) يوسف (للذى ظن) أيقن (أنه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) سيدك فقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما فخرج (فأنساه) أى الساقى (الشيطان ذكر) يوسف عند (ربه فلبث فى السجن بضع سنين) فمعنى الآية :أنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك فمكث يوسف فى السجن بضع سنين ، ونسب الانساء للشيطان ، لأن ما ترتب عليه من مكث يوسف فى السجن مظلوما يحبه الشيطان .

ومن بدع التفاسير : أن الضمير فى (أنساه) يعود على يوسف . والمعنى أنس الشيطان يوسف ذكر ربه عز وجل حين استغاث بمخلوق ، فعوتب ببقائه فى السجن بضع سنين وهذا باطل . لأن الله تعالى أخبر عن يوسف فى أول السورة بأنه من عباده المخلصين فكيف يخبر عنه هنا بأن الشيطان تمكن منه وأنساه ذكر ربه تعالى ؟ ! هذا تناقض يتنزه عنه القرآن ! و قوله للساقى : اذكرنى عند الملك ليس استغاثة بمخلوق ، لكنه سعى مشروع ، لبيان حاله عند الملك ، حتى يتخلص من الظلم الواقع عليه . وكيف ينسى

الله أو يستغيث بسواه ، وهو الذى يدعو فى السجن إلى توحيده وعبادته؟!

قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) أى ادخلوا مصر آمنين ان شاءالله . فالمشيئة تعلقت بالدخول مكيفا بالأمن . وهذا نحو قوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) .

قال الزمخشرى : ومن بدع التفاسير : ان قول (ان شاء الله) من باب التقديم والتأخير ، وأن موضعها مابعد قوله (سوف أستغفر لكم ربى) فى كلام يعقوب ـ أى سوف أستغفر لكم ربى ان شاء الله ـ ولا أدرى ما أقول فيه وفى نظائره ؟ قلت : ومن بدع التفاسير أيضا استنباط بعض الجهلة من الآية ان كل من دخل مصر آمن . وهى لاتدل على ذلك ، لأنها خطاب من يوسف لأهله ، وإنما يستفاد الأمان من قوله تعالى عن البيت الحرام (ومن دخله كان آمنا) فهذه الآية تعم كل داخل للبيت الحرام كما هو ظاهر .

١٢ — ومن سورة الرعد

قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) تسبيح الرعد إما أن يراد به : تسبيح سامعيه ، فيكون من مجاز الحذف .

أو يراد به : دلالته على قدرة الله تعالى ، متلبسة بدلالته على نعمة المطر التى يحمد عليها ، فيكون من قبيل الإستعارة .

أو : أنه يسبح حقيقة ، وان كنا لا نفقه تسبيحه .

أو : هو اسم ملك موكل بالسحاب كما جاء فى حديث ابن عباس عند احمد والترمذى والنسائى . ولفظه عن ابن عباس ، قال : أقبلت يهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا ياأبا القاسم عن الرعد ؟ قال « ملك من الملائكة موكل بالسحاب ، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب » قالوا : فما هذا الصوت ؟ قال « زجره للسحاب » قالوا : صدقت . وروى

الطبرانى فى الأوسط من طريق أبى عمران الكوفى عن ابن جريج وعطاء عن جابر : أن خزيمة بن ثابت ـ وليس بالأنصارى ـ سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد ، فقال : هو ملك بيده مخراق إذا رفع برق وإذا زجر رعدت وإذا ضرب صعقت ، والحديث ضعيف .

قال الزمخشرى : ومن بدع المتصوفة ، الرعد صعقات الملائكة ، والبرق زفرات أفئدتهم ، والمطر بكاؤهم .

١٣ — ومن سورة ابراهيم

قوله تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به) أى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره ، اقناطا لهم من التصديق بهم . وهذا التأويل واضح قوى ، يتفق مع سياق الآية ونظمها .

وقد أبدى الشريف المرتضى وجوها من التأويل ، تعتبر من بدع التفاسير .

منها : أن المعنى : فردوا أيديهم فى أفواههم عاضين عليها غيظا وحنقا على الأنبياء .

ومنها : فردوا أيديهم فى أفواههم ، مشيرين إلى رسلهم بأن يكفوا عن الكلام ، ويمسكوا عنه . وهذه عادة من يريد أن يسكت غيره ، وسياق الآية لا يناسب هذين الوجهين ، وإنما يناسب إقناط الرسل من الإيمان كما قدمنا .

ومنها : أن يكون الضمير فى (أفواههم) يعود على الرسل . والمعنى أن الكفار ردوا أيديهم فى أفواه الرسل ، مانعين لهم من الكلام ، كما يفعل المسكت منا لصاحبه ، المراد لقوله ، وهــذا ينافى سياق الآية كما سبق ،

وينافى نظمها الذى يقتضى عود الضمير فى (أيديهم وأفواههم) على الكفار .

ومنها : أن الضميرين يعودان على الرسل ، والمعنى : أن الكفار ردوا أيدى الرسل فى أفواههم ، ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ، وهذا - مع بعده - ينافى سياق الآية ونظمها .

ومنها : أن الضمير فى (أفواههم) يعود على الرسل ، والمعنى : أن الكفار ردوا أيديهم فى أفواه الرسل مكذبين لهم وليست الأيدى على حقيقتها ، وإنما ذكرت كناية عن التكذيب وعدم الاصغاء إلى قول الرسل ، وفى هذا الوجه تعسف ومخالفة لنظم الآية .

ومنها : أن المراد بالأيدى النعم ، والضمير المضافة هى اليه يعود على الرسل . وفى بمعنى الباء ، والضمير فى (أفواههم) يعود على الكفار ، والمعنى : فردوا نعم الرسل بأفواههم ، أى ردوا وعظهم وانذارهم . وفى هذا الوجه تعسف كبير ، وخروج على نظم الآية .

ومنها : أن تكون الأيدى بمعنى النعم أيضا ، والضمير فيها يعود على الكفار . والمعنى : فردوا بأفواههم نعمهم التى جاء بها الرسل وأضيفت النعم اليهم ، لأنها من نعم الله تعالى عليهم ، وهذا الوجه أكثر تعسفا من سابقه وكيف تضاف النعم اليهم وهم منسلخون منها ، بل رافضون لها كل الرفض .

ومنها : وجه نقله عن أبى مسلم الأصفهانى فى تفسيره . وهو : عود الضميرين فى (أيديهم وأفواههم) على الرسل . والمراد بالأيدى ما نطق به الرسل من البينات والحجج التى جاءوا بها قومهم ، لأنها من نعم الله تعالى . ولما كان ما يعظ به الأنبياء قومهم وينذرونهم به ، إنما يخرج من أفواههم ، فردوه وكذبوه . قيل : انهم ردوا أيديهم فى أفواههم ، أى أنهم ردوا القول من حيث جاء ، قال : ولا يجوز أن يكون الضمير فى ذلك للرسل اليهم ، كما تأوله بعض المفسرين . وذكر أن معناه : أنهم عضوا عليهم أناملهم غيظا ،

لأن رافع يده إلى فيه ، والعاض عليها ، لا يسمى رادا ليده إلى فيه إلا إذا كانت يده فى فيه فيخرجها ثم يردها . قلت هذا الوجه بعيد متكلف ، وهو ينافى نظم الآية أيضا . وما اعترض به ، أجاب عنه المرتضى بأنه قد يقال: رد يده إلى فيه وإلى وجهه . وعاد فلان يقول كذا ، ورجع يفعل كذا . وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه . ولو لم يسغ هذا القول تحقيقا ، لساغ تجوزا واتساعا . على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا الفعل شيئا بعد شيء ، وتكرر منهم ، فلهذا جاز أن يقول : ردوا أيديهم فى أفواههم ، لأنه قد تقدم مثل هذا الفعل ، فلما تكرر ، جازت العبارة عنه بالرد ، قلت: يؤيد جوابه الأول قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) وشعيب لم يكن فى ملتهم قط .

١٤ — ومن سورة النحل

قوله تعالى (لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) قال الفراء : لا جرم هى كلمة كانت فى الأصل بمنزلة لابد ، ولا محالة ، فجرت على ذلك وكثرت ، حتى تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقا . فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم ألا تراهم يقولون لا جرم : لآتينك ! وليس قول من قال : جرمت ، حققت بشيء .

قلت : ومعنى الآية على هذا واضح ، فبعد أن حكى الله تعالى قولهم (أن لهم الحسنى) رد عليهم بصيغة تفيد التأكيد فقال (لا جرم) أى حقا أن لهم النار ، فلا نافية للجنس ، وجرم مبنى على الفتح فى محل نصب اسمها ، وأن لهم النار فى موضع رفع خبرها ، وقيل ـ فى لا جرم ـ وجهان آخران .

أحدهما : أن : لا ، نفى لكلام الكفار السابق . وجرم فعل ماضى بمعنى حق وثبت وأن لهم النار ، فى موضع رفع فاعل ، وتقدم قول الفراء : أن من جعل جرم بمعنى حق ، ليس كلامه بشيء .

والثانى : أن : لا . نفى لـكلام الـكفار أيضا ، وجرم فعل ماض معناه كسب ، وأن لهم النار ، فى موضع نصب مفعول ، والفاعل محذوف يفهم من السياق . والتقدير على الوجهين : لا . رد لـكلام الـكفار . ثم ابتدأ : حق أن لهم النار ، أو : كسب قولهم أن لهم النار . والتقدير فيه تـكلف ظاهر ، وهو يقتضى الوقف على : لا . وليس أحد من القراء وقف عليها ، فالوجهان جديران بأن يكونا من بدع التفاسير .

« تنبيـــه » فى : لاجرم ، لغات : بفتح الجيم والراء وهى المشهورة . وبضم الجيم وسكون الراء . ولا : جر ، بحذف الميم . ولا ذا جرم ، قال الشاعر :

إن كلابا والدى لاذا جرمْ

لأهدرن اليوم هدرا فى النعم . هدر المعنّى ذى الشقاشق اللهمْ (١)

والتصرف فيها على هذا الوجه يؤيد قول الفراء ، ولو كان جرم فعلا ماضيا ، ماتصرفوا فيه بحذف آخره ، وتغير بنيته .

قوله تعالى(وأوحى ربك إلى النحل)الآية . النحل معروف ، والشراب الذى يخرج من بطنه معروف أيضا ، وهما المرادان بهذه الآية عند جميع المفسرين .

قال الزمخشرى : ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل : على وقومه . وعن بعضهم : أنه قال ـ عند المهدى الخليفة ـ إنما النحل بنو هاشم ،

---

(١) لأهدرن : لأصوتن ، من الهدير ، وهو تردد صوت البعير فى حنجرته . والمعنى ـ بصيغة اسم المفعول ـ الفحل من الإبل يحبس فى الحظيرة إذا هاج حتى لايضرب فى النوق . والشقاشق جمع شقشقة وهى كالرئة تخرج من فم البعير عند هيجانه ، واللهم بكسر الهاء الذى يلتهم أى يبتلع مايعرض له .

يخرج من بطونهم العلم ، فقال له رجل : جعل الله طعامك وشرابك مايخرج من بطونهم . فضحك المهدى ، وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة . قلت: لهم كثير من مثل هذه التأويلات المضحكة .

١٥ — ومن سورة الإسراء

قوله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) معنى الآية : أن الناس ينادون يوم القيامة بإمامهم الذى اقتدوا به فى الدنيا . فيقال : ياأتباع القرآن ، ياأتباع ابراهيم ، ومن هنا كان فى هذه الآية فضيلة كبيرة لأهل الحديث جعلنا الله منهم ، لأنهم أتباع النبي صلى الله عليه وسلم تبعية خاصة .

قال الزمخشرى : ومن بدع التفاسير : أن الامام جمع أم ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم . وأن الحكمة فى الدعاء بالأمهات دون الآباء ، رعاية حق عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحسن والحسين ، وأن لا يفتضح أولاد الزنا [1] وليت شعرى أيهما أبدع ؟! أصحة لفظه ؟ أم بهاء

(١) روى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس مرفوعا « أن الله يدعو الناس يوم القيامة بأمهاتهم سترا منه على عباده » فى اسناده وضاع . وورد نحوه من حديث عائشة وأنس بأسانيد ضعيفة ، ولذا ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات . وهو معارض بحديث أبى الدرداء مرفوعا « انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم » رواه أبو داود باسناد جيد . وفى صحيح البخارى عن ابن عمر مرفوعا « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان » فهذان الحديثان الصحيحان يفيدان أن الناس يدعون يوم القيامة بأسماء آبائهم . وهم فى ذلك اليوم مشغولون بأنفسهم ، يفر أحدهم من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه فكيف يتفرغ للبحث فى أن هذا ابن زنا أو ابن حلال ؟ ! ! وإنما يكون هذا فى الدنيا حيث يتفرغ الناس للطعن فى الأنساب ، والبحث فى العورات . ولهذا جاء فى حديث تلقين الميت أن يقال له : يافلان بن فلانة ، فان لم يعرف اسمها فليقل يا فلان ابن حواء . والحكمة فى هذا ستر الميت من قالة الناس وعيبهم له .

حكمته ؟ ! قلت : قد وفاه حقه من التهكم ! لأن جمع الأم أمات وأمهات ، وولادة عيسى من غير أب ، جعلها الله شرفا له وآية ، ولم يذكره الله فى القرآن إلا منسوبا لأمه ، تنبيها لعابديه على أنه مخلوق . وشرف الحسن والحسين ، لايحتاج إلى هذه الحكمة المخترعة . وأولاد الزنا إن كانوا صالحين لايضيرهم أن يدعوا بأمهاتهم . بل بركة صلاحهم تنفعهم فى ذلك الموقف ، فلا يفضحهم الله تعالى . والعجيب أن البيضاوى ـ وهو ملخص للكشاف ـ اعتمد هذا التفسير ! ! ووجهه بأن الأم تجمع على امام ، كخف وخفاف . وان صح له هذا فكيف يفعل بقراءة الحسن (بكتابهم) ؟ وهى وان كانت شاذة ، تجرى مجرى الآحاد ، فى تعيين المعنى المراد . حسبما تقرر فى علم الأصول . وأيضا فإن الآية تفيد دعاء (كل أناس) باعتبارهم جماعة يتبعون داعيا من الدعاة ، أو كتابا من الكتب . وحكمة الدعاء على هذا الوجه : إظهار فضل أهل الحق وفوزهم ، وهم أتباع القرآن ودين الإسلام . وإظهار خسران غيرهم ، وهم أتباع أى دين غير دين الإسلام ، والحديث الصحيح يؤيد هذا أيضا .

قوله تعالى (ومن كان فى هذه) الدنيا (أعمى) عن الحق لايبصر رشده (فهو فى الآخرة أعمى) عن طريق النجاة (وأضل سبيلا) أبعد طريقا عنه . والعمى كناية عن عمى قلوب الكفار ، وعدم اهتدائهم لطريق الحق وهذه الآية فى معنى : ومن أوتى كتابه بشماله فهو لايهتدى لقراءة كتابه قراءة تسره وتنجيه . لأنها ذكرت فى مقابلة قوله تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا) .

ومن بدع التفاسير : جعل الآية مرتبطة بقوله تعالى (ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) إلى قوله (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ثم قال (ومن كان فى هذه) يعنى عن هذه النعم وعن هذه

العبر (أعمى فهو فى الآخرة) يعنى فهو عما غيب عنه من أمر الآخرة (أعمى وأضل سبيلا) ونسب هذا التفسير إلى ابن عباس، ولا يصح عنه، وهو تأويل ركيك .

قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ذكر المرتضى فى هذه الآية وجهين، ثم قال :

وثالثها : أنهم سألوا عن الروح الذى هو القرآن . وقد سمى الله القرآن روحا فى مواضع من الكتاب ، وإذا كان السؤال عن القرآن ، فقد وقع الجواب موقعه لأنه قال لهم : الروح الذى هو القرآن من أمر ربى ، ومما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ليجعله دلالة وعلما على صدقه . وليس من فعل المخلوقين ، ولا مما يدخل فى امكانهم . وهذا جواب الحسن البصرى ويقويه قوله تعالى (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) فكأنه تعالى قال : ان القرآن من أمرى وفعلى ، ومما أنزلته علما على نبوة رسولى ، ولو شئت لرفعته وأزلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله . قلت : ليس فى الآية دلالة بالمطابقة ولا بالتضمن ولا بالإشارة على أن القرآن من فعل الله ، وأنه يتصرف فيه تصرف الفاعل فيما يفعله . وتسميته فى غير هذه الآية روحا مجاز ، لأن الناس يحيون به فى دينهم ، كما يحيا الجسد بالروح . فما ذكره فى هذا الوجه ، من بدع التفاسير . لأنه حمل الآية مالا تحتمله ، واستخرج منها ـ بطريق التعمد الخاطىء ـ الإفادة بخلق القرآن . وهو القول الذى خالف به المعتزلة ومن وافقهم من الامامية اجماع علماء المسلمين ، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . والروح الذى سألت عنه قريش ـ باشارة اليهود كما فى سيرة ابن هشام هو الروح الذى به قوام الجسم وحياته ، كما تقدم للمرتضى فى الوجهين السابقين . أما القرآن فلا معنى لسؤالهم عنه ، لأنهم إما أن يؤمنوا به ، فيعلموا أنه وحى من الله تعالى . وإما أن لا يؤمنوا به ، فيقولوا : سحر ، أو شعر ، أو كهانة ، كما حكى الله قولهم فى غير آية ورد عليهم .

١٦ — ومن سورة الكهف (١)

قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) نزلت الآية تأديبامن الله لنبيه، حين قالت له قريش ـ باشارة اليهود ـ : أخبرنا عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف ، فقال « ائتونى غدا أخبركم » ولم يستثن ، فأبطأ عليه الوحى خمسة عشر يوما حتى شق عليه ، وكذبته قريش . والاستثناء من النهى ، أى ولا تقولن . لأجل شيء تعزم عليه : إنى فاعله فيما يستقبل إلا أن يشاء الله ، أى إلا متلبسا بمشيئته قائلا : إن شاء الله ، أو : ولا تقولن ذلك إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه . وفيه لفظ وقت محذوف للعلم به ، تقديره : إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله .

حكى الزمخشرى هذين الوجهين ، وقال :

وفيه وجه ثالث . وهو أن يكون إن شاء الله . فى معنى كلمة تأبيد كأنه قيل : ولا تقولنه أبداً . ونحوه قوله (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) .

قلت : هذا من بدع التفاسير ، لأنه صرف للآية عن ظاهرها إذ معناها الظاهر والمناسب لسبب نزولها ، هو ماتقدم . ولأن جعل المشيئة لتأبيد النهى ، مبنى على مذهبه الاعتزالى فى أن مشيئة الله لاتتعلق بجميع أفعال المكلفين ، كما سبق فى خطبة الكتاب ، بل ببعضها .

---

(١) من بدع التفاسير فى كلب أهل الكهف : أنه كان أسدا ، وقيل : كان رجلا ، سمى بالكلب لملازمته للحراسة . حكاهما الحلبى فى سيرته . والصواب أنه كان كلبا حقيقة .

وحكى المرتضى وجها آخر عن الفراء ، وهو جعل الإستثناء متصلا بفاعل والتقدير : ولا تقولن إنك فاعل إلا مايشاء الله . قال : ومارأيته ـ أى هذا التأويل ـ إلا له ، ومن العجب تغلغله إلى مثل هذا ! ! مع أنه لم يكن متظاهرا بالقول بالعدل . قلت : هذا التأويل اعتزالى محض إذ معناه أن الله تعالى ينهى أن يقول أحد : إنى أفعل ذلك الا أن يشاء الله . معلقا فعله على مشيئة الله ، لأنه تعالى لايشاء جميع مايفعله الناس . وهذا من بدع التفاسير ، لأنه ينافى مدلول الآية ، ولا يتفق مع سبب نزولها ، ويظهر أن الفراء كان معتزليا يخفى مذهبه ، كما كان أبو عبيدة خارجيا يخفى مذهبه إلا عن أصدقائه الخاصين به ، وكان يغضب من أحدهم إذا لم يقل عن قطرى بن الفجاءة : أمير المؤمنين .

وقال أبو على الجبائى فى تفسيره : انما عنى بذلك أن من كان لا يعلم أنه يبقى الى غد حيا . فلا يجوز أن يقول : إنى سأفعل غدا كذا وكذا ، فيطلق الخبر بذلك وهو لايدرى ، لعله سيموت ولا يفعل ماأخبر به ، لأن هذا الخبر إذا لم يوجد مخبره على ماأخبر به فهو كذب ، وإذا كان المخبر لا يأمن أن لا يوجد مخبره ، لحدوث أمر من فعل الله نحو الموت أو العجز أو بعض الأمراض . أولا يحدث ذلك ، بأن يبدو له هو فى ذلك ، فلا يأمن أن يكون خبره كذبا فى معلوم الله عز وجل . وإذا لم يأمن ذلك ، لم يجز أن يخبر به . ولا يعد خبره هذا من الكذب إلا بالاستثناء الذى ذكره الله تعالى ، فاذا قال : إنى صائر غدا إلى المسجد ان شاء الله ، فاستثنى فى مصيره مشيئة الله أمن أن يكون خبره فى هذا كذبا ، لأن الله إن شاء أن يلجئه إلى المصير إلى المسجد غدا ، ألجأه الى ذلك ، وكان المصير منه لامحالة . فاذ كان ذلك على ما وصفنا ، لم يكن خبره هذا كذبا ، وإن لم يوجد منه المصير الى المسجد ، لأن لم يوجد ما استثناه فى ذلك من مشيئة الله تعالى ـ يعنى مشيئة الالجاء ـ قال : وينبغى ألا يستثنى مشيئة دون مشيئة لأنه إن استثنى فى

ذلك مشيئة الله لمصيره الى المسجد على وجه التعبد ، فهو لا يأمن أن يكون خبره كذبا لأن الانسان قد يترك كثيرا مما يشاؤه الله تعالى منه ، ويتعبده به . ولو كان استثناء مشيئة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع ما كان أيضا لا يأمن أن يكون خبره كذبا . لأنه قد يجوز ألا يصير الى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادرا مختارا ، فلا يأمن من الكذب فى هذا الخبر دون أن يستثنى المشيئة العامة التى ذكرناها . فاذا دخلت هذه المشيئة فى الاستثناء ، فقد أمن أن يكون خبره كذبا ، إذ كانت هذه المشيئة متى وجدت ، وجب أن يدخل المسجد لا محالة . قلت : هذا التأويل . رغم ما أطال صاحبه فى تقديره ـ باطل لأربعة أمور :

أحدها : تخصيص لفظ « شيء » وهو أعم ألفاظ العموم بعمل الطاعة .

ثانيها : جعل مذهبه الاعتزالى ـ وهو أن مشيئة الله لا تتعلق بأفعال المكلف المحرمة والمكروهة والمباحة ـ دليلا على التخصيص المذكور .

ثالثها : تقييد المشيئة بمشيئة الالجاء .

رابعها : اتخاذ مذهبه فى أن العبد يفعل باختياره ما لا يشاؤه الله منه ، دليلا على التقييد المذكور ، ومن بدع التفاسير أن يجعل المفسر مذهبه دليلا على تخصيص لفظ فى الآية ، أو تقييده . مضافا إلى غفلته عما يفيده سياق الآية ، وسبب نزولها .

قوله تعالى (حتى أبلغ مجمع البحرين) هو المكان الذى وعد موسى لقاء الخضر عنده ، وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق وقيل : طنجة ، وقيل : إفريقيا .

قال الزمخشرى : ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين فى العلم ، قلت : حكاه البيضاوى مصرحا بأن موسى بحر فى علم

(الظاهر) والخضر بحر فى علم (الباطن) وقد قدمنا أن مايحكيه القرآن عن السابقين من الأنبياء وغيرهم يجب حمله على الحقيقة كما هنا . فاننا لاندرى هل كان فى لغة موسى التى خاطب بها فتاه ، إطلاق البحر على العالم مجازا أو كناية كما فى لغة العرب ؟ وعلى هذا فالمتيقن فى « مجمع البحرين » هو المعنى الحقيقى الذى ذكره المفسرون جميعهم ، وماعداه من بدع التفاسير حتما » (١) .

١٧ — ومن سورة مريم

قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) معنى الآية : أن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام الى مريم ، فظهر لها فى صورة بشر ، إلى آخر القصة .

وروى أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبىّ بن كعب - فى قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية وذكر حديثا طويلا فى استنطاق الأرواح ، وهى فى عالم الذر - وفيه : وكان روح عيسى عليه السلام من تلك الأرواح التى أخذ عليها العهد والميثاق فى زمن آدم . فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فأرسله الله فى صورة بشر ، فتمثل لها بشرا سويا ، فحملت الذى يخاطبها . فدخل من فيها ! ! قال ابن تيمية : هذا غلط ، فإن الذى أرسل إليها : الملك الذى قال لها (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) ولم يكن الذى خاطبها بهذا عيسى بن مريم ، هذا محال . قلت : أبو جعفر الرازى ضعيف ، ضعفه أحمد وغيره . وقال ابن حبان : كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير . وهذا من مناكيره الواصلة إلى حد

---

(١) نعم يصح أن يكون تفسيرا إشاريا ، وهو نوع من التفسير بينته فى الخاتمة .

الاستحالة وعدم الامكان ، فهو من بدع التفاسير . [1] .

قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) يعنى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم) يعنى فى حياتهم الدنيا (فى ضلال مبين) فى ذهاب عن العلم بالله ودينه . وصيغة « أسمع وأبصر » تفيد التعجب ، والمراد أن أسماع الكفار وأبصارهم جدير بأن يتعجب منها يوم القيامة ، لعلمها بما كانت عنه صما وعميا فى الدنيا ـ قال المرتضى : أما قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) فهو على مذهب العرب فى التعجب ، ويجرى مجرى قولهم : ما أسمعه ! وما أبصره ! والمراد بذلك : الاخبار عن قوة علومهم بالله فى تلك الحال ، وأنهم عارفون به على وجه لااعتراض للشبهة عليه . وهذا يدل على أن أهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة . ولا تنافى بين هذه الآية ، وبين الآيات

---

(١) من بدع التفاسير فى مسألة مريم : رأى أبداه لى طبيب فى كلية الطب وكان يعنى بالمسائل الدينية ، وحاصل ذلك الرأى : أن مريم كانت خنثى ، عندها عضو الذكر وعضو الأنثى ، والدليل على هذا : أن أم مريم لما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى ، فرد الله كلامها بقوله (والله أعلم بما وضعت) أى ليست أنثى كما فهمت ، بل خنثى فلما بعث الله لها جبريل فى صورة بشر ، علمها الاستمناء فخرج المنى من عضو الذكر ودخل فى عضو الأنثى فحملت . وهذا معنى قوله : لأهب لك غلاما زكيا . بتعليمك طريق التناسل بين العضوين ، وبسببه جاء الغلام ، وهو أيضا معنى النفخ فى فرجها على سبيل الكناية فأوردت عليه قراءة حمزة (والله أعلم بما وضعت) بضم التاء من وضعت ، والقراءات يفسر بعضها بعضا فالجملة على القراءتين المتواترتين تفيد توجع أم مريم وتأسفها على فوات مطلوبها حيث نذرت لخدمة بيت المقدس ذكرا فجاء المولود أنثى . ولهذا حصل التعقيب بجملة (وليس الذكر كالأنثى) أى ليس الذكر المطلوب كالأنثى المعطاة . فلم يجد مخلصا من هذا الإيراد . والحقيقة أنه رأى باطل جدا . ويكفى فى بطلانه قول الملائكة لمريم (يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) .

التى أخبر عنهم فيها بأنهم لايسمعون ولا يبصرون ، وبأن على أبصارهم غشاوة . لأن تلك الآيات تناولت أحوال التكليف . وهى الأحوال التى كان الكفار فيها ضلالا عن الدين ، جاهلين بالله وصفاته .

وهذه الآية تناولت يوم القيامة وهو المعنى بقوله (يوم يأتوننا) وأحوال يوم القيامه لابد فيها من المعرفة الضرورية . وتجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) فأما قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) فيحتمل أن يريد تعالى بقوله (اليوم) الدنيا وأحوال التكليف ، ويكون الضلال المذكور إنما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الحق . فأراد تعالى أنهم فى الدنيا جاهلون ، وفى الآخرة عارفون ، بحيث لا تنفعهم المعرفة .

ويحتمل أن يريد تعالى باليوم يوم القيامة ، ويعنى تعالى بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب ، إلى دار العقاب . فكأنه تعالى قال : أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ، غير أنهم مع معرفتهم هذه وعلمهم ، يصيرون فى هذا اليوم إلى العقاب ، ويعدل بهم عن طريق الثواب ، قلت : فى هذا الوجه بعد لا يخفى .

وقال الزمخشرى : معناه ـ أى أسمع بهم وأبصر ـ : التهديد بما سيسمعون ويبصرون ، مما يسوءهم ويصدع قلوبهم .

ومن بدع التفاسير : ماذكره أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائي فى تفسيره ، فقال : (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أى أسمعهم وبصرهم وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء ، سيكونون فى ضلال عن الجنة ، وعن الثواب الذى يناله المؤمنون . والظالمون الذين ذكرهم الله ، هم هؤلاء الذين توعدهم الله بالعذاب فى ذلك اليوم .

ويجوز أيضا أن يكون عنى بقوله (أسمع بهم وأبصر) أى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم ؛ ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم ، فيؤمنوا بهم ،

ويقتدوا بأعمالهم وأراد بقوله تعالى (لكن الظالمون) لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم ، وهو يعني يوم القيامة ، في ضلال عن الجنة وعن نيل الثواب المبين. قلت : هذان الوجهان باطلان ، تولى ردهما الشريف المرتضى فقال في الوجه الأول : أن الكلام - وإن كان محتملا لما ذكره بعض الاحتمال من بعد - فان الأولى والأظهر ماتقدم ذكره من المبالغة في وصفهم - يعني بإفادة التعجب - وقوله (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) بعد ماتقدم ، لايليق إلا بالمعنى المذكور ، لاسيما إذا حمل اليوم على أن المراد به يوم القيامة . على أن أبا علي جعل قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين)صلة ومتعلقا بقوله تعالى(أسمع بهم وأبصر)والمعنى: أعلمهم وبصرهم بأنهم يوم القيامة في ضلال عن الجنة . والكلام يشهد بأن ذلك لايكون من صلة الأول ، وأن قوله تعالى (لكن) استئناف لكلام ثان . قال :

فأما الوجه الثاني الذي ذكره فباطل ، لأن قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) إذا تعلق بالأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى ، بقي قوله(يوم يأتوننا) بلا عامل ، ومحال أن يكون ظرف لا عامل له : فالأقرب والأولى أن يكون على الوجه الأول مفعولا .

١٨ — ومن سورة طه

قوله تعالى (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أي أريد أخفيها : فأكاد بمعنى أريد . كما جاء يريد بمعنى يكاد في قوله تعالى(جدارا يريد أن ينقض) وهذا من لطائف اللغة العربية : أن تستعمل كلمة مكان أخرى ، لتناسب بينهما فان كاد تدل على قرب وقوع الفعل ، وكذلك من أراد شيئا فقد قرب فعله له . وروى عن سعيد بن جبير ، أنه كان يقرأ (أكاد أخفيها) بفتح الهمزة ، أي أظهرها يقال : خفى الشيء يخفيه إذا أظهره . وهذه قراءة شاذة ، تردها القراءة المتواترة .

وقيل (أكاد) زائدة ، والمعنى : أن الساعة آتية أخفيها .

قال المرتضى فى الأمالى : وقد قيل فيه وجه آخر ، وهو : أن يتم الكلام عند قوله تعالى (آتية أكاد) ويكون المعنى : أكاد آتى بها . ويقع الابتداء بقوله (أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) ومما يشهد لهذا الوجه ، قول ضابىء البرجمى :

همت ولم أفعل وكدت وليتنى ... تركت على عثمان تبكى حلائله

أراد : وكدت أقتله ، فحذف الفعل لبيان معناه . قلت: هذا الوجه بعيد ، ولو كان صحيحا لكان نظم الآية : أكاد ، وأخفيها ، كما جاء فى البيت : كدت، وليتنى . لأن وجود الواو يبين أن الخبر محذوف ، ودعوى زيادة (أكاد) ضعيفة وإن ارتضاها المرتضى ، فالوجهان من بدع التفاسير . وأرى أن ادعاء زيادة حرف أو كلمة فى آية من القرآن ، كادعاء زيادة الكاف فى قوله تعالى (ليس كمثله شىء) وأكاد هنا . يدل على ضعف صاحب الادعاء ، وعدم ادراكه لما فى تلك الحروف والكلمات المدعى زيادتها ، من نكات لطيفة ، يدركها من تعمق فى فهم أسرار القرآن الكريم .

وقال الزمخشرى : أكاد أخفيها فلا أقول : هى آتية ، لفرط إرادتى اخفاءها . ولولا مافى الأخبار بإتيانها ، مع تعمية وقتها من اللطف ، لما أخبرت به .

ومن بدع التفاسير : ماحكاه الزمخشرى فقال : وقيل : معناه : أكاد أخفيها من نفسى . ولا دليل فى الكلام على هذا المحذوف ، ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذى غرهم منه : أن فى مصحف أبى : أكاد أخفيها من نفسى . وفى بعض المصاحف : أكاد أخفيها من نفسى ، فكيف أظهركم عليها ؟!! قلت : قد اعتمد هذا التفسير فى سورة الأعراف ، حيث قال ثمة: (إنما علمها) أى علم وقت إرسائها عنده ، قدا ستأثر به لم يخبر به أحد من

ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، يكاد يخفيها من نفسه . وهذا غلط قبيح ، وكيف خفي عليه - مع فطنته وذكائه - أن خفاء علم الساعة عن الله تعالى محال ؟ ! وأنه لايجوز أن يقال : يكاد يخفيها عن نفسه . ثم من أكبر عيوب الزمخشري حشد شواذ القراءات ، والنقل عن شواذ المصاحف . وتكلف توجيه تلك الشواذ ، بغرائب الأعراب ، ونوادر اللغة بل لايعيب كثيرا من التفاسير غير هذا ، وغير الاعتماد على الاسرائيليات .

قوله تعالى (فغشيهم من اليم) أي البحر (ماغشيهم) أي البعض الذي غشيهم ، والمعنى أن الذي أغرق فرعون وقومه بعض ماء البحر لاجميعه . وهذا تأويل الفراء . واعتمده أبو بكر ابن الأنباري .

وقيل : معنى : (ماغشيهم) تعظيم الأمر وتفخيمه ، والمعنى : فغشيهم من اليم مالايدرك لعظمه . ومثله قوله تعالى (وفعلت فعلتك التي فعلت) ومنه قول أبي النجم :

لله دري مايجن صدري أنا أبو النجم وشعري شعري

قال الزمخشري : (ماغشيهم) من باب الاختصار ، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة ، أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله .

وقيل : (فغشيهم من) جهة (اليم ماغشيهم) من العطب والهلاك .

ومن بدع التفاسير (فغشيهم) أي فرعون وقومه (من اليم ماغشيهم) أي موسى وقومه . وهو مردود بوجهين :

الأول : تشتيت الضمائر ، حيث إن الضمير في (غشيهم) الأولى يعود على فرعون وقومه وفي (غشيهم) الثانية يعود على موسى وقومه ، وتشتيت الضمائر ، يورث في الكلام ضعفا وركاكة .

الثاني : أن البحر لم يغش موسى وقومه ، بل انفرق لهم فسلكوا فيه طريقا يبسا . قال تعالى - في الآية قبل هذه - (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لاتخاف دركا ولا تخشى) .

قوله تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) كان النبي صلى الله عليه وسلم إذانزل عليه القرآن ، وسمعه من جبريل عليه السلام ، قرأ معه مايوحى به إليه أولا فأولا ، قبل انتهاء الوحى ، حرصا على ضبطه وحفظه ، وخوفا من نسيان بعضه . فأمره الله تعالى فى هذه الآية بانتظار ما يوحى إليه ، حتى ينتهى إلى غايته .

وقال له فى آية أخرى (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) فضمن تعالى تحفيظ القرآن له ، وتثبيته فى صدره ، وهذا خرج مخرج الاشفاق عليه ، والترفيه عنه ، كما أشرت إليه فى كتاب (دلالة القرآن المبين على أن النبى أفضل العالمين) .

ومن بدع التفاسير : أن المراد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلاوة القرآن على أمته . وإبلاغ مايسمعه منه إليهم . قبل أن يوحى إليه ببيانه ، والإفصاح عن معناه وتأويله ، لأن تلاوته على من لايفهم معناه ، لاتحسن ومعنى (من قبل أن يقضى إليك وحيه) من قبل أن يقضى إليك وحى بيانه . وهـــذا تفسير اعتزالى يخالف سبب النزول ، ولا يتلاقى مع سياق الآية ولفظها . وهو ـ مع هذا ـ مردود بقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) .

ومن البدع أيضا : قول المرتضى : غير ممتنع أن يريد : لاتعجل بأن تستدعى من القرآن مالم يوح إليك به ، فإن الله تعالى إذا علم مصلحة فى إنزال القرآن عليك أمر بإنزاله ، ولم يدخره عنك . لأنه لايدخر عن عباده الاطلاع لهم على مصالحهم . قلت : هذا تفسير اعتزالى كسابقه . يخالف نظم الآية وسبب نزولها .

قوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) من الغى ضد الرشد . وكان أكله من الشجرة نسيانا ، بدليل الآية السابقة (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) ومن بدع التفاســـير : قول بعضهم : فغوى فبشم من كثرة الأكل .

قال الزمخشري : وهذا ـ وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ماقبلها ألفا . فيقول فى فنى وبقى : فناوبقا ، وهم بنوطى ـ تفسير خبيث ، قلت لنسبة آدم عليه السلام إلى الشره ، وهو دال على الدناءة ، والأنبياء معصومون من الدناءة ومن كل خلق ردىء كعصمتهم من المعاصى .

١٩ ــ ومن سورة الأنبياء

قوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) كأنه خلق منه ، لفرط استعجاله ، وقلة تأنيه . كقولك : خلق حاتم من الكرم ، جعل ماطبع عليه ، كالمطبوع هو منه ، فنى الآية استعارة بالكناية . ويشهد لهذا لتأويل قوله تعالى (وكان الإنسان عجولا) وقال أبوعبيدة وقطرب بن المستنير : إن فى الكلام قلبا ، والمعنى : خلق العجل من الإنسان . وهو مثل قوله تعالى (وقد بلغنى الكبر) أى قد بلغت الكبر . وقوله تعالى (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) أى أن العصبة تنوء بها .

وتقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، والأصل : عرضت الحوض على الناقة ، وهو كثير فى كلامهم ، واختار أبو القاسم البلخى المعتزلى هذا التأويل فى تفسيره ، وأيده بما ذكر له من الشواهد . ثم أورد على نفسه سؤالا ، حاصله : كيف جاز أن يقول : (فلا تستعجلون) وهو خلق العجلة فيهم ! ! وأجاب بأنه قد أعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفها ، وقد يكون الانسان مطبوعا عليها ، وهو مع ذلك مأمور بالتثبت ، قادر على أن يجانب العجلة . وذلك كخلقه فى البشر شهوة النكاح ، وأمره فى كثير من الأوقات بالامتناع منه .

قلت : السؤال والجواب مبنيان على قاعدة المذهب الاعتزالى : أن التكليف لا يتعلق إلا بفعل المكلف المخلوق بقدرته التى خلقها الله فيه ولكن التأويل الذى اختاره . يضعف من جهة أن القلب خلاف الأصل . وإذا كان القصد منه إفادة كثرة وقوع العجل من الإنسان ، فالتأويل الأول أفاد هذا

المعنى بطريق الاستعارة التى هى أولى من القلب لأنها مجاز قريب ، وهو مجاز بعيد .. ومن التفاسير : قول بعضهم العجل الطين بلغة حمير ، والمعنى : خلق الإنسان من طين . وروى ثعلب عن ابن الأعرابى قول الشاعر :

والنبع ينبت بين الصخر ضاحية
والنخل ينبت بين المـــاء والعجل

قال الشريف المرتضى : وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العجل الحمأة ، ولم يستشهد عليه ، لكن البيت الذى رواه ثعلب عن ابن الأعرابى يمكن أن يكون شاهدا له ، وذكر البيت السابق . قال : وإذا صح هذا فوجه المطابقة بينه وبين قوله تعالى (فلا تستعجلون) أن من خلق الإنسان - مع الحكم الظاهرة فيه - من الطين ، لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات ،أو يكون المعنى : أنه لا يجب لمن خلق من الطين المهين أن يهزأ برسل الله وآياته وشرائعه ، لأنه قال تعالى (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً) قلت : فيما أبداه من وجهى المطابقة تكلف . والذى يفيده السياق ، ويقتضيه نظم الكلام أن الله وصف الإنسان بكثرة العجلة ، توبيخا للمشركين وتقريعا لهم ، وهددهم بأنه سيريهم آياته ، ونهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات إبقاء عليهم ، وإفساحا لهم فى الأمر ليرجعوا حتى إذا جاءت الآيات التى استعجلوها ، هلكوا ولم يبق لهم عذر .

وقيل : المراد بالانسان . آدم عليه السلام ، ومعنى (من عجل) أى فى سرعة من خلقه . لأنه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره . وإنما ابتدأه الله ابتداء ، وأنشأه إنشاء .

وقال مجاهد : المراد آدم عليه السلام ، وأن الله خلقه بعد خلق كل شىء ، آخر نهار الجمعة ، على سرعة ، معاجلا به غروب الشمس .

وهذان التفسيران من بدع التفاسير أيضا ، لانهما لا يناسبان سياق الآية ، ولأنه لا يجوز أن يقال : خلق الله آدم على سرعة معاجلا به غروب الشمس .

لأن معاجلة الشيء مخافة فوته ، من صفات المخلوقات، والله تعالى لا يفوته شيء وهو خالق الزمان والمكان .

قوله تعالى (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) هو الجلد الذى يضم الكتاب . والآية تبين عظم قدرة الله تعالى ، وأن السماء مع كبرها وسعتها يطويها يوم القيامة ويضمها ، كما يضم السجل أوراق الكتاب .

ومن بدع التفاسير : ماحكاه الزمخشرى وتبعه مختصرو كلامه كالبيضاوى والنسفى : أن السجل اسم ملك يكتب صحائف بنى آدم . وقيل : اسم صحابى كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم . وليس فى الملائكة ولا فى الصحابة من اسمه السجل .

قوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) معنى الآية : أن الله تعالى كتب فى الكتب المنزلة بعد الكتابة فى اللوح المحفوظ : أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون المتقون، وحكى عنهم قولهم حين دخولها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء) .

ومن بدع التفاسير : قول بعض المعاصرين : أن الأرض يعنى أرض الدنيا يرثها عبادى الصالحون لعمارتها والغرض بهذا التأويل تأييد الاستعمار الأوربى ، والحض على عدم مقاومته ، حيث إن القرآن أخبر بأن لهم وراثة أرض الدنيا . وهذا إلحاد فى القرآن ، وكذب على الله ، وخروج على دينه ، وحض على ترك فريضة الجهاد وإنى أبرأ إلى الله من هذا التأويل ومن صاحبه .

٢٠ — ومن سورة الحج

قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى) إيمان الناس لينجوا من العذاب ، ويعظم له عند الله الثواب . بدليل قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك) قاتلها غما من أجل (ألا يكونوا مؤمنين) فتمنى على حقيقته كما تبين (ألقى الشيطان فى) طريق (أمنيته) الشبه والشكوك فى عقول الناس حتى لا يؤمنوا (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يبطله بما يبديه الرسول من المعجزات والدلائل (ثم يحكم الله آياته) يثبتها فى قلوب الناس وعقولهم (والله عليم) بما يلقى الشيطان (حكيم) فى تمكينه من ذلك ، ليختبر عباده . وتفسير الآية بهذا المعنى واضح معقول ، يتمشى مع نظم القرآن ، ويوافق حال الرسل فى حرصهم على إيمان الناس . وقد ذكره العارف الكبير السيد عبد العزيز الدباغ فى كتاب الإبريز .

ومن بدع التفاسير : ما ذكره كثير من المفسرين ، فقالوا : معنى تمنى : قرأ . واستدلوا بقول الشاعر :

تمنى كتاب الله أول ليلة   تمنى داود الزبور على رسل

قالوا : والمعنى : إلا إذا قرأ ، ألقى الشيطان فى قراءته ما ليس من الوحى بما يرضاه المرسل إليهم . قالوا : وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم ، بمجلس من قريش ، فلما بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه صلى الله عليه وسلم ، بغير علمه به : تلك الغرانيق العلا ، وأن شفاعتهن لترتجى . ففرح المشركون . ولما قرأها على جبريل عليه السلام ، قال له : ما أتيتك بهذا ، فحزن صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله هذه الآيات من سورة الحج ، يسليه بهن .

فهذه القصة وتسمى قصة الغرانيق ـ باطلة ، وإن قال الحافظ ابن حجر

رحمه الله تعالى: لها طريقان صحيحان مرسلان . لأن ما يمس العصمة ، ويتصل بصميم العقيدة ، لا تقبل فيه المسندات الصحيحة ، فضلا عن المراسيل .

وأول نكارة فى تلك القصة : تسلط الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم بإلقاء شيء على لسانه وهو لا يعلم . مع أن من البدهيات العقلية عصمة النبي من الشيطان . فكيف تمكن منه فى هذه الحادثة ؟ ! هل كان نائما ؟ لنفرض ذلك ! فهو معصوم فى نومه . ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيا يعمل بها فى التشريع ، كما فى قصة الذبيح اسماعيل عليه السلام .

ثم كيف خفى عليه الفرق بين القاء الملك والقاء الشيطان ؟ ! ولئن جاز الاشتباه عليه فى هـــذه الحادثة ، جاز الاشتباه فى غيرها ، فترتفع الثقة بالوحى .

ثم كيف خفى عليه تناقض الكلامين ! إذ (الأخرى) صفة ذم ، وكلام الشيطان المقحم ، مدح ، وهل يجوز فى عقل أن يمتزج كلامان متناقضان ، على لسان أفصح العرب وأعلمهم بكلام الله تعالى ، ثم لا يشعر بتنافيهما ! ! ثم بعد هذا كله كيف يسلى الله نبيه بأن جميع الرسل تمكن الشيطان أن يلقى على لسانهم مالم يوح إليهم وما معنى العصمة الواجبة فى حقهم عقلا ؟ !

وبعضهم كالحافظ ابن حجر ، أراد تقليل نكارات القصة فقال : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكلام ، ولا ألقى على لسانه . وانما كان من عادته أن يسكت عند مقطع كل آية حين يقرأ القرآن . فتحين الشيطان سكوته عند (الثالثة الأخرى) فتكلم بتلك الجملة ، بقراءة تشبه قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وألقاها فى أسماع المشركين ، فظنوها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، ففرحوا . وهذا وجه قريب ، لكن يبطله أمور :

أحدها : أن الشيطان لا يتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم فى شيء من أموره ، بمعنى أنه لا يقدر على ذلك ، ولا يتمكن منه ، حفظا لمقام النبوة

من الخلط والاشتباه . ولذا صح فى الحديث « من رآنى فى المنام فقد رآنى حقافإن الشيطان لايتمثل بى ، وفى رواية « فإن الشيطان لايتكونى » ، وهو حديث مخرج فى الصحيحين وغيرهما . مع أن الشيطان قد يظهر لبعض الناس فى اليقظة أو المنام ، فيدعى أنه الله . ولا ضرر فى ذلك إذ العقل يقضى بتنزه الله عن سمات المحدثات . فكذب الشيطان فى دعواه هذه لايحتاج إلى بيان .

ثانيها : تنافر كلام الله وكلام الشيطان ، والمشركون عرب فصحاء ، لايخفى عليهم ذلك .

ثالثها : أن الشيطان لايفعل مايؤدى إلى التقارب بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ، بل هو يعمل على ضد ذلك . وبالجملة فالقصة منكرة باطلة ، كما قال ابن العربى وعياض وغيرهما .

٢١ — ومن سورة النور

قوله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قال أبو الحسن على بن عيسى الرمانى فى تفسيره : معنى من الأولى : ابتداء الغاية ، لأن السماء ابتداء الانزال . والثانية للتبعيض ، لأن البرد بعض الجبال التى فى السماء ، والثالثة لتبيين الجنس ، لأن جنس الجبال جنس البرد . قلت : ومفعول ينزل ، قوله (من جبال) والتقدير : وينزل من السماء بعض جبال فيها من برد . فلفظ من اسم بمعنى بعض ، مبنى على السكون فى محل نصب مفعول ، وهو مضاف ، وجبال مضاف إليه . وعلى هذا مشى الزمخشرى . وهو أوجه وقيل : من الأولى والثانية الابتداء ، والآخرة للتبعيض . والمعنى : وينزل من السماء من جبال فيها بعض برد . حكاه الزمخشرى . ومفعول ينزل ، قوله (من برد) ويقال فى إعرابه : مامر .

واختار الشريف المرتضى : أن من الأولى والثانية للابتداء ، والأخيرة

زائدة . والمعنى : وينزل من السماء من جبال فيها بردا . فبرد مفعول ينزل ، ونصبه مقدر فى آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

ويضعف هذا الوجه أن « من » تزاد فى النفى ، لإفادة العموم ، نحو (وما كان معه من إله) وزيادتها فى الاثبات - إن صحت - خالية عن الفائدة ولا يصح تخريج القرآن على وجه لافائدة فيه .

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم النحوى فى كتاب « الأنوار » أما من الأولى والثانية ، فبمعنى حد التنزيل ، ونسبته إلى الموضع الذى نزل منه . كما يقال : جئتك بكذا ، ومن بلد كذا . وأما الثالثة فبمعنى التفسير والتمييز ، لأن الجبال تكون أنواعا فى ملك الله تعالى ، فجاءت من لتمييز البرد من غيره ، وتفسير معنى الجبال التى أنزل منها وقد يصلح فى مثل هذا الموضع من الكلام أن يقال : من جبال فيها برد بغير من . يترجم برد عن جبال ، لأنها مخلوقة من برد . كما يقال : الحيوان من لحم ودم . والحيوان لحم ودم ، بمن ، وبغير من . قلت : حاصل ما ذكره أن من الأولى والثانية للابتداء ، والثالثة للتبيين ، لكن يضعفه أن الكلام على هذا التقدير ، يكون خاليا من مفعول ينزل .

وقوله تعالى (من جبال فيها من برد) يحتمل وجهين، ذكرهما الزمخشرى .

أحدهما: أن يخلق الله فى السماء جبال برد ، كما خلق فى الأرض جبال حجر .

ثانيهما : أن يريد الكثرة بذكر الجبال ، كما يقال : فلان يملك جبالا من ذهب .. ومن بدع التفاسير : قول أبى مسلم الأصفهانى فى تفسيره : الجبال ما جبل الله من برد ، وكل جسم شديد مستحجر ، فهو من الجبال . ألم تر إلى قوله تعالى فى خلق الأمم (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين) والناس

يقولون : فلان مجبول على كذا ، قلت : هذا التأويل مردود بوجهين، ذكرهما الشريف المرتضى :

أحدهما : خلو الكلام من مفعول ينزل .

ثانيهما : أنه لا يسمى أحد من أهل اللغة كل جسم شديد مستحجر جبلا ، والجبل مشتق من الجبل - بسكون الباء - وهو الجمع . لأن الجبل مجموع من تراب وحجر وارتفاع . ولا يلزم من ذلك تسمية جسم جمع أشياء جبلا ، على أن البرد ماء جمد . قلت : معنى الآية على تأويل أبي مسلم : وينزل من السماء من جبال برد فيها ، ومن في الموضعين ابتدائية والثالثة بيانية ، فلهذا لزمه خلو الكلام من مفعول ينزل .

٢٢ — ومن سورة الشعراء

قوله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) معنى الآية : أن يوم القيامة لا ينفع الانسان فيه ماله ولا أولاده ، ولكن ينفعه أن يأتي الله بقلب سليم من الشرك والمعاصي . وهذا من دعاء ابراهيم عليه السلام ، يطلب من الله ألا يخزيه يوم البعث الذي صفته ماذكر .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير : تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله .

وقول آخر : هو الذي سلم وسلَّم وأسلم وسالَم واستسلم . قلت : اطلاق السليم على اللديغ من باب التفاؤل ، كما يقال للبرِّية . المهلكة : مفازة ، وحمل الآية عليه وعلى المعنى الذي بعده ، غير سليم .

٢٣ — ومن سورة النمل

قوله تعالى (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) تفيد الآية أن الهدهد حين أخبر سليمان عليه السلام بملكة سبأ ، وصف عرشها بأنه

عظيم ، مع أنه يعرف عظم عرش سليمان . إما لأنه استعظمه بالنسبة لها ، وإما لأنه بالغ ، ليلفت نظر سليمان عما توعده به .

قال الزمخشري : ومن نوكى القصّاص : من يقف على قوله : ولها عرش ثم يبتدىء . عظيم وجدتها ، أى أمر عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس ، فر من استعظام الهدهد عرشها ، فوقع فى عظيمة ، وهى مسخ كتاب الله ، قلت : صدق فيما قال ، وتقدم ماينا سبه فى آية الكرسى .

قوله تعالى (ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) .

قال الزمخشري : من بصر القلب ، أى تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها ، وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم ، وأدخل فى القبح والسماجة .

وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده ، لأنه أعلم العالمين ، وأحكم الحاكمين .

قلت : بئس ما استنبط ، وساء ماقال . وهى جرأة قبيحة تعد فى صدر بدع التفاسير ، نسأل الله العفو والعافية . وما دعاه الى هذا الاستنباط القبيح إلا اغراقه فى حب مذهب المعتزلة ، وتعصبه الشديد له ، كما نبهت عليه فى الخطبة . والله تعالى منزه عن القبيح ، ولكن للمعتزلة فى فهم القبيح وتعيين جزئياته ، اصطلاح يتمشى مع قواعد مذهبهم التى يحاولون أن يجعلوا آيات القرآن دالة عليها ، وناطقة بها .

٢٤ — ومن سورة القصص

قوله تعالى (واضمم إليك جناحك من الرهب) الرهب : الخوف . والمعنى : إذا أصابك الرهب عند رؤية العصا ثعبانا ، فاضمم إليك جناحك ـ قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير (١) ، وأنهم

(١) لكن ذكر أبو عبيد فى الرسالة التى ألفها لبيان ما ورد فى القرآن من لغات قبائل العرب أن الرهب الكم بلغة بنى حنيفة .

يقولون : أعطنى مما فى رهبك . وليت شعرى كيف صحته فى اللغة ؟ وهل سمع من الأثبات الذين ترتضى عربيتهم ؟ ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية ؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل ؟ على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمّىْ لها . قلت : الزرمانقة : الجبة . قال أبو عبيد : أراها عبرانية .

قوله تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) المعنى . أن الله يصطفى من خلقه لرسالته من يعلم أنه يصلح لها . نزل رد القول الوليد ابن المغيرة (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وما على هذا نافية ، أى ما كان للناس اختيار فيمن يرسله الله إليهم رسولا .

ومن بدع التفاسير : جعل ما : موصولة ، والمعنى : أن الله يختار لخلقه الأمر الذى لهم الخيرة فيه . وهذا ـ مع كونه مخالفا لسبب النزول ـ يلزم عليه حذف العائد المجرور ، فى موضع لايجوز حذفه فيه إذ المقرر فى علم العربية أن العائد لايحذف إلا إذا جر بحرف جر الموصول بمثله ، مع اتحاد المعنى . نحو (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أى منه .

فالعائد هنا محذوف لوجود شرط حذفه . ولا يجوز : جاءنى الذى مررت به ورأيت الذى رغبت ، أى فيه ، لعدم توفر الشرط . ويلزم عليه أيضا نصب الخيرة خبرا لكان ، واسمها ضمير عائد على الموصول . ويكون المعنى: أن الله يختار لهم الأمر الذى كان هو الخيرة ، لكن لم يقرأ بنصب الخيرة أحد من القراء المشهورين .

ومن البدع أيضا : جعل ما مصدرية ، تسبك مع ما بعدها بمصدر ، والمعنى: يختار اختيارهم فيه ، وهو ظاهر البطلان .

٢٥ — ومن سورة لقمان

قوله تعالى (يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله) معنى الآية : أن الخصلة من الإساءة أو الإحسان إن كانت فى الصغر كحبة الخردل ، وكانت مع شدة صغرها فى أخفى مكان ، كجوف صخرة ، أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى فإن الله يأتى بها يوم القيامة ، فيحاسب عاملها ، لايخفى عليه مكانها .

فالصخرة ذكرت مثالا لأخفى مكان تختفى فيه السيئة الصغيرة أو الحسنة الصغيرة .

ومن بدع التفاسير : أن المراد : الصخرة التى تحت الأرضين السبع ، وخضرة السماء منها ، وأن الأرض خلقت على حوت ، والحوت فى الماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ثور ، وهو على الصخرة ، وهى التى ذكرها لقمان . وهذا من الاسرائيليات التى يكفى فى ردها حكايتها .

ومن بابته : مارواه الطبرى من طريق أبى وائل ، قال : جاء رجل إلى عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ، فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام . قال : من لقيت به ؟ قال : كعبا . قال : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول : أن السموات على منكب ملك . قال : كذب كعب . ثم قرأ (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) قلت : هذه الآية دليل على أن السموات والأرض واقعتان فى الفضـــاء ليس يسندهما إلا قدرة الله تعالى .

٢٦ — ومن سورة الأحزاب

قوله تعالى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها) يخاطب الله المسلمين بأنه أورثهم أرض بنى قريظة وأموالهم وديارهم .

واختلف فى قوله (وأرضا لم تطئوها) فقيل : خيبر ، وقيل : فارس والروم ، وقيل مكة ، وقيل : مافتح على المسلمين من البلاد والأقطار فيما بعد .

قال الزمخشرى : ومن بدع التفاسير : أنه أراد نساءهم . قلت : هذا تأويل بعث عليه الشبق ! وانتقل ذهن صاحبه من وطء الأرض ، إلى وطء الفرج .

٢٧ — ومن سورة فاطر

قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) القرآن . حكمنا بتوريثه منك (الذين اصطفينا من عبادنا) يعنى علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة ، أو الأمة جميعهم . لأن الله اصطفاهم على جميع الأمم . ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « تركت فيكم ثقلين كتاب الله وسنتى »[1] (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به فى أغلب أحواله (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) بضم التعليم والارشاد إلى العمل . وقيل : الظالم المجرم ، والمقتصد الذى خلط صالحا بسيء ، والسابق الذى رجحت حسناته على سيئاته (ذلك) التوريث أو الاصطفاء أو السبق ، والأول أقرب ، لأنه محط الكلام (هو الفضل الكبير) هو ضمير فصل وما بعده خبر ذلك . ختمت الآية بهذه الجملة ، بيانا لما فى إيراث القرآن من ميزة وفضل (جنات عدن يدخلونها) مبتدأ وخبر ، والضمير يعود على الثلاثة : الظالم والمقتصد والسابق .

هذا التفسير هو الذى يقتضيه ظاهر الآية ، وتؤيده الأدلة . وروى

---

(١) لهذا الحديث طرق تبلغ حد الاستفاضة ، وفى بعض طرقه « وعترتى » بدل « وسنتى » وهى صحيحة أيضا . وحاصل هذه الروايات الصحيحة ضمان الهداية فى العمل بالكتاب والسنة وفى حب العترة النبوية .

البيهقي في شعب الإيمان من طريق ميمون بن سياه عن عمر رضي الله عنه مرفوعا « سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له » ورواه الثعلبي وابن مردويه من طريق آخر عن ميمون بن سياه عن أبي عثمان النهد عن عمر أيضا ، وسنده ضعيف [1] .

ورواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحرازي عمن سمع عمر يقول فذكره موقوفا ، وهو في حكم المرفوع .

وأبدى بعضهم تأويلات ، هي في الواقع من بدع التفاسير ، ونحن نذكرها مع بيان ما فيها :

١ – قال المرتضى – وهو شيعي إمامي – : أن المورّثين الكتاب هم الأئمة من ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنهم المتعبدون بحفظه وبيانه ، والعمل بأحكامه .

قلت : هذا تخصيص للآية من غير دليل . بل الدليل يقتضي نقيض هذه الدعوى ، لأن العمل بأحكام القرآن تعبد الله به جميع الأمة ، كما أنه قام بحفظه وبيانه علماء أجلاء من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن لا يحصيهم العد . وللشيعة في شأن أهل البيت عليهم السلام ، دعاوى تشتمل على غلو وإسراف .

ثم جعل الضمير في (فمنهم) يعود على (عبادنا) لا على (الذين اصطفينا) وأورد على نفسه سؤالا ، وهو : أي فائدة في وصف العباد بهذه القسمة ؟ وكيف عدل عن وصف الذين اصطفاهم وورثهم الكتاب ؟ وأجاب بأنه تعالى لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاهم من عباده ، أراد أن يبين وجه الاختصاص . وإنما علق وراثة الكتاب ببعض العباد دون

---

(١) وحسنه السيوطي بالنظر لمجموع طرقه ، فهو من قبيل الحسن لغيره .

بعض ، لأن فى العباد من هو ظالم لنفسه ، ومن هو مقتصد ، ومن هو سابق بالخيرات ، فوجه المطابقة بين الكلام واضح ، قلت : لا وضوح ولا مطابقة . بل الذى يقتضيه السياق ، ويفيده دخول فاء التفريع على منهم : أن يكون التقسيم تفريعا على الذين اصطفوا ، بهذا ينسجم الكلام ، ويتحد سياقه ولا ينافى اصطفاءهم وجود ظالم لنفسه فيهم . لأن المراد أن الله اصطفاهم واختارهم لتوحيده ، وإقامة دينه لأن أهل الكتاب تركوا دينهم . واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . فاختار الله هذه الأمة المحمدية لحمل القرآن ، والعمل به ، وأخبر سبحانه أن فيهم من هو ظالم لنفسه بما دون الشرك الذى وقع فيه أهل الكتاب قبلهم . وفى المسند وغيره عن أبى بصرة الغفارى عن النبى صلى الله عليه وسلم « سألت ربى أن لا تجتمع أمتى على ضلالة فأعطانيها » وله طرق كثيرة بينتها فى تخريج أحاديث منهاج البيضاوى وهو من أدلة حجية الاجماع ، وعدم اجتماعهم على ضلالة من أدلة اصطفائهم للتوحيد وإقامة الدين الحق ، وأن الله حماهم من أن يجتمعوا على ضلالة ، كما اجتمع عليها اليهود والنصارى أما جعل التقسيم للعباد ، فيرده مخالفته للسياق ، وعدم الارتباط بين التقسيم والاصطفاء ، لأن الأقسام الثلاثة موجودة فى العباد ، سواء أحصل الاصطفاء أم لا ؟ ولأن السابق بالخيرات ان كان من المصطفين فلمَ ذكر فى غيرهم ؟ وإن لم يكن منهم ، فكيف يعقل أن يكون سابق بالخيرات غير مصطفى ؟ .

٢ — ذكر أبو على الجبائى فى تفسيره أن المراد بالذين اصطفينا : الانبياء عليهم السلام ، والظالم لنفسه من ارتكب الصغيرة منهم ، وإنما وصف بذلك من حيث فوت نفسه الثواب الذى زال عنه بارتكاب الصغيرة ويؤدى سائر الواجبات . والسابق إلى الخير ، هو الذى استكثر من فعل النوافل .

قال المرتضى : وهذا التأويل يفسد من جهة أن الدليل قد دل على

أن الأنبياء عليهم السلام ، لايقع منهم شيء من المعاصي والقبائح ، ولو عدلنا عن ذلك لم يجز ما قاله ، لأن قولنا : فلان ظالم لنفسه ، من أوصاف الذم ، والذم لايستحقه فاعل الصغيرة فكيف تجرى عليه أوصاف الذم ؟

٣ — ذكر بعضهم : أن (الذين اصطفينا) هم الأنبياء أيضا . وتأول (فمنهم ظالم لنفسه) على أن المراد : أجهد نفسه في العبادة وحمل عليها . وهذا يليق بأوصاف الأنبياء ولا يمنع النبوة منه .

ورده المرتضى أيضا بأن لفظة « ظالم لنفسه » يذم بها ، فكيف تجرى على المدح ؟ وبأن السابق إلى الخيرات هو المجتهد فى العبادة ، الحامل على نفسه فيها ، فأى معنى للتكرار ؟ و بأن هذا التأويل يفسد التقسيم .

٤ — قال أبو القاسم البلخى المعتزلى فى تفسيره : أنه تعالى أراد العقلاء البالغين ويجوز أن يكونوا عند الاصطفاء أخياراً أتقياء ، ثم ظلم بعضهم نفسه . فيكون كما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) وهو فى وقت الارتداد غير مؤمن . كذلك يكون فى حال ظلمه نفسه ليس من المصطفين . ويجوز أيضا أن يكون فيهم من ظلم نفسه ثم تاب وأصلح . ويكون قوله (فمنهم ظالم لنفسه) أى منهم من كان قد ظلم نفسه ، ليس أنه فى هذا الوقت ظالم لها .

قال المرتضى : هـذا فاسد . لأن من كان منهم ظالما فاعلا للقبيح لايوصفون على الاطلاق بأن الله تعالى اصطفاهم . فهذا الوصف يقتضى أن تكون الجماعة أخيارا .

وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) بخلاف هـذا ، لأن وصفهم بأنهم آمنوا فى الماضى لايمنع من الردة فى المستقبل ، وقوله تعالى (الذين اصطفينا) يمنع أن يكون فيهم من ليست هـذه صفته . وأما حمل ذلك على من ظلم ثم تاب ، فهو غير صحيح ، لأن من تاب لايوصف بعد التوبة بأنه ظالم لنفسه ، لأن التوبة تمنع من اجراء ألفاظ الذم . قلت :

بينا معنى الاصطفاء بما لايتنافى مع قوله (فمنهم ظالم لنفسه) وهو بيان مؤيد بالدليل كما مر :

٥ — قال الزمخشرى : فإن قلت : فكيف جعلت (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذى هو السبق بالخيرات المشار إليه ؟ قلت : لما كان فى نيل الثواب، نزل منزلة السبب كأنه هو الثواب ، فأبدلت عنه جنات عدن وفى اختصاص السابقين ـ بعد التقسيم ـ بذكر ثوابهم ، والسكوت عن الآخرين ، مافيه من وجوب الحذر . فليحذر المقتصد ، وليملك الظالم لنفسه حذرا ، وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ، ولايغترا بما رواه عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له » فان شرط ذلك صحة التوبة ، لقوله تعالى (عسى الله أن يتوب عليهم) وقوله (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) ولقد نطق القرآن بذلك فى مواضع ، من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر ، ولم يعلل نفسه بالخدع ، قلت : تمحل بجعل (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير ، وجعل الإشارة بذلك قاصرة على السبق بالخيرات لتفيد الآية مذهبه الاعتزالى : أن الظالم لنفسه والمقتصد لايدخلان الجنة لكن يبطل تأويله أن جنات عدن ليست هى الفضل الكبير إلا بتجوز لاضرورة تقتضيه ، ولا حاجة إليه ، وذلك ، لكونه اسم إشارة للبعيد ، مشار به إلى توريث الكتاب ، وجنات عدن يدخلونها جملة استئنافية ذكرت لبيان جزاء المصطفين ، وضمير الجمع دليل على ذلك . وعوده للسابق بالخيرات ـ كما زعم الزمخشرى ـ نظرا إلى أن سابقا فى معنى سابقين ، تكلفه ظاهر ، ولا داعى لارتكاب مثل هذا التكلف فى اعراب الآية إلا الحرص على موافقة المذهب ، ثم يلزم على قصر الإشارة فى (ذلك) على السبق بالخيرات ـ خلو الكلام من الإشارة إلى ما فى توريث الكتاب من الفضل ، مع أنه مقصد الكلام ، وحط الفائدة .

٢٨ — ومن سورة يس

قوله تعالى (لتنذر قوما) هم العرب (ما أنذر آباؤهم) الأولون الذين كانوا فى زمن الفترة (فهم غافلون) عن معرفة الله وعبادته فما نافية ، وهى مثل ما فى قوله تعالى (لتنذر قوما ما أتاهم قبلك من نذير . . وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) .

ومن بدع التفاسير : جعل ما موصولة ، وهى مفعول ثان لتنذر ، والمعنى: لتنذر قوما الإنذار الذى أنذر به آباؤهم وفيه تكلف ، بحذف الموصوف ، وحذف العائد المجرور فى مكان لايجوز فيه حذفه ، وقد نبهنا عليه فى سورة القصص .

أو : جعلها مصدرية . والمعنى : لتنذر قوما إنذار آبائهم . وهو لايلتئم مع سياق الآية إلا بتكلف لاداعى إليه ، على أن العرب لم يأتهم نذير من عهد إسماعيل عليه السلام ، وقيل : ما نافية ، لكن المعنى : لتنذر قوما أنت منهم ، ماأنذر آباءهم من هو منهم ، وهذا فى غاية البعد .

وقال المرتضى : يمكن فى « ما » وجه آخر ، وهو : أن يراد بها التنكير كأنه قال (لتنذر قوما ما) وتقف ، ثم تبتدىء فتقول (أنذر آباؤهم فهم غافلون) كما يقول القائل : أكلت طعاما ما . ولقيت جماعة ما ، يكون الغرض التنكير والإجمال . قلت : هذا التأويل أشد بعدا مما قبله . وحمل الآية عليه يوجب ركة يتنزه عنها القرآن ، ثم لايجوز الوقف على : ما .

٢٩ — ومن سورة ص

قوله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم) خبرهم (إذ تسوروا المحراب) محراب داود عليه السلام ، وهو مسجده الذى أعده للصلاة فى بيته . وكان قد رتب أيام الاسبوع ، فجعل يوما للقضاء بين الناس ، ويوما لاهله ، ويوما ينظر فى شئون معايشه . لأنه كان يأكل من عمل يده ، كما جاء فى

الحديث الصحيح(١) وجاء هؤلاء الخصوم في يوم العبادة، فمنعهم الحرس من الدخول ، وهم مستعجلون يريدون الفصل فى قضيتهم . فتسوروا المحراب (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) حيث نزلوا من جهة السقف ، وظن أنهم يريدون به شرا ، إذ الملك لايخلو فى العادة ممن يقصده بشر من رعاياه (قالوا لاتخف) لانقصدك بشر . نحن (خصمان) فريقان ، أو شخصان ، كانت بيننا مشاركة فى نعاج ، واختلفنا فيها بحيث (بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) لاتجر ، وهذا تعبير فيه جفاء لايليق بمقام النبوة ، وهو يدل على ماكان يتمتع به الشعب الاسرائيلى فى حكم داود من حرية فى التعبير (واهدنا إلى سواء الصراط) أرشدنا إلى وسط الطريق الصواب . فاطمأن وسألهم عن قضيتهم ، فقال أحدهم (ان هذا أخى) أى اسرائيلى مثلى (له تسع وتسعون نعجة) حقيقة ، لا كناية عن النساء كما قيل (ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها) اجعلنى كافلها بأن أضمها إلى نعاجى (وعزنى) غلبنى (فى الخطاب) أى الجدال . بقوة منطقه (قال) داود مصدرا لحكمه بعد موافقة الخصم واعترافه ، أو ثبوت الحجة عليه (لقد ظلمك بسؤال نعجتك) ليضمها (إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فلا يبغون ، والبغى الظلم (وقليل ماهم)ما لتأكيد القلة (وظن) أيقن (داود أنما فتناه) ابتليناه بالفزع الذى حصل منه حين تسور الخصوم عليه المحراب . وما كان ينبغى له الفزع من المخلوق وهو فى حضرة الخالق وعبادته (فاستغفر ربه) من فزعه الذى لايليق به (وخر راكعا) ساجدا (وأناب) رجع إلى الله تعالى . فتبين من سياق القصة أنه كانت خصومة بين شركاء فى نعاج حقيقة ،

(١) فى صحيح البخارى عن المقدام بن معد يكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده » وكان عمله صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب . قال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم)

وأنه لم يحصل من داود — قبلها — ما يستوجب لومه أو عتابه . وكل ماحصل منه خوفه من الخصوم الذين تسوروا عليه المحراب ، والخوف غريزة بشرية فقد قال موسى وهرون من قبله ـ وهما أفضل ـ (ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أوأن يطغى) وما من رسول إلا وقد خاف إذاية قومه . غير أنه اعتبر فزعه من المخلوق وهو بين يدى الخالق ، لايليق بمنصبه الكريم ، وعده ابتلاء وامتحانا ، فاستغفر الله منه .

ومن بدع التفاسير: ماذكره كثيرمن المفسرين أنه نظر من طاق في بيته، فرأى امرأة عريانة تغتسل ، فأعجبته ، فسأل عنها ؟ فقيل له : إنها امرأة شخص يقال له : أوريا . فبعثه إلى حرب ، وأمر بأن يحمل التابوت ـ وكان حامل التابوت لايحل له أن يرجع حتى ينتصر الجيش أو يقتل هو ـ فانتصر الجيش ، وعاد أوريا .

فبعثه مرة ثانية وثالثة ، فقتل . فتزوج امرأته ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وقيل : بل كانت خطيبة أوريا ، فبعث داود يخطبها ـ ولم يعلم بخطبتها فآثره أهلها على خطيبها الأول ، فزوجوها له ، وهى أم سليمان ، فبعث الله إليه ملكين فى صورة رجلين يختصمان فى نعاج ، كنيا بها عن الزوجات ، فلما قضى ، صعدا إلى السماء وهما يقولان : قضى الرجل على نفسه ، فأدرك ، خطأه وتاب . وهذه القصة مأخوذة عن الاسرائيليات وفيها مساس بمقام النبوة ، وخدش للعصمة الواجبة للأنبياء .

وقال بعضهم فى خطأ داود : إنه قضى للخصم قبل أن يسمع كلام خصمه ، وبعد الحكم أدرك خطأه وتاب . وهذا أيضا باطل ، لأن من البدهيات فى القضاء : ألايحكم القاضى إلابعد سماع الخصمين وإبداء حججهما، والموازنة بينهما . فكيف يخفى هـــذا على نبى آتاه الله الملك والحكمة وفصل الخطاب ؟ .

(تنبيه) قوله تعالى عقب هذه القصة (يا داود إنا جعلناك خليفة

فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق) يدل على أن الله رضى حكمه فى القضية ، وأنه وفق فيها إلى إصابة الصواب . ولهـذا قال : احكم بالحق أى دم على الحكم بالحق .

أما قوله تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) فلا يدل على أن داود اتبع الهوى أبدا ، وإنما المراد به الأمر بمداومة اجتناب الهوى ، أى دم على اجتناب الهوى فى أحكامك . لما تقرر فى الأصول : أن النهى عن الشىء يستلزم الأمر بضده . ونظير هذا قوله تعالى (ولا تكن من المشركين) فإن معناه : دم على توحيدك ، واجتناب الشرك . لأن النبي معصوم من الشرك ومن المعاصى .

قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) ثبت فى الحديث الصحيح المخرج فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال سليمان : لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله . فلم يقل - نسيانا أو عرضت له مسألة شغلته، أو رأى أن أمنيته خير سيحققها الله ولو لم ينطق بالمشيئة - فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق . وأيم الله الذى نفسى بيده لو قال: ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون » قال العلماء والشق الجسد الذى ألقى على كرسيه ، وفتنته نسيان المشيئة ، فامتحن بهذا وتاب . وحصل نظير هذا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقد سأله أهل مكة عن قصة أهل الكهف ، فقال « أجيبكم غدا » ولم يقل : إن شاء الله : فأبطأ عنه الوحى خمسة عشر يوما ، ثم نزل قوله تعالى (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) والحكمة فى هذا أن الله تعالى يحب من عباده أن يردوا المشيئة إليه فى كل أمورهم . فإذا غفلوا نبههم بمثل ما هنا . (١) بل هو نفسه سبحانه وتعالى ذكر المشيئة

---

(١) وحصل لنا مثل هذا أيضا . فقد كنت أدرس المقدمة الآجرومية =

فى فعله إرشادا لعباده وتعليما لهم فقال تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وليس لأحد أن يقول : كيف يكون سليمان متزوجا بمائة امرأة ؟ وكيف يستطيع الطواف عليهن فى ليلة ؟ لأنا نقول : ليس بممتنع أن يخص الله تعالى رسوله سليمان بجواز الزواج بمائة امرأة وأكثر ، كما خص أباه داود بذلك من قبل ، وكما أباح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم التزوج بأكثر من أربع نسوة خصوصية له . وأما الطواف عليهن فى ليلة ، فيحتمل أن يكون الله أقدره عليه ، آية له أو ليبين له أن ما تمناه من ولادة فرسان مجاهدين ، لا يكون عن مجرد الإطاقة بنسائه ان لم يشأه الله . ويحتمل أن الجن المسخرين له ، استنبطوا له أدوية وعقاقير للتقوية ، كما استنبطوا له النورة لإزالة الشعر ، حين أراد أن يتزوج بملكة سبأ ، ووجد فى رجليها شعرا كثيرا .

ومن بدع التفاسير : ماذكره كثير من المفسرين أيضا : أن سليمان تزوج

= لشقيقى السيد محمد الزمزمى - ونحن بالمركب فى طريقنا إلى مصر - وبعد أربعة أيام مضت على قيامنا من جبل طارق قرأنا فى النشرة التى يصدرها قائد الباخرة أننا سنصل إلى الأسكندرية فى الخامسة من صباح اليوم التالى . وحين جلسنا إلى درس الآجرومية بعد صلاة العصر كالمعتاد - وكنا وصلنا إلى ظرف الزمان وظرف المكان - فقلت لشقيقى المذكور ممثلا لظرف الزمان : نصل غدا إلى الاسكندرية فقال لى شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله : قل . ان شاء الله . فقلت مداعبا : عـــلام أقولها ؟ المسافة قربت ، وشبح الأسكندرية لاح على بعد . وفى منتصف الليل هاج البحر ، وعلت أمواجه حتى كانت الموجة تلف الباخرة لفا ، وهى تميل وتتأرجح كالقشرة . ونحن لانملك أنفسنا من دوار البحر وكانت أمامنا باخرة بعثت إشارة إلى الاسكندرية تستغيث ، لكنها غرقت قبل وصول النجدة . ثم لطف الله ووصلنا إلى الأسكندرية فى الساعة الثانية عشر ظهرا بعد أن رأينا الموت عيانا . وأخبرنا قائد الباخرة أنه قضى فى البحر خمسا وثلاثين سنة لم ير فيها عاصفة مثل هذه فى شدتها ومفاجأتها ، فتأكدنا أنها تأديب من الله تعالى لنا .

امرأة أحبها . وكانت تعبد الصنم فى بيته بغير علمه . وكان ملكه فى خاتمه ، فنزعه عند إرادة الخلاء ، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة فجاءها جنى فى صورته ، وأخذه منها . وقعد على كرسيه وعكفت عليه الطير وغيرها وجاء سليمان فى غير هيئته ، وقال : أنا سليمان ، فانكره الناس . ثم توصل إلى الخاتم - لعله وجده فى بطن سمكة - فرجع إليه ملكه . وهذه القصة رواها النسائى فى التفسير من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وهذا إسناد قوى كما قال الحافظ، لكن ابن عباس تلقاها عن كعب ، فهى من الإسرائيليات ، وبطلانها يظهر بوجوه .

أحدها : أن الجنى لايسمى جسدا ، لأنه كان حيا ، والجسد الذى يلق ، لايكون إلا ميتا .

ثانيها : أن الجنى لايمكن أن يتصور فى صورة نبى ، ولا يقدر على ذلك ، لما يترتب عليه من المفاسد .

ثالثها : لو جاز للجنى أن يأتى امرأة سليمان فى صورته ، ويأخذ منها خاتم ملكه ، لجاز أن يزنى بها وبغيرها من نسائه ، وذلك يبطله العقل والنقل أيضا .

رابعها : أن الخاتم - لو سلم أنه خاتم الملك ، يذهب بذهابه - فلا يجوز أن يكون خاتم هيئته أيضا ، بحيث حين ذهب منه أنكره الناس ، وحين رجع إليه عرفوه .

خامسها : أن هذه القصة - مع كونها كذبا غير محبوك - خالية من العبرة ، (١) والله تعالى يقول (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب)

---

(١) قد يقال : العبرة فيها مؤاخذة سليمان بعبادة الصنم فى بيته وإن كانت بغير علمه ، لأنه كان يمكنه منعها لو استعمل التشدد والرقابة فى بيته على نسائه ، وهذا غير صحيح . لأنه كان مباحا للرسل تزوج المشركات ، وقد كانت امرأتا نوح ولوط عليهما السلام مشركتين ، فلم يكن الله ليؤاخذ سليمان بكفر امرأته وقد أباح له التزوج بها .

قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) أى حتى غابت الشمس ، واختلفت بما يحجبها عن الأنظار .

« تنبيه » كان المعرى إذا ذكر الشعراء ، يقول : قال أبو نواس ، قال البحترى ، قال أبو تمام . فاذا ذكر المتنبي ، يقول : قال الشاعر ، وذلك لاعجابه به . فقيل له يوما : لقد أسرفت فى وصفك المتنبي، أليس هو القائل:

بلِيت بلَى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

كم قدر مايقف الشحيح على الخاتم ؟ قال : أربعين يوما ، فقيل له : ومن أين علمت ذلك ؟ فقال : سليمان بن داود عليهما السلام ، وقف على طلب الخاتم أربعين يوما . فقيل له : ومن أين تعلم أنه بخيل ؟ قال : من قوله تعالى (وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى) وماعليه أن يهب الله لعباده أضعاف ملكه ؟ قلت: قرأت هذا فى كتب الأدب التى كتبت عن المتنبي ، وهو يشتمل على خطأين :

أحدهما : أن سليمان عليه السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يوما . وهذا مبنى على الخرافة الإسرائيلية التى مر بيان بطلانها .

ثانيهما : نسبة سليمان عليه السلام إلى الشح ، وهى جراءة قبيحة ، وإزراء بمقام نبى كريم ، وجهل بحكمة طلبه ، كما جهلها الحجاج بن يوسف الثقفى ، فسماه حاسدا . وقد برأ الله نبيه سليمان مما زعم الزاعمون، وكان عنده وجيها ، فهو طلب الملك الذى لاينبغى لأحد من بعده ، ليكون معجزته على رسالته . كما كانت العصا معجزة موسى عليه السلام ، والمعجزة لابد أن تكون خاصة بالنبى لاينالها غيره وإلا بطل الاعجاز ، وبطلت النبوة ، وإنما طلب خصوص الملك معجزة ، لأنه عليه السلام كان رسولا إلى اليهود ، وهم عبيد المال ، وخدام الدنيا ، يبهرهم بريق الذهب ويخضعهم هيبة السلطان وأبهة الملك . تمردوا على الله ، وقتلوا أنبياءه ، فلا ينجع فيهم إلا مثل

ملك سليمان معجزة . والدليل على مانقول أمران :

الأول : أن الله سخر له الجن والشياطين والريح ، وعلمه منطق الوحوش وسخرها له . وهذا لايتأتى لملك إلا أن يكون معجزة .

الثانى : أن الله تعالى أعطاه ماطلب وقال له (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) ولو كان سليمان شحيحا لم يقل الله هذا في حقه ، ولا قال عنه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) وكيف يمدح شحيحا وهو الذى قال (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وسمى البخل فحشاء فى قوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وذم البخلاء فى غير آية من الكتاب الكريم .

ومن بدع التفاسير ـ كما قال الزمخشرى ـ : أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه . قلت : حكاه الصاوى فى حاشية تفسير الجلالين ولم يتعقبه ، وهو واضح البطلان .

قوله تعالى (ردوها على) الضمير يعود على الصافنات ، والمعنى : أن سليمان أمر أتباعه برد الخيل عليه ، ليمسحها ويختبر عيوبها .

« لطيفة » روى إبراهيم الحربى فى غريب الحديث من طريق مغيرة عن الشعبى ، قال : كان رهان ، فقال رجل لبلال رضى الله عنه : من سبق قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فمن صلى ؟ قال : أبو بكر قال : إنما أعنى فى الخيل ، قال : وأنا أعنى فى الخير . قلت : يقال للفرس السابق : مجلّى ، وللذى يليه مصلى ، وصلى الفرس إذا جاء تاليا للسابق ، وحقيقة الكلمة : أن رأسه عند صلاه ، وهو مغرز ذنبه ، أى رأس المصلى عند مغرز ذنب المجلى

ومن بدع التفاسير : ماحكاه الصاوى فى حاشية الجلالين ، وعبارته :

وقيل : الضمير فى قوله (ردوها) عائد على الشمس ، والخطاب

للملائكة الموكلين بها . فردوها ، فصلى العصر فى وقته . قلت : لم يكن سليمان عليه السلام ملكا فى السماء ، ولم تكن له سلطة على الملائكة يأمرهم برد الشمس فيردوها ، وهى لم ترد على أحد قبله منذ خلق الله الدنيا ، ثم لو صح هذا التفسير ، لوجب أن يكون نظم الآية : ردوها على فصلى ، لكن نظمها الحالى يؤكد أن المردود عليه : الخيل التى طفق يمسح سوقها وأعناقها .

نعم ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن نبى الله يوشع حينما ذهب لقتال الجبارين ، وكان فى يوم الجمعة ، وخاف أن تغرب الشمس قبل الفراغ من قتالهم ، فدعا الله ، فحبسها عليه ساعة من النهار .

وفى أوسط معاجم الطبرانى باسناد حسن عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار .

وسبب ذلك : ما جاء فى مغازى ابن اسحق : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير . قالوا : متى تجىء ؟ قال « يوم الأربعاء » فلما كان ذلك اليوم ، أشرفت قريش ينظرون ، وقد ولى النهار ولم تجىء . فدعا صلى الله عليه وسلم ، فزيد له فى النهار ساعة ، وحبست عليه الشمس .

وروى الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه صلى الله عليه وسلم دعا وكان نائما على ركبة على ، ففاتته صلاة العصر ، فردت الشمس حتى صلى على ، ثم غربت ، صححه الطحاوى وعياض وغيرهما (١) ، وانظر هذا البحث فى كتابنا « الأحاديث المنتقاه فى فضائل سيدنا رسول الله » .

---

(١) وقال ابن تيمية فى منهاج السنة : أنه باطل ، وخطأه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى

والحافظ الحسكاني مجلس املاء على حديث رد الشمس ، ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ . قال الزرقاني في شرح المواهب : ومن لطائف الاتفاقات الحسنة : أن أبا المظفر الواعظ ذكر يوما قرب الغروب فضائل على رضى الله عنه ورد الشمس له ، والسماء مغيمة غيما مطبقا ، فظنوا أنها غربت وهموا بالانصراف ، فأصحت السماء ، ولاحت الشمس صافية الإشراق . فأشار إليهم بالجلوس ، وقال ارتجالا :

لاتغربي ياشمس حتى ينتهى مدحى لآل المصطفى ولنجله .
واثنى عنانك إن أردت ثناءهم أنسيت إذ كان الوقوف لأجله ؟ !
إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله .

يشير بنجله إلى أن عليا عليه السلام تربى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وبالمولى إلى حديث « من كنت مولاه فعلى مولاه » .

« فائدة » قال بعض العلماء : كان علم النجوم صحيحا ، فلما توقفت الشمس ليوشع بطل أكثره ، ولما ردت لعلى بطل جميعه (١) .

والشيعة يزعمون أن الشمس ردت لعلى عليه السلام مرة أخرى غير هذه وهو في أرض بابل أيام خلافته . وقد فاتته صلاة العصر أيضا . قال السيد اسماعيل بن محمد الحميرى في قصيدته المذهبة ، يذكر الحادثتين في بيتين ، وهما :

ردت عليه الشمس لما فاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
وعليه قد حبست ببابل مرة أخرى وما حبست لخلق معرب

---

(١) علم النجوم مبنى على حساب سير الكواكب وتقابلها وحلول كل منها في برج كذا ساعة كذا . فلما توقفت الشمس ساعة ليوشع عليه السلام اختل حساب المنجمين بالنسبة لسير الشمس ، ولما ردت بعد الغروب اختل حسابهم بالنسبة لها ولسير الكواكب الليلية .

وانظر شرحهما فى أمالى الشريف المرتضى ج ٢ ص ٣٤٠ - ٣٤٣ .

قوله تعالى (قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين) فى هـــذه الآية وما شابهها طريقتان ، أشرنا إليهما فى المقدمة :

إثبات اليدين صفة لله تعالى ، كما جاء به السمع ، مع اعتقاد التنزيه عن الجارحة وتفويض المعنى المراد لله تعالى ، إليه . هذه طريقة السلف ، وهى مذهب أبى الحسن الأشعرى أمام الأشعرية ، والقاضى أبى بـكر البلاقلانى من أئمتهم . والتأويل بصرف الـكلام إلى بعض وجوه المجاز التى يقتضيها السياق ، وهذه طريقة الخلف . فيـكون قوله (لما خلقت بيدى) كناية عن قوله : لما توليت أحداثه ، ولم يقدر على توليه غيرى .

قال الزمخشرى : فإن قلت : ماوجه قوله (لما خلقت بيدى) ؟ قلت : سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه ، فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما ، حتى قيل فى عمل القلب : هو مما عملت يداك . وحتى قيل لمن لايدىْ له : يداك أوكتا ، وفوك نفخ . وحتى لم يبق فرق بين قولك . هذا مما عملته ، وهـــذا مما عملته يداك . ومنه قوله تعالى (مما عملت أيدينا ، ولما خلقت بيدى) . قلت . فنى الـكلام استعارة ، شبه تصوير الله جسم آدم وتسويته إياه ، بما ينحته النحات بيديه من التمـاثيل ، واستعير له لفظ يدى ، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية وقيل : معنى (لما خلقت بيدى) . لمـا خلقت بغير واسطة أب أو أم .

وجوز إمام الحرمين وغيره أن يكون معنى (لما خلقت بيدى): لما خلقت بقدرتى ، فاليد بمعنى القدرة ، والتثنية للتعظيم .

وأن يكون معنى اليد : النعمة ، والباء بمعنى اللام ، والمراد : لمـا خلقت لنعمتى وتثنية اليد ، لأنه أريد نعمة الدنيا والآخرة .

ويضعف الوجه الأول : أن المخلوقات كلها مخلوقة بقدرة الله تعالى ، فما فائدة تخصيص خلق آدم بها ؟ إلا أن يقال : فائدته : التلويح بتهديد إبليس ، ويكون المعنى : مامنعك أن تسجد لما خلقت بقدرتي التي بها أعذبك إن لم تطع أمري والوجه الثاني فيه تكليف .

وفي تفسير الكشاف : فإن قلت فما معنى قوله (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) قلت : الوجه الذي استنكر له ابليس السجود لآدم ، واستنكف منه : أنه سجود لمخلوق ، فذهب بنفسه ، وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق . وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين ، وهو مخلوق من نار ، ورأى للنار فضلا على الطين ، فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه ، وأقربهم منه زلفى ، وهم الملائكة ، أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ، ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ، ثم لم يفعلوا . وتبعوا أمر الله ، ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له ، تعظيما لأمر ربهم ، وإجلالا لخطابه ، كان هو مع إنحطاطه عن مراتبهم ، حريا بأن يقتدى بهم ، ويعلم أنهم في السجود لمن هو دونهم ، بأمر الله ، أوغل في عبادته منهم في السجود له ، لما فيه من طرح الكبرياء ، وخفض الجناح . فقيل له : مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي ؟ أي مامنعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق ، خلقته بيدي ، امتثالا لأمري . كما فعلت الملائكة ، فذكر له ما تركه من السجود ، مع العلة التي تشبث بها في تركه .

وقيل له : لم تركت مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به ! يعني كان عليك أن تعتبر أمر الله ، ولا تعتبر هذه العلة ، ومثاله : أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم ، فيمتنع إعتباراً لسقوطه ، فيقول له : مامنعك أن تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه ؟ يريد . هلا اعتبرت أمري ، وتركت اعتبار سقوطه . وفيه إني خلقته بيدي ، فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت

الملائكة بأن يسجدوا له ، لداعي حكمة دعاني اليه من إنعام عليه بالتكرمة السنية ، وابتلاء للملائكة ، فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له مالم يصرفني عن الأمر بالسجود له ؟ اه قلت : في هذا الكلام أمور .

الأول : تفضيل الملائكة على الأنبياء ، وهذه مسألة فيها خلاف معروف، ولنا فيها رأي يخالف مذهبي الأشعرية والمعتزلة .

الثاني : ذكر الأمر بزيارة بعض سقاط الحشم ، مثلا لآدم عليه السلام وهي إساءة بالغة في حق أبي البشر ، وأصل الأنبياء ، وإقامة العذر لإبليس في ظنه خيريته على آدم ، وأن الله تعالى أقره على ظنه الباطل ، وإنما عابه على ترك السجود اتباعا للأمر به ، والواقع أن جملة (لما خلقت بيدي) ذكرت رداً على إبليس ، لا إقراراً له ، وبيانا لتكريم آدم ، بأن الله خلقه بيده ، وتلك مزية تقتضي الاسراع بالسجود له ، ولم يكن لإبليس ولا لغيره أن يتعاظم على من كرمه الله بهذا التكريم الذي أدركه الملائكة ، فبادروا إلى امتثال الأمر بالسجود .

الثالث : قوله : لداعي حكمة دعاني إليه . وهذه جرأة لاتصدر إلا من معتزلي جلد كالزمخشري والله تعالى لايدعوه شيء إلى فعل شيء ، لأن الداعي إلى الشيء والباعث عليه ، الوصول إلى غرض من تكميل نقص ، أو جلب مصلحة ، أودرء مضرة والله تعالى منزه عن ذلك . ومن ثم قال أهل الأصول - في الكلام على علة القياس - : انها الوصف المناسب ومن مناسبته أن يكون باعثا للمكلف على الامتثال . ولايجوز أن يكون باعثا للشارع على تشريع الحكم ، انظر جمع الجوامع وما كتب عليه والمقصود أن كلام الكشاف في هذا الموضع . من بدع التفاسير .

٣٠ — ومن سورة الزمر

قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) من الطى ضد النشر ، بيمينه بقدرته ، أو هى صفة لله تعالى مع التنزيه والتفويض . والمقصود : بيان سعة قدرة الله تعالى ، وأن الأمور العظام ، كالسموات والأرض ، هينة عنده لايعييه طيها وقبضها . (١) .

ومن بدع التفاسير : أن معنى مطويات بيمينه . مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها .

قال الزمخشرى : ومن اشتم رائحة من علمنا هذا - يعنى علم البيان - فليعرض عليه هذا التأويل ، ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله !! ثم يبكى حمية لكلام الله المعجز بفصاحته ، وما منى به من أمثاله ؛ وأثقل منه على الروح ، وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله ، واستحسانهم له ، وحكايته على فروع المنابر ، واستجلاب الاهتزاز من السامعين . قلت : وقع مثل هذا وأشد منه فى تفاسير مبتدعة العصر التى أشرنا إلى بعضها فى الخطبة ، وتمكنوا من نشرها وإشاعتها فعمت بها البلية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣١ — ومن سورة غافر

قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) وهم أربعة وعشرون: آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وشعيب وأيوب وإلياس واليسع وذو الكفل وداود وسليمان و زكريا ويحيي وعيسى ويونس عليهم السلام (ومنهم من لم نقصص عليك) وهم كثيرون ففى مسندى أحمد وإسحق بن راهويه عن أبى أمامة أن أباذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم : كم الأنبياء ؟

---

(١) وتقدم قوله تعالى (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) وهو يؤكد بطلان التفسير المحكى هنا .

فقال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، قال : كم الرسل منهم ؛ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيراً ، إسناده ضعيف ورواه ابن حبان والحاكم من طريقين ضعيفين أيضا عن أبى ذر فى حديث طويل ، وله طرق ذكرها الحافظ السيوطى فى أماليه فى التفسير ، وانظر كتاب تنزيه الشريعة لابن عراق .

وروى الطبرى والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى تفسيره عن على عليه السلام ـ قوله (ومنهم من لم نقصص عليك) ـ قال : أرسل الله عبدا حبشيا ، فهو الذى لم نقصص عليك . قلت : لم يصح عن على هذا الكلام ، فى سنده جابر الجعفى ، وهو مطعون فيه . وهذا من بدع التفاسير ، لأنه تخصيص لعموم الآية بدون دليل . ثم من هذا الحبشى الذى أرسله الله ؟ لم يقم على تعيينه دليل . وإذا لم يقصه الله علينا ولا رسوله ، فكيف عرفنا أنه رسول ؟ !

٣٢ — ومن سورة فصلت

قوله تعالى (حتى إذا ما جاءوها) أى النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) بأن يخلق الله فيها النطق فتنطق بما فعلته من المعاصى مقرة به .

ومن بدع التفاسير : أن شهادة الجوارح كناية عن ظهور أثر المعاصى عليها ، بأن يظهر الله عليها علامات دالة على ما كانت تعمله فى الدنيا ، كنتانة فروج الزناة مثلا . وهذا التأويل حكاه الألوسى وغيره ، وهو باطل لوجوه :

أحدها : أنه مجاز ، وهو خلاف الأصل .

ثانيها : أن الآية تتحدث عن الآخرة ، وقد قدمنا فى المقدمة أن ما كان من هذا القبيل ، يمتنع حمله على المجاز .

ثالثها : أن بقية الآية تدل على أن النطق حقيقى (وقالوا لجلودهم لم

شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء) أبعد هذه المراجعة الصريحة بين الكفار وأعضائهم يقال : الشهادة كناية .

رابعها : أن قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون) يفيد أن كلام أعضائهم إنما يكون بعد ختم أفواههم ومنعها من النطق ، لما سيأتى بعده .

خامسها : أن الحديث الصحيح صرح بأن نطق الجوارح حقيقة ، ففى صحيح مسلم وسنن النسائى عن أنس رضى الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه . قال «أتدرون مم أضحك» ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال «من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ قال : بلى . قال : فانى لاأجيز اليوم على شاهدا إلامن نفسى، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، وبالكرام الكاتبين شهودا . فيختم على فيه ، ويقال لأركانه : انطق فتنطق بأعماله . ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل » وروى أحمد والنسائى والبيهقى باسناد جيد عن معاوية بن حيدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجيئون يوم القيامة على أفواههم الفدام [1] فأول مايتكلم من العبد فخذه ويداه » ورواه الحاكم من حديث معاوية بن جندب .

٣٣ — ومن سورة الشورى

قوله تعالى (لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء) من الأولاد (إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما) فى الآية تقسيم حاصر ، وهى تفيد عموم قدرته ، ونفاذ

---

(١) بكسر الفاء مايوضع فى فم الأبريق ليصفى به مافيه من الشراب ، وهو كناية عن منعهم من الكلام بألسنتهم لتنطق جوارحهم .

إرادته في مخلوقاته . وأنه يفعل بهم مايشاؤه هو لاما يشاؤن ، فيهبهم من الأولاد حسبما تقتضيه حكمته ومشيئته .

ومن بدع التفاسير : (يهب لمن يشاء إناثا) يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لم يكن لهما إلا البنات (ويهب لمن يشاء الذكور) يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له إلا الذكور (أو يزوجهم ذكراناوإناثا) يريد النبي صلى الله عليه وسلم كان له ذكور وبنات(ويجعل من يشاء عقيما)يريد يحيي وعيسى عليهما السلام وهذا التأويل باطل . لأنه تخصيص للآية بدون دليل ، ثم تخصيصها بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم لادليل عليه ، ثم العقيم من تزوج ولم يولد له ويحيي وعيسى لم يتزوجا أصلا .

قوله تعالى (وما كان لبشر) وما صح لأحد من البشر (أن يكلمه الله إلا) أن يوحى إليه (وحيا) في المنام ، أو بطريق الإلهام . فرؤيا الأنبياء حق يعمل بها في التشريع ، وكذلك إلهامهم (أو) الا (من وراء حجاب) بأن يسمعه كلامه ولا يراه ، كما وقع لموسى عليه السلام (أو يرسل رسولا) ملكا كجبريل عليه السلام (فيوحى) الرسول الملك إلى النبي المرسل إليه (باذنه) أى الله (مايشاء) الله القاءه إليه من الأحكام وغيرها . وقيل : معنى (وحيا)كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) بشرا كما كلم الأمم على ألسنة رسلهم .

وقال أبو على الجبائي في تفسيره : (وما كان لبشر أن يكلمه الله) إلا مثل مايكلم به عباده من الأمر بطاعته ، والنهي لهم عن معاصيه . وتنبيهه إياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام ، وما أشبه ذلك على سبيل الوحي وإنما سمى الله تعالى ذلك وحيا ، لأنه خاطر وتنبيه ، وليس كلاما لهم على سبيل الإفصاح ، كما يفصح الرجل منا لصاحبه إذا خاطبه . والوحي في اللغة إنما هو ما جرى مجرى الايماء والتنبيه من غير أن يفصح به ، فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في هذه الآية .

وعنى بقوله (أو من وراء حجاب) أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه ، إلا من يريد أن يكلمه به ، نحو كلامه تعالى لموسى عليه السلام . لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا موسى عليه السلام وحده فى كلامه إياه أولا . فأما كلامه إياه فى المرة الثانية ، فانه أسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه ، وحجب عن جميع الخلق سواهم . فهذا معنى قوله عز وجل (أو من وراء حجاب) لأن الكلام هو الذى كان محجوبا عن الخلق . وقد يقال : أنه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذى أقام الكلام فيه . فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه ؟ لأن الكلام عرض لا يقوم إلا فى جسم . ولا يجوز أن يكون أراد بقوله تعالى (أو من وراء حجاب) : يكلم عباده ، لأن الحجاب لايجوز إلا على الأجسام المحدودة . وعنى بقوله (أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) إرساله ملائكته بكتبه وبكلامه إلى أنبيائه عليهم السلام ، ليبلغوا ذلك عنه عباده ، على سبيل إنزاله القرآن على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنزاله الكتب على أنبيائه . فهذا أيضا ضرب من الكلام الذى يكلم الله به عباده ، ويأمرهم فيه بطاعته ، وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل ماكلم به موسى ، وهذا الكلام هو خلاف الوحى الذى ذكره الله تعالى فى أول الآية ، لأنه قد أفصح لهم فى هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه . والوحى الذى ذكره الله تعالى فى أول الآية ، إنما هو تنبيه وخاطر ، وليس فيه إفصاح .

قلت : اشتمل هذا الكلام على أمرين ، يعتبران من بدع التفاسير :

أحدهما : تفسير (وحيا) بما يلقيه الله إلى عباده من جهة الخاطر أو المنام . وهذا ينافى سياق الآية ، لأن الله تعالى أراد بها أن يبين أنواع كلامه لرسله المبلغين عنه ، وأن ما يلقيه إليهم من إلهام ، أو مايريه إياهم فى المنام ، يجب اتباعه والعمل به ، كما قال تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية ، وكما قال إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام (يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى

قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، أن روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، (١) ولذا عقب هذه الآية بقوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) فأخبر أنه سلك به مسلك الرسل من قبله ، وأن الوحى إليه ، نوع من أنواع الكلام الثلاثة المشار إليها ، فكانت الآيتان متناسبتين أما مايلقى فى خواطر الناس ، أو مايرونه فى منامهم ، فلا معنى لذكره هنا ، ولا مصلحة تتعلق به .

ثانيهما : تفسير (من وراء حجاب) بأنه حجب الخلق جميعا عن الكلام الذى تكلم إلا من يريد أن يكلم به ، فانه يسمعه من وراء الحجاب الذى حجب غيره من الناس . وهذا خلاف الظاهر المتبادر من اللفظ ، فإن الذى يفهم بادىء ذى بدء من عبارة (أو من وراء حجاب) أن يسمع الله كلامه لرسوله من غير أن يراه . فالرسول حين يسمع الكلام، محجوب عن رؤية المتكلم . ولا معنى لذكر المخلوقات هنا ، لأنهم محجوبون عن كلام الله دائما حال كلامه مع رسوله وقبله وبعده .

قال الزمخشرى : وأما على أن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه ، لأنه فى ذاته غير مرئى . وقوله (من وراء حجاب) مثل . أى كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب ، فيسمع صوته ولا يرى شخصه .

بقى أمر ثالث ننبه عليه ، لأنه بدعة البدع وهو قوله : لأن الكلام عرض لايقوم إلا بجسم . وهذا مبنى على مذهب المعتزلة فى إنكار أن يكون لله تعالى كلام نفسى قديم . وقالوا : معنى أن الله متكلم : خالق للكلام فى جسم كشجرة مثلا . ومن هنا قالوا بخلق القرآن ، فخالفوا إجماع الصحابة

---

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود فى جملة من حديث ، وهو صحيح .

والتابعين وسائر علماء السنة . وهذا بحث طويل ، يطلب تحريره فى كتب الكلام ، وفى كلام الزمخشرى بدعة ننبه عليها أيضا ، وهى قوله : لأنه فى ذاته غير مرئى ، يشير إلى مذهبه الاعتزالى أن الله لا تجوز رؤيته عقلا ، وقد صرح بهذا فى سورة الأعراف ، ورمى الأشعرية المجوزين للرؤية بأنهم حمر موكفة ، ونحن لا نعجب من وقيعته فى الأشعرية ، مثل عجبنا من إصراره على إنكار الرؤية التى ثبت وقوعها فى الآخرة بالسنة المتواترة ، وأجمع عليها الصحابة قبل ظهور شيوخ الزمخشرى بسنين !!

٣٤ — ومن سورة الزخرف

قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءا) أى ولدا ، حيث قالوا : الملائكة بنات الله ، فجعلوهم جزءا له ، وبعضا منه ، كما يكون الولد بضعة من أبيه . قال الزمخشرى : ومن بدع التفاسير : تفسير الجزء بالإناث ، وادعاء أن الجزء فى لغة العرب اسم للإناث . وماهو إلا كذب على العرب ، ووضع مستحدث منحول ، ولم يقنعهم ذلك ، حتى اشتقوا منه :

أجزأت المرأة . ثم صنعوا بيتا وبيتا :

إن أجزأت حرة يوما فلا عجب   زوجتها من بنات الأوس مجزئة

قلت : الصنعة ظاهرة على هذا البيت ، ومعناه ركيك .

قوله تعالى (بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين)

يخبر الله تعالى أنه متع أهل مكة — وهم من عقب إبراهيم — ومتع آباءهم أيضا بالأمن والنعمة ، فاغتروا وشغلوا بالشهوات وعبادة الأوثان عن التوحيد . حتى جاءهم القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم ، فكذبوا ، وجحدوا .

قال الزمخشرى : فإن قلت : ماوجه قراءة من قرأ : متعت ، بفتح التاء؟

قلت : كأن الله تعالى اعترض على ذاته ، فى قوله تعالى (وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) فقال : بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة فى الرزق ، حتى شغلهم ذلك عن التوحيد . وأراد بذلك ، الأطناب فى تعييرهم . الخ

قلت : القراءة المشار اليها شاذة ، وتوجيهها بما ذكره قبيح وكيف يعترض الله على ذاته ؟! وقد أغنانا الله بالقراءة المتواترة المعروفة ، عن هذا التوجيه الذى هو أقبح من بدع التفاسير .

والمقرر فى علم الأصول : أن القراءة الشاذة ليست من القرآن ، لفقدها شرط التواتر ، ولاتجوز الصلاة بها . كما لاتجوز بأى كلام غير القرآن وقد حكم العلماء بتعزير ابن شنبوذ ، لأنه كان يقرأ بها فى صلاة التراويح .

قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا) إذا لقيتهم ليلة الاسراء كما قيل فى قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه) يعنى فى ليلة الإسراء أيضا ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم اجتمع فى تلك الليلة بالأنبياء وصلى بهم وعرفه بهم جبريل والحكمة فى أمره بالسؤال. التقرير لمشركى قريش على أنه لم يأت رسول ولا كتاب إلا بتوحيد الله وعبادته .

وقيل : المراد واسأل أتباع من أرسلنا ، وهم علماء أهل الكتابين ، فى الكلام مجاز بالحذف ، مثل (واسأل القرية) أى أهلها .

وقال ابن قتيبة : معنى الآية . واسأل من أرسلنا اليه قبلك من رسلنا وهم الأتباع من أهل الكتابين أيضا ، غير أنه جعل كلمة (اليه) مقدرة محذوفة ، فأخطأ وكان تأويله من بدع التفاسير ، لأن المقرر فى علم العربية : أن الضمير المنفصل لايجوز حذفه ، فلا يقال : الذى جلست زيد ، على معنى: الذى جلست اليه زيد ، وكذلك لايصح أن يقال : الذى رغبت محمد ، بمعنى

الذى رغبت فيه محمد ، وإنما يجوز حذف الضمير المتصل ، نحو الذى أكرمت صديقك ، أى أكرمته ، وجاء من قابلت أمس ، أى قابلته . والسر فى ذلك أن الضمير المتصل يدل عليه الموصول العائد هو عليه ، فلذا جاز حذفه ، بخلاف المنفصل ، فإنه ـ وإن دل الموصول عليه ـ لايدرى عين الحرف الجار له هل هو إلى أو فى أو عن مثلا ؟ وقد يكون ظرفا نحو جلست معه فلذا لم يجز حذفه .

وقد وقع الجلال المحلى فى هذا الخطأ أيضا ، عند تفسير قوله تعالى ـ أول هذه السورة ـ (وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون) فإنه قال : حذف العائد اختصارا وهو مجرور فى الأول أى فيه ، منصوب فى الثانى . قلت . يعنى أن التقدير . وجعل لكم من الفلك ماتركبون فيه ومن الأنعام ماتركبونه .

وتقدير (فيه) خطأ لما مر ، والصواب تقدير العائد المحذوف ضميرا متصلا منصوبا فيهما ، ويجوز فى اللغة أن يقال : ركب الفلك ، كما يقال : ركب فيها .

٣٥ — ومن سورة « ق »

قوله تعالى (ق) الكلام فى حروف الهجاء المفتتح بها بعض السور معروف ، بسطه الزمخشرى فى أول سورة البقرة ، وفصله تفصيلا وافيا . ونحن ننقل وجها مما ذكره ، لأنه من بديع ماكتبه ، قال: الوجه الثانى . أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة ، على نمط التعديد ، كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن ، وبغرابة نظمه . وكالتحريك للنظر فى أن هذا المتلو عليهم ـ وقد عجزوا عنه عن آخرهم ـ كلام منظوم من عين ماينظمون منه كلامهم ، ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله ، بعد المراجعات المتطاولة ، وهم أمراء

الكلام ، وزعماء الحوار . وهم الحراص على التساجل فى اقتضاب الخطب، والمتهالكون على الافتنان فى القصيد والرجز . ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم ، المبالغ التى بزت بلاغة كل ناطق ، وشقت غبار كل سابق . ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ، ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء، إلا لأنه ليس بكلام البشر ، وأنه كلام خالق القوى والقدر . قلت : قد أبدع فى هذا الوجه غاية الإبداع .

ومن بدع التفاسير : أن (ق) جبل محيط بالأرض ، من زمردة خضراء ، إخضرت السماء منه ، وعليه طرفا السماء ، والسماء عليه مقببة . وما أصاب الناس من زمرذ ، كان مما تساقط من ذلك الجبل ! !

وهذا الكلام أبطل من أن يشتغل برده . والعجب ممن يكتبه فى التفسير ! ! ويحمل عليه آيات القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! ! قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ان كانت الاشارة للموت ، فالخطاب للانسان المذكور فى قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان) على طريق الالتفات . وإن كانت الاشارة للحق . فالخطاب للكافر .

ومن بدع التفاسير : أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم،عن بعضهم : أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك ؟ فقال : الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فحكاه لصالح بن كيسان ، فقال : والله ماسن عالية ولا لسان فصيح ، ولا معرفة بكلام العرب ، هو للكافر .

ثم حكاهما للحسين بن عبد الله ابن عبيد الله ابن عباس،فقال : أخالفهما جميعا ، هو للبر والفاجر .

قلت : لا شك أن تفسير زيد بن أسلم غير مقبول ولا معقول ، وهو

بعيد من سياق الآية غاية البعد . وكيف يحيد النبي صلى الله عليه وسلم عن الموت ؟ وهو الذى خـــيره الله بين الدنيا وبين ماعنده ، فاختار ما عند الله كما ثبت عنه فى الصحيحين .

أما تفسير صالح بن كيسان ، فهو أقرب من تفسير الحسين بن عبدالله ، لأن البر لايحيد من الموت ، ولا يهرب منه وإنما الذى يهرب منه ويحيد ، هو الفاجر الكافر .

٣٦ — ومن سورة الرحمن

قوله تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان) تتحدى الآية الثقلين أن ينفذوا من جوانب السموات والأرض إن استطاعوا ، ويهربوا من قضاء الله وحكمه . وتخبر الآية أيضا أن نفوذهم لايمكن إلا بقوة وهى غير موجودة عندهم . وهذا مثل قوله تعالى (وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء) ومثل قول الجن (وأنا ظننا ألن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا) ثم أكدت الآية التحدى بهذه الجملة (يرسل عليكما شواظ من نار) هو لهبها الأحمر (ونحاس) دخان لالهب فيه (فلا تنتصران) .

ومن بدع التفاسير : قول بعض المعاصرين (بسلطان) : بعلم وأن الآية تشير إلى سفن الفضاء التى تحاول بطريق العلم الوصول الى القمر أو غيره من الكواكب على مايقال .

وهذا تحريف للآية يوقع فى الإثم ، وذاك المفسر لايفهم ـ لجهله بقواعد اللغة العربية ـ أن عبارة (إن استطعتم) تفيد التحدى والتعجيز ، وان لفظ (من أقطار) يفيد مجاوزة جوانب السموات والأرض إلى ما بعدها كما يقال : نفذ السهم من الرمية أى جاوزها . وقد أخبر الله تعالى

فى سورة الجن : أنهم كانوا يصعدون إلى السماء ، ويتخذون منها مقاعد لاستراق السمع . وهذا يبين أن الله تحداهم هنا مع الإنس بما هو أبعد من ذلك وأقوى مما لا تبلغه قدرتهم ، وهو ما أوضحناه .

ومن الابتداع الخاطىء : حمل ألفاظ الكتاب والسنة على معان تنافى مدلولها اللغوى ، وتباين السياق الذى سيقت له الآية أو الحديث ، ونحن لاننكر أن فى القرآن والحديث إشارات إلى كثير من المخترعات الحديثة ، لكن تدل عليها فى حدود المدلول اللغوى ، وداخل نطاق الأسلوب الكلامى عند العرب . وقد ذكرنا أمثلة لذلك فى « خواطر دينية » وانظر كتاب « مطابقة الأحوال العصرية لما أخبر به سيد البرية » لشقيقنا الحافظ أبى الفيض رحمه الله تعالى ورضى عنه .

٣٧ – ومن سورة التحريم

قوله تعالى (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك) اختلف فى سبب نزول هذه الآية . فقيل : أن النبى صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم حفصة وفى بيتها ، ووطئها . فعثرت حفصة على ذلك ، فقالت : يارسول الله لقد جئت أمرا ماجئته إلى أحد من نسائك فى بيتى وعلى فراشى وفى دولتى ؟ فقال « أيرضيك أن أحرمها فلا أمسها أبدا ؟ » قالت : نعم . فحرمها على نفسه (١) وقال « لاتذكريه لأحد من الناس » فأخبرت حفصة عائشة بذلك ، وكانتا صديقتين .

---

(١) جاء هذا فى حديث رواه الطبرانى فى عشرة النساء وابن مردويه فى التفسير عن أبى هريرة ، وفيه زيادة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحفصة « ألا أبشرك ؟ » قالت : بلى . قال « يلى هذا الأمر من بعدى أبو بكر ويليه من بعد أبوك واكتمى هذا على » وهذه زيادة منكرة لاتصح .

وقيل : أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب العسل عند زينب بنت جحش إحدى أمهات المؤمنين ـ فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له : إنا نشم منك ريح مغافير . وكان يشتد عليه أن يوجد منه الريح ، فحرم العسل على نفسه . قال الحافظ ابن حجر : يجوز أن تكون الآية نزلت للسببين معا . ومعنى الآية على هذا أن الله تعالى يقول لنبيه : لم تمتنع مما أحل الله لك من قربان جاريتك ومن شرب العسل ، تبتغي مرضاة أزواجك ؟ والكلام خرج مخرج الاشفاق عليه ، والتوجع له صلى الله عليه وسلم . فكأنه تعالى يقول : لم تبتغي مرضاة أزواجك بادخال المشقة على نفسك ؟ هذا هو الظاهر ، كما قال الشريف المرتضى في « غرر الفوائد » ثم بين الله كيفية التحلل من اليمين ، فقال تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فالتحريم هنا معناه : الامتناع (وحرمنا عليه المراضع من قبل) .

ومن بدع التفاسير : قول الزمخشري : (لم تحرم ما أحل الله لك) من ملك اليمين أو العسل ، و (تبتغي) إما تفسير لتحرم ، أو حال ، أو استئناف .

وكان هذا زلة منه ، لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله ، لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل ، لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله . فإذا حرم ، كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به ووجه البدعة في هذا التفسير : أنه حمل التحريم على اعتقاد الحلال حراما ، وسياق الآية لا يقتضيه ، ولا يدل عليه ، ثم حكم بأن النبي صلى الله عليه وسلم زل في هذا التحريم .

والواقع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل . لأنه لم يعتقد ما أحله الله حراما . كما زعم الزمخشري . بل امتنع منه بيمين [1] . على أنه صلى الله عليه

---

(1) ولأجل اليمين قال الله تعالى (والله غفور رحيم) إشارة إلى أنه =

وسلم ، لو قال فى شىء : أنه حرام ، كان حراما ، لأنه مبلغ عن الله . وقد حرم أشياء لم تأت فى القرآن ، مثل السباع والحمر الأهلية ، وقال فى الحديث الصحيح ، ألا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله ، فإذا اعتقد فى شىء أنه حرام ، فهو حرام حقيقة ، لأن اعتقاده لا يكون إلا مطابقا للواقع . فالزمخشرى هو الذى زل فى هذا المكان وضل ، سامحه الله .

« تنبيه » قول الزمخشرى : لحكمة ومصلحة عرفها . فيه إطلاق المعرفة على علم الله تعالى ، وهو خطأ . لأنه لايجوز شرعا أن يقال : عرف الله كذا ، وهو عارف . وإنما يقال : علم كذا ، وهو عالم ، وتجويز الشيخ زكريا الأنصارى إطلاق المعرفة فى حق الله ، لورود ذلك ، يقال عليه : لا يكفى الورود ، بل لابد من الثبوت ولم يثبت فى إطـــلاقها عليه تعالى حديث صحيح .

قوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط

= ما كان ينبغى أن يستعمل اليمين لإرضاء أزواجه . ويكفى إرضاؤهن بغير يمين . وإنما تستعمل اليمين فى الأمور المهمة ، مثل ما أمره بها فى قوله تعالى (قل اى وربى أنه لحق) وقوله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) مبنى على ما قبله بناء المسبب على سببه ، أى من أجل أنه غفور رحيم ، جعل لكم تحلة لأيمانكم تتحللون بها . فلا يلحقكم إثم فى حنثها . ولذا جاء فى المراسيل لأبى داود عن قتادة عن الحسن ـ فى تحريم أم إبرهيم ـ قال : فأمر أن يكفر عن يمينه . وقال ابن اسحق فى السيرة : أخبرنى بعض آل عمر قال : أصاب النبى صلى الله عليه وسلم جاريته القبطية أم ابراهيم فى بيت حفصة ، وفى يومها ، وذكر القصة إلى أن قال : فأنزل الله تعالى (يا أيها النبى لم تحرم) فكفر عن يمينه وقرب جاريته .

كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) زعم بعض المعاصرين ممن أقحم نفسه فى التفسير بغير علم : أن المراد بالخيانة : الزنا . وهـذا من بدع التفاسير ، وهو يدل على جهل صاحبه وغباوته . فليست الخيانة هنا إلا المخالفة فى العقيدة ، ومساعدة الكفار على زوجيهما ، وهو خلاف ماتقتضيه العشرة الزوجية من صفاء المودة ، وحسن المراعاة .

والدليل على هذا أمور :

الأول : ان امرأة نوح كانت ترمى زوجها بالجنون ، وتساعد قومه عليه من شتمه وإيذائه . وامرأة لوط كانت تدل قومه على ضيوفه إذا كانوا حسان الوجوه . لم ينقل عنهما غير ذلك .

الثانى : لو ثبت عليهما شىء من الزنا ، لأسرع قوم نوح وقوم لوط إلى تعييرهما ، والتشنيع عليهما ، لكنهم لم يعرجوا على ذلك بحال .

الثالث : أن من يقع الزنا فى بيته بأهله ـ وهو لايشعر ـ كيف يكون أهلا لأن يدعو أمة ؟ ويتزعم شعبا !

الرابع : أن أكبر عار يلحق بالرجل ، ويسقط حرمته وكرامته ، وقوع الزنا فى أهله . فكيف ينسب إلى رسولين كريمين ؟ !! كان أحدهما يكافح جريمة اللواط ، وكان من السهل جداً أن يقول له قومه : اذهب إلى بيتك فطهره من الفاحشة ، ثم تعال فطهرنا !

الخامس : لايجوز أن يقع الزنا فى بيت نبى يوحى إليه ، ولا ينبهه الله عليه . هذا محال ، لأن الله تعالى غيور ، كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عزوجل يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ماحرم الله عليه » وفى صحيح البخارى عن ابن عباس فى

قصة قذف هلال بن أمية امرأته ، ونزول قوله تعالى (والذين يرمون أزواجهم) الآية ، وقول سعد بن عبادة : لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح[1] قال النبي صلى الله عليه وسلم «أتعجبون من غيرة سعد ؟! لأنا أغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن» فكيف يرضاها فى بيت رسول يختاره لتلقى وحيه ؟ ودعوة الناس إلى توحيده ؟ وإقامة دينه ؟ !

السادس : أن من الشروط التى يجب عقلا وجودها فى الرسول ، الفطنة والذكاء ، والذى يقع الزنا فى أهله ـ وهو لايشعر ـ يكون بالغ النهاية فى الغفلة والبلاهة ، ولا يجوز أن يكون الرسول مغفلا ولا أبله . بل الغفلة مذمومة فى عموم الصالحين ، ألاترى إلى قول عمر رضى الله عنه : لست بخب والخب لا يخدعنى ؟ تجده يتبرأ من الغفلة كما يتبرأ من الخبث . فهو ليس بخبيث ، لكنه ليس من الغفلة بحيث يخدعه خبيث . لأنه مؤمن ، والمؤمن فطن . كما جاء فى مسند الشهاب للقضاعى من حديث أنس «المؤمن كيس فطن حذر» .

السابع : أن كفر المرأة لايعيبها ولا يلحق زوجها عار بسببه لأنه ينشأ عن عناد فى الرأى ، أو اعتداد به ، أو تقليد للآباء . لكن زناها يعيبها ويعيب أهلها ، لأن سببه اغتلام الشهوة ، وانحطاط الخلق ، ودناءة الهمة ، وسوء التربية . ولهذا لما جاءت هند زوج أبى سفيان ، لتسلم ـ وكانت من العنيدات فى الشرك ، والمعتزات به ـ وعرض عليها النبي صلى الله عليه وسلم فيما عرض «ولا تزنين» قالت مستنكرة أو تزنى الحرة ؟!

---

(١) بضم الميم وسكون الصاد وفتح الفاء أى مال على صفحته أى جانبه والمعنى : لو وجدت رجلا مع امرأتى لضربته بحد السيف لأقتله ؟ ولم أضربه بجانبه الذى لايقتل

فمن ثم جاز أن تكون زوج النبي كافرة ، ولم يجز أبدا بحال أن تكون زانية . وهذا معنى مارواه عبد الرزاق والطبرى وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مابغت امرأة نبي قط ، أى مازنت(١) .

قوله تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) تثنى الآية على مريم عليها السلام بإحصان فرجها ، وعفتها عن الحرام ، وأن الله تعالى نفخ فيه من روحه . . الخ قصتها .

قال الزمخشرى : ومن بدع التفاسير : أن الفرج جيب الدرع ، ومعنى أحصنته : منعته جبريل .

وأنه جمع فى التمثيل بين التى لها زوج ـ وهى امرأة فرعون ـ والتى لازوج لها ، وهى مريم . تسلية للأرامل ، وتطييبا لأنفسهن .

قلت : جبريل نفخ فى جيب درعها أو قيصها بنص القرآن ، ولم تمنعه من ذلك . وإحصان الفرج لايراد به إلا الكناية عن العفة . والطهارة من الزنا . فاطلاقة على جيب الدرع ، فى غاية البعد . ويظهر أن صاحب هذا التأويل كان نصرانيا رسخت فيه عقيدة النصارى : أن الله نفخ فى مريم مباشرة من غير واسطة جبريل ، فلذلك يقولون فى عيسى : ابن الله ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

وحكمة تسلية الأرامل ، وتطييب أنفسهن . ليس لها قيمة فى هذا الموضع ، وماذا يضير الأرامل لو لم تذكر مريم (٢) ؟

---

(١) لا لعصمتها كما فهم بعض الجهلة وأنكر هذا الأمر ، بل لدناءة الزنا ودناءة فاعله . وقد تكون زوجة النبي كافرة أوقاتلة لكنها حرة.

(٢) على أن مريم لم تتزوج ، والأرملة هى التى مات عنها زوجها.

٣٨ — ومن سورة الملك

قوله تعالى : (وقالوا لوكنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير) معنى الآية : أن الكفار حين يدخلون النار ، يقولون ـ متحسرين ـ لوكنا نسمع إنذار الرسل سماع قبول ، ونعقل معناه : عقل متأمل منصف ، لآمنا وما دخلنا النار .

قال الزمخشرى : ومن بدع التفاسير : أن المراد : لوكنا على مذهب أصحاب الحديث ، أو على مذهب أصحاب الرأى . كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين ، وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين ، قد أنزل الله وعيدهم : وكأن من كان من هؤلاء ، فهو من الناجين لامحالة . وعدة المبشرين من الصحابة عشرة ، لم يضم اليهم حادى عشر[1] . وكان من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين .

قلت : وجه البدعة فى هذا التفسير : أن صاحبه حمل الآية على معنى لم يكن معروفا وقت التنزيل ، وإنما حدث بعد ظهور المجتهدين ، وافتراقهم فى فهم الكتاب والسنة إلى هذين الفريقين . وقد نبهنا إلى هذا فى سورتى البقرة والرحمن .

٣٩ — ومن سورة القلم

قوله تعالى (وإن لك لأجرا غير ممنون) قال الزمخشرى : غير مقطوع كقوله (عطاء غير مجذوذ) .

---

(١) يعنى فى حديث واحـــد . وهذا لاينافى أفرادا بشروا فى أحاديث متفرقة ، مثل الحسن والحسين وفاطمة وخديجة وبلال وعبد الله بن سلام ، وقد استوعبت أسماءهم فى « خواطر دينية » .

أو : غير ممنون به عليك ، لأنه ثواب تستوجبه على عملك ، وليس بتفضل ابتداء ، وإنما تمن الفواضل ، لا الأجور على الأعمال .

قلت : الرأى الثانى من بدع التفاسير ، مع مافيه من إساءة الأدب فى حق الله سبحانه وتعالى . وقد تكرر هذا منه فى غير موضع من كشافه . والله تعالى لا يجب عليه شيء ، إذ هو الخالق للخلق ، ومتبدئهم بنعمه ، فكيف يجب لهم عليه شيء إلا ما أوجبه على نفسه تفضلاً ؟ وما يعطيه من أجور لعباده الصالحين ، فله فيه المنة والفضل سواء أكان ابتداء؟ أم فى مقابلة عمل ؟ ! وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل »

وفى معجم الطبرانى عن واثلة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الله يوم القيامة عبدا لاذنب له فيقول الله : أى الأمرين أحب إليك ؟ أن أجزيك بعملك ؟ أو بنعمتى عندك ؟ قال . يارب إنك تعلم أنى لم أعصك . قال : خذوا عبدى بنعمة من نعمى . فما تبقى له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة . فيقول : رب بنعمتك ورحمتك . فيقول بنعمتى ورحمتى » .

وأما مثل قوله تعالى (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) فالباء فيه للسببية الجعلية ، بمعنى أن الله تعالى جعل العمل الصالح سببا شرعيا لدخول الجنة ، وهذا الجعل تفضل منه ، ولهذا يقول أهل الجنة حين يدخلونها (الحمد لله الذى أحلنا دار المقامة من فضله) .

ويعجبنى فى هذا المعنى قول صاحب الحكم : إذا أراد إظهار فضله عليك ، خلق ونسب إليك .

والسر فى ذلك أن الله تعالى ابتدأ خلقه بنعمه تفضلا ، أولاها : نعمة الإيجاد ، ثم نعمة الإمداد بالحواس وبالصحة والتوفيق إلى الطاعة وغيرها مما لا يحصى ،

كما قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) فلو أن الإنسان عبد الله طول حياته ما أدى شكر نعمة من تلك النعم .

كما جاء فى مسند البزار عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه النعم من الله عليه . فيقول الله عز وجل لأصغر نعمة ـ أحسبه قال : فى ديوان النعم ـ : خذى ثمنك من عمله الصالح . فتستوعب عمله الصالح ، ثم تنحى ، وتقول : وعزتك ما استوفيت . وتبقى الذنوب والنعم ، وقد ذهب العمل الصالح .

فإذا أراد الله أن يرحم عبدا قال : ياعبدى قد ضاعفت لك حسناتك ، وتجاوزت عن سيئاتك ، ووهبت لك نعمى ، فكيف يستوجب العبد على الله ـ وهو مقصر فى شكر نعمه ـ أن يدخله الجنة بعمله ؟ ! ومما يعاب به الزمخشرى ، محاولته تطبيق آيات القرآن على مذهبه الاعتزالى . وبركب فى تحقيق محاولته كل صعب وذلول ، ولولا ذلك ، لم يكن لتفسيره نظير ، لأنه أظهر وجوه اعجاز القرآن ، وبينها غاية البيان . حتى قيل ـ فيه وفى السكاكى صاحب مفتاح العلوم ـ : لولا الأعرجان ، لذهبت بلاغة القرآن .

قوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) هذه العبارة كناية عن غاية الإذلال لأن الوسم على الوجه شين ، فكيف به على أكرم موضع منه ؟ والضمير يعود على الوليد بن المغيرة . وقد خطم بالسيف يوم بدر ، فبقيت سمة على خرطومه ، وهى من الإهانة والإذلال وقيل : سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة ، يبين بها عن سائر الكفار ، كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم .

ومن بدع التفاسير : أن الخرطوم الخمر ، وأن المعنى : سنحده على الخمر ، أى على شربها وهذا المعنى ـ وان نقل عن النضر بن شميل الإمام

اللغوى الثقة وما أظنه يصح عنه ـ بعيد عن سياق الآية ، لايتلاقى معها بأى وجه .

٤٠ — ومن سورة المزمل

قوله تعالى (يا أيها المزمل) نادى الله تعالى نبيه بهذا الوصف ، تسجيلا لحالته حين رجع إلى خديجة رضى الله عنها ، وفؤاده يرجف ، بعد إذ نزل عليه قوله (اقرأ باسم ربك) ـ وهو أول وحى يتلقاه ـ وقال « زملونى » ، والحكمة فى هذا النداء إيناسه ، وإزالة ما علق بقلبه من هيبة الوحى ، حتى قال لخديجة « لقد خشيت على نفسى » كما ثبت فى الصحيحين . وأعقبه بالأمر بقيام الليل ، استعدادا لما يتتابع عليه من نزول الوحى (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) .

ومن بدع التفاسير : قول الزمخشرى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل ، متزملا فى قطيفة ، فنبه ونودى بما يهجن إليه الحالة التى كان عليها من التزمل فى قطيفة ، واستعداده للاستثقال فى النوم . كما يفعل من لايهمه أمر ، ولايعنيه شأن ، وفى أمثالهم :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا توردىا سعد الإبل

فذمه بالاشتمال بكسائه ، وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس . وأمر بأن يختار على الهجود التهجد ، وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة فى سبيل الله .

قلت : قلده البيضاوى من غير تبصر . وهو مخالف لسبب النزول ، وفيه سوء أدب فى حق الجناب النبوى الكريم . وإذا كان الله لم يناده باسمه المجرد ـ كما نادى غيره من الأنبياء ـ تكريما له . فكيف يعقل أن يناديه بوصف يذمه به ؟ ! سامح الله الزمخشرى على هذه الجرأة التى لم يقصدها فيما أحسب .

٤١ — ومن سورة المدثر

قوله تعالى (إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر) نذيراً حال من إحدى ، والضمير يعود على سقر . والمعنى : أن الله تعالى أقسم بالقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر ، على أن سقر إحدى الدواهى الكبر ، حال كونها نذيرا للبشر . وذكر نذيرا : اما لأنه بمعنى انذار ، واما لأن سقر بمعنى العذاب ، واما لأن نذيرا يستوى فيه المذكر والمؤنث .

وقيل فى نذيرا : إنه تمييز لإحدى الكبر ، وقيل : مما دلت عليه الجملة ، أى كبرت سقر منذرة .

ومن بدع التفاسير ـ كما قال الزمخشرى ـ : أن نذيرا حال من قوله فى أول السورة (قم فأنذر) وهو اعراب فى غاية البعد ، لا يليق إلا بالمختصرات الشديدة الاختصار ، مثل مختصر خليل فى فقه المالكية ، والروض لابن المقرى فى فقه الشافعية ، ولب الأصول ، اختصار جمع الجوامع ، لزكريا الأنصارى . ففى هذه الكتب وأمثالها تجد بين المبتدأ وخبره صفحتين كاملتين ، وبين الحال وصاحبها ثلاث صحائف ، ونحو ذلك من التعقيدات التى صعبت العلم ، وصيرته أشبه بالرموز والألغاز .

٤٢ — ومن سورة الإنسان

قوله تعالى (انا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا) قال الزمخشرى : قرىء سلاسل غير منون ، وسلاسلا بالتنوين . وفيه وجهان :

أحدهما : أن تكون هذه النون بدلا من حرف الإطلاق ، ويجرى الوصل مجرى الوقف .

والثانى : أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ، ومرن لسانه على صرف غير المنصرف .

قلت : هذا من بدع التفاسير . فإن القراءات السبعة ، بل العشرة ليست مبنية على اجتهاد القراء واختيارهم ، ولكنها منقولة نقل تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم . حسبما تقرر فى علم الأصول ، وبسطه شيخ المقرئين الحافظ ابن الجزرى فى كتاب « النشر »[1] .

وتنوين سلاسل قرأ به نافع[2] امام قراء أهل المدينة ، وهو أبعد الناس عن رواية الشعر . ووجهه : أنه لمناسبة قوله (وأغلالا) ورعاية المناسبة ، لهجة عربية فصيحة ، ومنها : قوله عليه الصلاة والسلام ـ يخاطب النسوة اللاتى تبعن الجنازة ـ « ارجعن مأزورات غير مأجورات » أصل مأزورات : موزورات ، لأنه من الوزر . لكن قيل بالهمزة لرعاية مأجورات وكثيرا ماتجد فى كتب الأدب واللغة العربية توجيه صرف كلمة غير منصرفة بأنه لرعاية المناسبة .

قوله تعالى (عينا فيها تسمى سلسبيلا) معنى سلسبيلا : سلسة الانحدار فى الحلق ، سهلة المساغ . قال الزجاج : السلسبيل فى اللغة : صفة لما كان فى غاية السلاسة .

قال الزمخشرى : وقد عزوا إلى على رضى الله عنه : أن معناه : سل سبيلا إليها . وهذا غير مستقيم على ظاهره ، إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلا ، جعلت علما للعين . كما قيل : تأبط شرا ، وذرى حبا . وسميت بذلك لأنه لايشرب منها ، إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح . وهو مع صحته فى العربية تكلف وابتداع ، وعزوه الى مثل على عليه السلام أبدع . وفى شعر بعض المحدثين سل سبيلا منها إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل.

---

(١) وبسطه أيضا العلامة المقرىء المحقق محمد بن عبد السلام الفاسى فى كتاب « المحاذى » وهو كتاب فى القراءات نفيس مخطوط ، رأيته فى مكتبتنا .

(٢) هو نافع بن أبى نعيم ، توفى سنة ١٦٩ وهو غير نافع مولى ابن عمر ، وشيخ مالك .

قلت : فى البيت جناس تام ، وهو من المحسنات اللفظية فى علم البديع وما نقل عن على عليه السلام ، لم يصح عنه . ولا شك أنه من بدع التفاسير .

٤٣ — ومن سورة النبأ

قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) اختلف فى الروح . فقيل : جبريل عليه السلام وقيل : ملك عظيم من الملائكة ، وقيل : صنف من الملائكة يقال لهم : الروح . والآية تصور هول يوم القيامة ، وما يعترى الخلق من خشوع وخضوع لهيبة الله تعالى فيه .

ومن بدع التفاسير : ماجاء عن وهب بن منبه ، قال : أشرف ذو القرنين (١) على جبل قاف ، فرأى تحته جبالا صغارا . فقال له : ماأنت قال : أنا قاف . قال : فما هذه الجبال حولك ؟ قال : هى عروقى ، وما من

---

(١) هذا الكلام مبنى على أن ذا القرنين ملك الدنيا وطاف أرجاءها من مشرقها إلى مغربها . وروى ابن أبى شيبة عن مجاهد قال : ملك الدنيا أربعة : مؤمنان : ذو القرنين وسليمان ، وكافران : نمروذ وبختنصر . وهذا غير صحيح ، فلم يملك الدنيا كلها أحد ، لاهؤلاء ولا غيرهم . ولقد كان ملك العباسيين زمن الرشيد والمأمون أكبر من ملك ذى القرنين الذى كان ملكا على فارس ، واتجه فى سيره إلى المغرب حتى وصل الى أزمير ، وهناك فى مكان عند الشاطىء منعزل وجد الشمس تغرب فى عين حمئة . والقوم الذين وجدهم هناك هم اليونان وكانوا أصحاب حضارة وعلوم . ثم واصل سيره إلى جهة المشرق حتى بلغ الهند ووجد بعض أصقاعها سهولا منبسطة ليس فيها مايستر أهلها من الشمس ، لاجبال ولا أشجار . ثم واصل السير إلى جهة شمال فارس،حتى بلغ ارمينيا فاشتكى إليه أهلها إفساد يأجوج ومأجوج وإغارتهم عليهم ، فبنى ردما فى ممر بين جبلين ، منعهم من الاغارة عليهم طوله نحو مائة متر ، وعلوه نحو ثلاثين مترا . وهو موجود فى هذا المكان إلى الآن . ويأجوج من الروس ، ومأجوج من المنغول . وسمى ذو القرنين بهذا الاسم ، لأنه كان فى تاجه قرنان .

مدينة إلا وفيها عرق من عروق . فاذا أراد الله أن يزلزل مدينة ، أمرنى ، فحركت عرق ذلك فتزلزلت تلك الأرض . فقال له : ياقاف أخبرنى بشىء من عظمة الله . قال : إن شأن ربنا العظيم ، وإن ورائى أرضا مسيرة خمسمائة عام ، فى خمسمائة من جبال ثلج ، يحطم بعضها بعضا ، لولا هى لاحترقت من حر جهنم . قال : زدنى . قال : إن جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترتعد فرائصه، يخلق الله من كل رعدة ألف ملك . فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدى الله تعالى ، منكسون رؤسهم . فاذا أذن الله لهم فى الكلام ، قالوا : لا إله إلا الله . وهو قوله تعـــالى : (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) .

قلت : أنعم بهذا التفسير الذى تلقاه ذوالقرنين من الإمام جبل قاف !! وقد قاله قبل نزول القرآن ! ! ! ثم أنعم بالعقول التى تقبل هذا التخريف ، وتكتبه فى مؤلفاتها ! ! !

ولو قرأت رسالة « الصلصلة فى الزلزلة » لعرفت كيف يقع بعض كبار العلماء فى الخرافات ، معتقدين أنها نهاية التحقيق ؟ ! والكمال لله تعالى .

٤٤ — ومن سورة عبس

قوله تعالى (إنا صببنا الماء صبا) أى أنزلنا الغيث (ثم شققنا الأرض شقا) أى شققناها باخراج النبات منها .

قال الزمخشرى : ويجوز أن يكون من شقها بالكرابِ على البقر ، وأسند الشق الى نفسه ، اسناد الفعل الى السبب . قلت : هذا على عقيدته الاعتزالية فى أن العبد يخلق أفعاله . وقد علق عليه ابن المنير بقوله : مارأيت كاليوم قط عبدا ينازع ربه ! الله تعالى يقول : (ثم شققنا) فيضيف فعله إلى ذاته حقيقة ، كما أضاف بقية أفعاله من عند قوله (من نطفة خلقه) وهلم جرا . والزمخشرى يجعل الإضافة مجازية ، من باب إسناد الفعل إلى سببه .

وإذا جعل شق الأرض مضافا إلى الحراث حقيقة ، وإلى الله مجازاً ، فما يمنعه أن يجعل الحراث هو الذى صب الماء ، وأنبت الحب والعنب والقضب حقيقة ؟ وهل هما إلا واحد ؟ !

قلت : أظن أن الزمخشرى لو أدرك هذا الزمان الذى توصلوا فيه إلى إنزال المطر الصناعى لسقى الأرض وزرعها ، لأسند صب الماء إلى الحراث حقيقة ! وبعد : فحمل آيات القرآن على عقيدة معينة ، أو مذهب معين ، هو — ولا شك — من بدع التفاسير .

٤٥ — ومن سورة الغاشية

قوله تعالى : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) المراد بالإبل : الحيوان المعروف .

ومن بدع التفاسير : أن الإبل هى السحاب .

قال الزمخشرى : لعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب ، كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين ، وغير ذلك . وإنما رأى السحاب مشبها بالإبل كثيراً فى أشعارهم ، فجوز أن يراد به السحاب على طريق التشبيه والمجاز . قلت : هذا توجيه بعيد .

٤٦ — ومن سورة الفجر

قوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم) عطف بيان لعاد . إعلاما بأنهم عاد الأولى ، وإرم جدهم الأدنى ، ثم صار علما للقبيلة (ذات العماد) صفة للقبيلة التى هى إرم . والمعنى : أنهم كانوا طوال الأجسام . تشبيها لهم بالأعمدة ، وقد شبهوا فى سورة القمر بأعجاز نخل منقعر ، وفى سورة الحاقة بأعجاز نخل خاوية (التى لم يخلق مثلهـــا فى البلاد) فى البطش والقوة .

فقد حكى الله عنهم أنهم استكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا : من أشد منا قوة ؟

ومن بدع التفاسير : أن شداد بن عاد ، كان ملكا قهر ملوك الدنيا ، فدانوا له ، وسمع بذكر الجنة ، فقال : أبنى مثلها . فبنى إرم فى بعض صحارى عدن وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة . بناها فى ثلاثمائة سنة ، ولما تم بناؤها ، ذهب إليها بأهل مملكته . فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء ، فهلكوا . وهى المراد من الآية . وأن عبد الله بن قلابة ، خرج فى طلب إبل له ، فوقع عليها ، فحمل ما قدر عليه مما ثم . وبلغ خبره معاوية ، فاستحضره ، فقص عليه ، فبعث إلى كعب ، فسأله . فقال : هى إرم ذات العماد . وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك ، أحمر أشقر ، قصير ، على حاجبه خال ، وعلى عنقه خال ، يخرج فى طلب إبل له . ثم التفت ، فرأى ابن قلابة ، فقال : هذا والله ذلك الرجل .

قلت : أخرج الثعلبى من طريق عثمان الدارمى ، عن عبد الله بن صالح كاتب الليث ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبى عمران ، عن وهب بن منبه ، عن عبد الله بن قلابة ، أنه خرج فى طلب إبل له شردت ، فذكر القصة السابقة . قال الحافظ : آثار الوضع عليه لائحة .

قلت : لاشك أن هذا كذب مفضوح ، يجب تنزيه كتب التفسير عنه ، لأنه يشوه جماله . والعجيب فى هذا الكذب أن يعرف كعب صفة ابن قلابة بتلك الدقة المدهشة !!! كأنه حضر ولادته ! ولعله قرأ صفته فى بعض الكتب التى تدل على الكنوز ، وتصف من يكون فتحها على يده !!!

٤٧ — ومن سورة الضحى

قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) المعنى : أن النبي صلى الله عليه وسلم نشأ يتيما ، مات أبوه وهو جنين ، فآواه الله ورباه .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير أنه من قولهم : درة يتيمة ، وأن المعنى : ألم يجدك واحدا فى قريش ، عديم النظير ؟ فآواك ! قلت : يجوز أن يكون من باب الإشارة . والمعنى : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عديم النظير فى قريش ، يبغض الأصنام ، وهم يعبدونها ، ويجتنب قبائح الجاهلية ، وهم منغمسون فيها . وينشد معالى الأمور ، وهم يحبون سفسافها . فهو درة يتيمة ، وسط معادن غير كريمة ، وأشق شيء على الشخص وجوده بين ناس غير موافقين . فآواه الله إليه ، وآنسه بوحيه .

ومثل هذا من الإشارة يقال - فى قوله - (ووجدك ضالا فهدى) أى وجدك محبا لتوحيده ، مفكرا فيما يعرفك به ، ويجمعك عليه . فهداك به اليه . وعرفك نفسه ، فجمعك عليه .

(ووجدك عائلا فأغنى) أى وجدك فقيرا إلى مزيد فضله ، متشوقا إلى وصله . فأغناك بما أولاك ، ووصلك إلى حضرته وأدناك .

٤٨ — ومن سورة ألم نشرح

قوله تعالى . (فإذا فرغت فانصب) أى إذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء .

أو : فإذا فرغت من الغزو ، فاجتهد فى العبادة .

أو : فإذا فرغت من دنياك ، فانصب فى صلاتك .

قال الزمخشري : ومن البدع : ماروى عن بعض الرافضة . أنه قرأ

فانصب ، بكسر الصاد ، أى فانصب عليا للإمامة . ولو صح هذا للرافضى لصح للناصبى أن يقرأ هكذا . ويجعله أمرا بالنصب الذى هو بغض على وعداوته .

٤٩ — ومن سورة قريش

قوله تعالى (وآمنهم من خوف) معنى الآية : أن الله تعالى آمن قريشا من خوف أصحاب الفيل ، ومن خوف التخطف فى بلدهم .

قال الزمخشرى : ومن بدع التفاسير . وآمنهم من خوف : من أن تكون الخلافة فى غيرهم .

قلت : لاشك أن هـــذا تفسير مبتدع . لأن اللفظ لايدل عليه ، والسياق لايقتضيه .

ومن غرائب القراءات : ماحكاه أيضا بقوله : وقرىء (وآمنهم من خوف) باخفاء النون(١) .

٥٠ — ومن سورة الفلق

قوله تعالى (من شر ماخلق) قرأه بعض الغالين فى الاعتزال ، من شر بتنوين شر ، وجعلما نافية . والمعنى : قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلقه ، بل خلقه فاعله . بناء على قولهم . ان العبد يخلق أفعاله . وهذا تحريف آثم ، يهوى بصاحبه فى النار ، نسأل الله السلامة والعافية .

---

(١) وجه الغرابة أن الخاء من حروف الحلق الستة ، وحكم النون معها هو الإظهار .

خاتمة

تشتمل على مسائل ثلاثة :

— ١ —

علمت مما عرضناه من نماذج « بدع التفاسير » أنها لاتخلو من أن تكون مخالفة للفظ الآية ، أو منافية لإعرابها ، أو منافرة لسياق الكلام ، أو غير متلاقية مع سبب النزول ، أو مصادمة للدليل . ومن ثم كانت بدعيتها ، ووجب إبعادها عن كتب التفسير ، وتنقيته منها ، وهى نوع من التفسير ، فتحنا أبوابه ، وبينا أسبابه ، وكشفنا عما غمض منه حجابه . فمن أراد أن يكتب فيه ، فلينهج مانهجناه ، وليقتف مامهدناه ، وليبْن على ماأسسناه ، وليفرع على ماأصلناه ، وإننا نحمد الله على أن هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

والمرجو ممن اطلع عليه من أولى العلم ، أن يغضى عما عسى أن يكون فيه من خطأ أو سهو . فإن الخطأ والسهو ، طبيعة فى الإنسان . لاسيما وقد كتبناه فى ظروف توالت علينا بالهموم والأكدار ، وقضت بتشريد العقل وتشتيت الفكر ، مع عدم الصديق الموافق ، والزمان المواتى ، مما يتعذر مع وجود بعضه إنشاء خطاب عادى ، فضلا عن تأليف كتاب مستقل ، فى موضوع مبتكر ، لم يوجد منه إلا أمثلة . ذكرت فى تفسير الكشاف ، على سبيل الاستطراف . والله المسئول أن يبدل همومنا سروراً ، وأكدارنا صفوا وحبورا . وأن يديم علينا نعمة العقل ، وأن يجمع فكرنا على التأمل فى آياته ، إنه قريب مجيب .

من أنواع التفسير . التفسير الإشارى الذى يسلكه الصوفية فى تفاسيرهم وذلك أنهم حين يتكلمون على آية من القرآن ، يقرون تفسيرها اللفظى كما ذكره المفسرون ، ويأخذون منها بعد ذلك معنى إشاريا يتصل بما يفيضون فيه من مقامات وأحوال ، ومعارف وأسرار .

وقد ذكرنا مثالا لذلك فى سورة الضحى . وهو بالنسبة للتفسير اللفظى كنسبة المفهوم إلى المنطوق ، فكما أن المنطوق هو مادل عليه اللفظ فى محل النطق . مثل وجوب الصلاة المدلول عليه بلفظ (أقيموا الصلاة) كذلك التفسير اللفظى للآية ، هو ما أفاده نظمها ، واقتضاه سياقها ، وكما أن المفهوم هو مادل عليه اللفظ لافى محل النطق ، مثل تحريم الضرب للوالدين المدلول عليه بقوله (فلا تقل لهما أف) لكن لافى محل النطق ، لأنه غير منطوق به . كذلك التفسير الإشارى هو ما استفيد من الآية لابطريق لفظها وعبارتها .

ودلالة الإشارة معتبرة عند علماء الأصول ، فانهم لما تكلموا على ألفاظ الكتاب والسنة ، وقسموا دلالتها إلى نوعين : منطوق ، ومفهوم . قسموا دلالة المنطوق إلى دلالة اقتضاء ، ودلالة إشارة . ومثلوا للأخيرة بقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) وقالوا : دلت الآية بطريق المنطوق على إحلال الجماع طول ليلة الصيام . ويؤخذ منها بطريق الإشارة صحة صوم من أصبح جنبا[1] وأخذ العلماء من قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) - بطريق الإشارة - أن الإنسان لو وجد ابنه رقيقا ، فاشتراه عتق عليه بمجرد الشراء ، لأن الولدية

---

(١) لأن الليلة تصدق بكل جزء من أجزائها . فن جامع فى آخر جزء منها بحيث يكون ملاصقا لأذان الفجر . لايستطيع أن يغتسل إلا بعد الفجر فيمضى عليه جزء من النهار وهو جنب ، فن هنا كانت الآية تشير إلى صحة صومه .

والعبودية لا تجتمعان . فكما استخرج علماء الأصول والفقه من ألفاظ القرآن والسنة بطريق الإشارة ، أحكاما تشريعية ، كذلك استخرج الصوفية بطريقها علوما ربانية .

وممن استعمل التفسير الإشاري ، من العلماء غير الصوفية : النيسابوري في تفسيره المطبوع بهامش تفسير الطبري . واسماعيل حق في تفسيره « روح البيان » .

والآلوسي في تفسيره « روح المعاني » . وهذان التفسيران مطبوعان أيضا . لكن الصوفية في هذا الباب أمكن ، وعلى الإشارات الدقيقة أغوص ولهم تفاسير تختلف باختلاف عباراتهم بين عويصة مستغلقة ، مثل « عرائس البيان » للورتجي ، و « إعجاز البيان في تفسير فاتحة القرآن » للقونوي ، ربيب ابن العربي الحاتمي وتلميذه . وبين واضحة محكمة ، كتفسير النخجواني ، ولم أر فيها أوضح عبارة ، وأقرب فهما ، وأحسن سياقا ، وأسلس عذوبة من كتاب « البحر المديد في تفسير القرآن المجيد » لجدنا من قبل الأم ، الإمام العلامة الولي الكبير أبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه ، فإنه يعتبر - بحق - لسان الصوفية والمعبر عنهم في هذا الفن يذكر الآية ، ويذكر ما فيها من وجوه الإعراب ، ويتبع ذلك بذكر المعنى — ومصادره تفسير البيضاوي وتفسير ابن جزي وحاشية العارف أبي زيد عبد الرحمن الفاسي على تفسير الجلالين وما يفتح الله به عليه - ثم يذكر المعنى الإشاري ، بعبارة سلسلة ، وبيان عذب ، حتى يشعر القارىء أن الآية لم تنزل إلا في هذا المعنى ، ولم يقصد منها سواه .

وكتب على المقدمة الآجرومية شرحا بهذه الطريقة أيضا . يذكر عبارة المؤلف ، ويشرحها بمقتضى علم النحو ، ويتبعها بالمعنى الإشاري ، فيندهش القارىء لحسن تنزيله عبارة المتن على المعاني الصوفية ، ويخيل اليه أن ابن آجروم ، ألف مقدمته في علم التصوف .

وللعارف أبي الحسن علي بن ميمون الغماري — شيخ ابن عراق — شرح على الآجرومية بالتصوف أيضا ، اطلعت عليه . لكنه عويص مستغلق ، يتعب القارىء فى فهمه .

وقد كتب بعض المعاصرين من المتصوفة شرحا على منظومة عبد الواحد بن عاشر فى فقه المالكية ، بطريق التصوف ، مقلدا خطة ابن عجيبة ، اطلعت عليه ، وهو مطبوع . لكن بينهما بون شاسع ، فليست النائحة المأجورة كالثكلى ، ولا الحاكى مثل الذائق .

والمقصود : أن الصوفية ، لهم فى فهم القرآن والسنة تلميحات وإشارات ، تدل على إلهامات إلهية ، وتنزلات قدسية .

وقد كنت فى بداية طلبي للعلم ، أقرأ شرح العارف أبي محمد بن أبي جمرة على مختصره للبخارى ، على سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضى الله عنه . فكان يلفت نظرى إلى ما فيه من دقائق الاستنباطات التى لم يتفطن لها شراح البخارى قبله ، وهى مما ألهمه الله إياها ، وفتح بها عليه . ويقول لى : إن الحافظ ابن حجر ، ينقل عنه كثيراً منها فى « فتح البارى » ويحليه بلقب « العارف » مع أنه ليس من أنصار الصوفية .

وماذاك إلا لأنه يقدرعلمه وفهمه ، ويعترف بما فتح الله به عليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

— ٣ —

أردت أن أتكلم عن التفاسير المشهورة المتداولة التى اطلعت عليها ، وأبين خصائص كل تفسير منها ، حسبما يظهر لى ، غير متقيد برأى ، ولا متأثر بعقيدة معينة . متحريا للصواب فيما أقرره وأبديه ، والله الموفق .

١ — تفسير الطبرى : تفسير جليل القدر ، يعتبر من التفاسير التى تعنى بالتفسير المأثور . مثل تفسير عبد بن حميد وابن أبى حاتم وابن المنذر وأبى الشيخ ابن حيان (١) وابن مردويه ، ونحوهم ممن يروون بأسانيدهم ما ورد فى تفسير الآية عن النبى صلى الله عليه وسلم - وهو قليل - وعن الصحابة الذين تكلموا فى التفسير ، مثل على وابن عباس وابن مسعود وأبى بن كعب وعبد الله بن عمرو . وعن التابعين كذلك ، مثل سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة ، وأبى مالك الطائى والباقر وعطاء وعلقمة وعبيد بن عمير والشعبى ، وزيد بن أسلم ، والسدى الكبير . غير أن تفسير الطبرى يمتاز بثلاثة أشياء :

(١) ذكر اللغات ، ووجوه الاعراب ، والاستشهاد بأشعار العرب .

---

(١) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية ، واسمه عبد الله ابن جعفر بن حيان الأصبهانى ، شيخ أبى نعيم . من مؤلفاته كتاب العظمة فى مكتبتنا مختصره فى مجلد ، وكتاب النوادر والنتف ، وكتاب التوبيخ علقت منهما فوائد ، وهما فى مكتبتنا وكتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ، طبع بتعليقاتى عليه وهو غير أبى حاتم محمد بن حاتم بن حبان بكسر الحاء المهملة وتشديد التحتية الموحدة ، البستى . له كتاب الضعفاء ، اطلعت عليه وهو فى مجلد متوسط ، وكتاب الثقات ، اطلعت على نصف ترتيبه فى مجلد ضخم للحافظ الهيثمى . رتبه على حروف المعجم . وكتاب الصحيح اطلعت على ترتيبه لابن بلبان . وانتخبت منه أحاديث فى نزول عيسى وغيره . طبعت منه قطعة ، وكتاب روضة العقلاء ، وهو مطبوع . وغير ذلك . وفى كتب الحديث المطبوعة تصحيف تواطأ عليه المصححون ، وهو كتابة أبى الشيخ ابن حيان بالباء الموحدة ، حتى كتاب الترغيب والترهيب الذى قام الشيخ مصطفى عمارة بضبطه وتصحيحه ، فيه هذا التصحيف من أول الكتاب إلى آخره وفيه تصحيفات أخرى كثيرة ، بل فيه لحن فى تشكيل الأحاديث .

(٢) الترجيح بين الأقوال المختلفة .

(٣) إبداء رأيه فى تفسير الآية بصراحة واستقلال ، لا يتقيد إلا بالدليل من الكتاب أو السنة أو لغة العرب .

وإن كان لى عليه انتقاد ، فهو على ترجيحه بين القراءات ، وتضعيف بعضها . وهذا منه يقتضى أنه يرى القراءات موكولة إلى رأى القراء ، واجتهادهم فيما يختارونه من لغات العرب ولهجاتهم . والصواب : أن القراءات موقوفة على النقل ، وحيث تواترت قراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم كقراءة نافع وحمزة وابن كثير وغيرهم من القراء المشهورين ، لم يجز تضعيفها ، لأن القراءة سنة متبعة . نعم يجوز أن يكون فيها فصيح وأفصح ، وبليغ وأبلغ .

أما اعتماده على ما ينقله عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما من مسلمة أهل الكتاب ، فذاك انتقاد يتوجه على أغلب كتب التفسير . وإنى لشديد العجب من علمائنا المتقدمين الذين اعتمدوا على الإسرائيليات فى التفسير وغيره ناسين أن الله تعالى أخبر عن أهل الكتاب أنهم حرفوا كتبهم وبدلوا فيها !! وأن رسولنا صلى الله عليه وسلم حذرنا من تصديقهم !!

وأعجب من هذا أن تلك الإسرائيليات تغلغلت فى كتب العلماء ، وتسلطت على عقولهم حتى صارت عندهم عقيدة !! على أساسها يفهمون القرآن ! وبتفاصيلها يفسرون ماغمض من آياته ! فابتلاء أيوب عليه السلام لم يفسر إلا بما جاء عن أهل الكتاب . وكذلك فتنة داود وسليمان ، ويوسف عليهم السلام . وفى القرآن دلالة قاطعة على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام ، وكذلك مناسك الحج وشعائره ، تدل على ذلك أيضا .

ومع هذا فإن كثيراً من العلماء منهم الطبرى ، ذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق عليه السلام . لا لدليل من الكتاب أو السنة ، ولكن اعتماداً على كذب أهل الكتاب وتحريفهم . والحافظ السيوطى كتب رسالة فى تعيين الذبيح ، حكى فيها القولين ، وذكر أحاديث تؤيد الفريقين ـ وهى أحاديث واهية لا تساوى سماعها ـ ثم اختار التوقف عن تعيين الذبيح ، لتعارض الأدلة !! (١) .

فانظر إلى أى حد سيطرت الإسرائيليات على عقول علمائنا وتفكيرهم؟! ومثل هذا ما حكوه عن هاروت وماروت ، وشـداد بن عاد ، وبنائه إرم ذات العماد ، وطول عوج بن عنق ، وغير ذلك مما شوه كتب علمائنا ، وكان ثغرة نفذ منها الطاعنون الحاقدون .

٢ ــ تفسير البغوى : يعتبر من تفاسير السلف ، لأن مؤلفه من أهل الحديث ، كتب تفسيره على طريقتهم . يذكر معنى الآية ، ويؤيده بحديث مرفوع يسنده ، أو بقول صحابى أو تابعى من علماء التفسير . وقد يحكى الأقوال ، ويرجح بعضها لدليل يبديه ، ويميل فى الصفات المتشابهة إلى تفويض علمها لله تعالى ، مع اثباتها كما جاءت فى القرآن .

٣ ــ تفسير النيسابورى : تفسير جليل ، يشتمـل على فوائد وتحقيقات ، يحكى القراءات المشهورة ، ويوجه ما يحتاج منها إلى توجيه . ويميل إلى تأويل المتشابه ، على طريقة المتأخرين . ثم يذكر التفسير الإشارى ، فى ختام السورة أو الجزء . وبالجملة هو تفسير مفيد ، لا يستغنى عنه .

---

(١) يعجبنى فى هذا المقام ماجاء عن الأصمعى ، قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح ؟ فقال : يا أصمعى ! أين عزب عنك عقلك ؟ ! ومتى كان اسحق بمكة ؟ وإنما كان اسمعيل بمكة ، وهو الذى بنى البيت مع أبيه ، والمنحر بمكة .

٤ — تفسير الزمخشري : سماه الكشاف ، وهو كشاف حقيقة كشف النقاب ، عن وجوه إعجاز القرآن ، وأبدع في بيان نكتها ماشاء الله له أن يبدع . خصوصا النصف الأول منه ، فقد اعتراه في النصف الثاني ملال ، وفسر مافي القرآن من الآيات المتشابهة في الصفات وغيرها بوجوه من المجاز أو الاستعارة التمثيلية على طريقة علماء البيان . ومكنه رسوخه في هذا العلم ، من تطبيق ذلك في يسر وسهولة ، من غير تعسف ولا استكراه . مع مايبديه أحيانا من تناسب بين جمل من الآيات حتى تبدو للقارىء واضحة الترابط ، آخذا بعضها بحجزة بعض . ويمكن أن نقول غير مسرفين : كل من كتب في التفسير بعده ـ من الناحية البلاغية ـ فهو عالة عليه . لكن تنتقد عليه أشياء :

(١) محاولته تطبيق آيات القرآن على مذهبه الاعتزالي ، كما سبق التنبيه عليه .

(٢) ولعه بحكاية القراءات الشاذة ، وتكلف توجيهها بغرائب اللغة ونوادر الإعراب . وقد يمدح بعضها بان القارىء بها من أفصح الناس ، وأمضغهم للشيح والقيصوم ، يكنى بذلك عن خلوص عربيته ، وسلامتها من أي لكنة .

(٣) تهجمه على بعض القراءات المتواترة (١) ، أو توجيهه لبعضها بما يفيد أن القراءة مسألة اجتهادية . فمن الأول ماتفوّه به عن قراءة ابن كثير عند قوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)

---

(١) ولما تكلم الفقيه ابن حجر الهيتمي في الزواجر على قوله تعالى (قل فيهما إثم كبير) ووجه قراءتي كبير وكثير ، قال : ومما يجب على المتكلم في توجيه القراءات أن يوجه كلا من غير تعرض لتضعيف قراءة متواترة ، وما وقع من ذلك للزمخشري وغيره في مواضع ، فهو من زللهم وخطئهم ، اهـ .

ومن الثانى ماذكره فى (سلاسلا وأغلالا) وللعلامة الطيبي عليه حاشية كبيرة ممتعة ، تقع فى نحو ستة مجلدات ، كثيرة الفوائد والتحقيقات ، فيها مناقشات قيمة ، وتمحيصات لآراء الزمخشرى .

وكان الطيبي مع تقدمه فى علوم البلاغة والعربية والكلام والمنطق ذا خبرة جيدة بالحديث ، فعزا معظم أحاديث الكشاف ، عزوا يدل على اطلاعه ومشاركته . وهذه الحاشية جديرة بأن تطبع ، وقد كان سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضى الله عنه معجبا بها وهو الذى لفت نظرى إليها .

٥ — تفسير الرازى : تفسير قيم يعنى بتحرير المسائل الكلامية وهذا فنه الذى برز فيه . وقد قيل عنه : فيه كل شىء إلا التفسير . وفى هذا القول غلو ومبالغة . وإلا فهو من جهة الكلام على الآيات ، وما فيها من اللغات والفوائد ، لايقل عن أى تفسير من التفاسير المهمة ، إن لم يفق عليه . وإن كان يؤخذ عليه شىء ، فهو أنه يقصر فى بعض الآيات أو السور تقصيراً لايليق بمثله . كما يؤخذ عليه أيضا أنه قد يقرر فى الآية معنى ، صح الحديث فيها بخلافه ، وعذره فى هذا أنه لايعرف علم الحديث (١) .

٦ — تفسير القرطبي : تفسير عظيم ، عنى ببيان الأحكام المستخرجة من الآيات ، مع ذكر الأحاديث الواردة فى الموضوع ، وبيان اللغات والإعراب الذى يتوقف عليه فهم الآية ، وتحليل نظمها ، ولا عيب فيه إلا انسياقه مع الإسرائيليات فى بعض الأحيان .

٧ — تفسير الخازن . مختصر من تفسير البغوى ، وهو كاف فى فهم القرآن . يذكر الأحكام والأحاديث منسوبة إلى مخرجيها من أصحاب الكتب

---

(١) كما أنه يتهجم على بعض علماء الحديث أحيانا . فقد تهجم على ابن خزيمة ، وقال ـ عن كتاب التوحيد له ـ كلمة شديدة ، وذلك عند تفسير قوله تعالى (ليس كمثله شىء) فى سورة الشورى .

الستة ، أو البغوى ان لم يجد الحديث عند غيره . وعيبه الوحيد : ذكر القصص المأخوذة عن الإسرائيليات . ولو حذفت منه تلك القصص ، لكان تفسيراً فى غاية الجودة .

٨ — تفسير البيضاوى مختصر من الكشاف ، غير أنه أعرض عن حكاية القراءات الشاذة إلا فى القليل . والتزم مذهب الأشعرية ، وقد ينساق مع الزمخشرى أحيانا تقليداً من غير تمحيص ، وفيه تحقيقات رائعة ، وعليه حواشى للقونوى وزاده والشهاب الخفاجى ، فيها بحوث وتحقيقات ، والأخيرة أوسعها وأكثرها فوائد .

٩ — تفسير أبى السعود[1] .

١٠ — تفسير النسفى ، مختصران من تفسير الكشاف ، مع استبدال آراء الأشعرية بآراء المعتزلة . وفيهما مع ذلك تحقيقات نفيسة .

١١ — تفسير ابن كثير . تفسير سلفى متشدد فى سلفيته ، يعنى بذكر الأحاديث الواردة فى موضوع الآية ، مع بيان رتبتها غالبا . ويذكر أقوال الصحابة والتابعين ، وينبه على الإسرائيليات . وقد يقصر فى بعض الآيات ، فلا يستوفى الكلام عليها كما ينبغى ، ومن تشدده فى سلفيته : أنه جعل قوله تعالى (وهو الله فى السموات) جملة مستقلة ، وقوله تعالى (وفى الأرض يعلم سركم وجهركم) جملة مستأنفة ، لبيان شمول علم الله لجميع المخلوقات ، وحكى الإجماع على أن الله فى السماء ، ووسم من قال خلاف ذلك بأنه من الحشوية ، وهو متأثر بابن تيمية .

١٢ — تفسير أبى حيان الأندلسى ، تفسير جميل جدا ، عنى بحكاية القراءات المشهورة وتوجيهها ، مع بيان الإعراب بيانا شافيا ، ومناقشة الزمخشرى فيما أخطأ فيه من ذلك . ويتحرى التنبيه على الاسرائيليات .

---

(١) للشيخ عليش عليه حاشية فى تسعة أجزاء اطلعت عليها وهى مخطوطة

مع اشتماله على تحقيقات نفيسة ، وقد تعرض لابن تيمية ، وذكر أنه اغتر به أول الأمر فمدحه ، ثم تبين له خلاف ذلك ، فذمه وحط عليه ، وذكر بعض عيوبه . لكن القائمين على طبع التفسير حذفوا منه ذم ابن تيمية ، غيرة منهم عليه (١) .

١٣ — ومن مصادر أبي حيان : تفسير ابن عطية وهو تفسير مهم جدا . طبعت مقدمته ، وهي تدل على علو قدره .

١٤ — تفسير البرهان البقاعي ، تفسير جميل جدا ، فيه بحوث قيمة ، وأهم مايمتاز به التزام بيان المناسبة بين السور والآيات ، وهذا شيء لم يسبق اليه أحد ، وقد وفقني الله تعالى إلى تأليف كتاب بينت فيه المناسبة بين سور القرآن ، وأرجو أن يوفقني إلى تأليف كتاب آخر ، في بيان المناسبة بين آياته .

١٥ — تفسير الخطيب الشربيني ، تفسير جيد ، يشتمل على فوائد ونفائس ، ومما يمتاز به أنه فسر كل بسملة في القرآن ، تفسيرا غير تفسير سابقتها .

١٦ — تفسير الطبرسي الشيعي ، تفسير جميل جدا ، يتكلم على الإعراب وتوجيه القراءات بما يدل على اطلاع في علوم اللغة العربية ، وكلامه على معاني الآيات ، يدل على تحقيقه ، ودقة نظره ، غير أنه يرجح آراء شيعية ، كما يفعل الزمخشري في ترجيح آرائه الاعتزالية .

١٧ — تفسير الثعالبي ، مختصر من تفسير ابن عطية ، وفيه فوائد وتحقيقات ، بحيث يكفي من يقتصر عليه .

---

(١) كما حذف المرحوم أمين الخانجي - حين طبع الميزان للذهبي - كلمة على من أثر وقع في ترجمة ابن أبي داود ، وكتب بدلها كلمة فلان . مع أن الأثر غير صحيح .

١٨ — تفسير ابن جزى . تفسير مختصر مفيد ، يحكى أصح الأقوال ويذكر أصح الأعاريب ، كتب فى أوله مقدمة من علم التفسير ، فى غاية الإفادة .

١٩ — تفسير الجلالين . تفسير مختصر جداً ، لا يفيد المبتدى ، ولا يحتاج اليه المنتهى ، ينساق مع الإسرائيليات ، ولا يحرر موضوعا ، كما لا يكشف عن نكتة فى آية .

٢٠ — وللعارف أبى زيد عبد الرحمن الفاسى عليه حاشية ، فيها تحقيقات مفيدة ، وهو أول من كتب عليه حاشية .

٢١ — ثم كتب الشيخ الجمل حاشية كبيرة ، تعتبر تتميما له بما تنقله فى معظم الآيات ، عن كثير من كتب التفاسير ما يوضح المعنى ، ويبين المراد .

٢٢ — ثم كتب تلميذه العارف الصاوى حاشية فيها تحقيقات رائعة ، إلا أنه يعتمد الإسرائيليات .

٢٣ — أما حاشية الجمالين على الجلالين ، فلا بأس بها فى الجملة ، ولا تخلو من فوائد .

٢٤ — تفسير السيوطى ، اسمه « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » يذكر فى كل آية ماورد فيها من الأحاديث والآثار ، مستوعبا فى ذلك غاية الاستيعاب ، غير أنه لا يبين رتبة الأحاديث إلا قليلا ، ومع كونه التزم أن لا يذكر فيه حديثاً واهيا أو موضوعا ، لم يف بما التزم به ، والكمال لله تعالى .

٢٥ — تفسير ابن عجيبة ، سبق الكلام عليه .

٢٦ — تفسير روح البيان . تفسير جيد ، أحسن تلخيص ما فى البيضاوى وحواشيه وأبى السعود من نكات وفوائد ، مع إضافة بعض الإشارات الصوفية . وبعد تفسير الآية باللغة العربية ، يذكر تفسيرها باللغة التركية ، وهذا عمل مفيد .

٢٧ — تفسير الشوكانى . تفسير وسط بين الإيجاز والإطناب ، يعنى ببيان المفردات اللغوية ، ويتكلم على معنى الآية جملة . مع الإشارة إلى القراءات المشهورة ، وذكر الأحاديث والآثار ، منقولة من تفسير الدر المنثور ، فهو تفسير جيد مفيد .

٢٨ — تفسير الفوتى ، تفسير مستمد من البيضاوى . لكنه سهل مبسوط العبارة ، ولا يخلو من فوائد . وهو مخطوط لم يطبع .

٢٩ — تفسير الميرغنى . تفسير مختصر ، لكنه مفيد ، سهل العبارة ، خال من الاصطلاحات العلمية المعقدة ، يستفيد منه المبتدى ومن فى حكمه ، لوضوح أسلوبه .

٣٠ — تفسير الآلوسى . تفسير مهم بديع ، لخص مافى الكشاف وحاشية الشهاب على البيضاوى من نكات بيانية ، ومباحث فنية . كما لخص مافى تفسير الرازى من بحوث عقلية وكلامية ، ومزج ذلك كله بأسلوبه الأدبى البليغ . وأضاف إليه مانقله عن تفسير السيوطى من الأحاديث والآثار ، وما ذكره من بعض الإشارات الصوفية ، فكان تفسيرا منقطع النظير .

٣١ — تفسير القنّوْجى ملك بهوبال بالهند . تفسير ملخص من تفسير ابن كثير ، وهو سلفى أيضا على طريقته ، ولا يخلو من نكات وفوائد .

٣٢ — تفسير القاسمى . تفسير لا بأس به ، يميل إلى وضوح العبارة ، وتبسيط البحث الذى يتعرض له . مع جنوح إلى الاجتهاد والاستقلال فى الرأى ، وقد ينساق مع الاسرائيليات أحيانا . وحين أريد تقديمه إلى المطبعة . أشرف على طبعة شخص فى عقله شىء . زرته مرة ببيته ، فأطلعنى على نسخة التفسير بخط القاسمى ، سلمها إليه ابنه ليشرف على طبعها . فإذا هو قد ضرب بالقلم الأحمر على بحث النسخ الذى ذكره المؤلف عند قوله تعالى (سيقول

السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) فسألته عن سبب شطب هذا البحث ؟ فقال : لأنه لايليق بمقام القاسمى الذى كان يسميه الشيخ رشيد رضا : عالم الشام . فحذفته وحذفت ماكان من قبيله عديم الفائدة ، قليل الجدوى . قلت له لكن هذا ينافى الأمانة العلمية .

فقال : التفسير لم يطبع قبل الآن ، ولا أحد يعرف ماحذف منه ، ونجل المفسر ـ وهو نقيب المحامين بدمشق ـ أباح لى التصرف فيه حسبما أراه مصلحة ، وهذه البحوث لاتليق بالقاسمى وبشهرته العلمية . قلت له : اتركها كما كتبها المؤلف ، ، وعلق عليها برأيك . فأبى ، وأصر على حذفها ، وبناء على هذا فالتفسير المذكور ناقص فى عدة مواضع ، وهذه خيانة علمية ، ماكان ينبغى أن تحصل [1] ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . تم تبييضه صباح يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية .

هذا وأنا الفقير إلى عفو الله ورحمته أبو الفضل عبد الله ابن الإمام الحافظ المجتهد . القطب الربانى شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن الولى الكبير السيد الصديق ابن العلامة الكبير والقطب الشهير السيد أحمد ابن العارف بالله السيد محمد ابن السيد قاسم ابن السيد محمد ابن الولى الشهير السيد عبد المؤمن ابن السيد محمد ابن السيد عبد المؤمن ابن القطب الكبير السيد

(١) لم أذكر تفسير الشيخ طنطاوى جوهرى المسمى « جواهر القرآن » لأنه ليس تفسيرا بالمعنى المفهوم من لفظ التفسير ، وإنما حشر فيه حقائق علمية عن الفلك والنبات والحيوان ، ولم يراع ربطها بألفاظ القرآن وآياته ، فجاءت مبعثرة غير متناسقة . وقد اجتمعت به فوجدته بسيطا فى تفكيره ، وكان نباتيا كالمعرى وأخبرته بأن تفسيره متداول عندنا بالمغرب . فأبدى لى عجبه من أن يكون فى المغرب ناس يفهمون كلامه ! ! ثم وجدت تلميذه الاستاذ حنفى احمد أخذ عليه مثل هذا فى مقدمة كتابه « التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن »

عبد المؤمن صاحب الكرامات فى حياته وبعد وفاته ابن السيد الحسن ابن السيد محمد ابن السيد عبد الله ابن السيد احمد ابن السيد عبد الله ابن السيد عيسى ابن السيد سعيد ابن السيد مسعود ابن السيد الفضيل ابن السيد على ابن السيد عمر ابن السيد العربى ابن السيد علال ابن السيد موسى ابن السيد أحمد ابن السيد داود ابن مولانا ادريس دفين فاس ويسمى ادريس الأزهر ابن مولانا ادريس الأكبر، مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب، وناشر لواء الاسلام فى أصقاعه، ابن الإمام السيد عبد الله المحصن - أحد شيوخ الإمام مالك - ابن السيد الحسن المثنى ابن سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا على وفاطمة الزهراء عليهم السلام.

ووالدتى: هى التقية الصالحة العفيفة القانتة الطاهرة الشريفة الكريمة الخلق، السخية اليد(١) بنت العارف بالله، التالى لكتاب الله المكثر ذكر الله السيد عبد الحفيظ ابن العلامة الولى الكبير السيد أحمد - سلك طريق التصوف على جدى سيدى الحاج احمد، وفتح له على يديه، كما أن جدى أخذ عنه علم المنطق - ابن الإمام العلامة الولى الشهير السيد احمد بن عجيبة الحسنى، صاحب التفسير المشار إليه. وقد ذكر نسبه فى فهرسته. فأنا اتصل بالحسن بن على عليهما السلام، من جهة الأب والأم، والحمد لله.

---

(١) كانت لها فراسة حادة، ونظر صائب. فهى تنظر بنور الله كما جاء فى الحديث. توفيت شهيدة بجمع، ليلة الاثنين السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٤٠ ودفنت بالزاوية الصديقية. ولما توفى سيدنا الإمام الوالد رضى الله عنه يوم الأربعاء سادس شوال سنة ١٣٥٤ أردنا أن ننقلها لتدفن بجانبه، وفتحنا قبرها ونزلت فيه أنا وخالى السيد احمد بن عبد الحفيظ، فوجدنا جسمها سليما، وكفنها سليم كأنها دفنت فى تلك الساعة. وقد صح فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «الشهادة سبع سوى القتل فى سبيل الله: المبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، وصاحب الحريق=

ولدت بمدينة طنجة ، وهى أحسن مدن المغرب موقعا ، وأعدها مناخا ، وأبهجها منظرا . وأصل إقامة عائلتنا بقبيلة بنى منصور من قبائل غمارة ـ بضم الغين ـ فى قرية تجكان منها بضم التاء وسكون الجيم ـ بيتنا وزاويتنا وضوارح أجدادنا . ولنا الزعامة الدينية فى قبائل غمارة كلها . لا يقطعون فى أمر من الأمور التى تهمهم فى مصالحم إلا بعد الرجوع إلينا .

ولما خطب مولانا الإمام الوالد رضى الله عنه بنت خاله السيد عبد الحفيظ ـ وكان مقيما بطنجة ـ شرط عليه الإقامة بها . فوافقه وأقام بطنجة ، وبنى بها زاوية كبيرة ، درس فيها التفسير ، كما درس فى الجامع الكبير بطنجة صحيح البخارى ، ومختصر خليل فى فقه المالكية ، وألفية ابن مالك فى علوم العربية ، وهمزية . البوصيرى فى السيرة النبوية ، وغير ذلك . وأقام للعلم والتصوف سوقا رائجة ، وتخرج به علماء ، كان منهم مدرسون وقضاة وغيرهم ، وانتشر بسببه فى أرجاء البلدة ذكر الله (١) .

فى هذا البيت ـــ بيت العلم والصلاح والولاية ـــ نشأت ، وبلبان الفضل غذيت . حفظت القرآن بقراءة ورش ، وأتقنت رسمه ، حتى كان يرجع إلىّ فيه كبار القراء . ثم شرعت فى حفظ بعض المتون كألفية ابن مالك فى العربية ، ومختصر خليل فى الفقه ، والأربعين النووية ، وبلوغ المرام فى الحديث .

= شهيد . والذى يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيد » يقال : ماتت المرأة بجمع ـ مثلثة الجيم ـ إذا ماتت بالنفاس وولدها فى بطنها .

(١) وأقام بها قبله عمنا العلامة الولى الصالح السيد القاضى ونشر العلم والطريق لكن على نطاق ضيق ، وكان كثير الأسقام ، توفى سريعا ودفن بالزاوية الحراقية بشارع دار البارود ، وعليه ضريح يزار . كان صالحا تقيا ، له كرامات . وكان أسن من سيدنا الوالد رحمهما الله ورضى عنهما .

ثم حضرت المقدمة الآجرومية بشرح الأزهرى على ابن عمتنا الفقيه الأجل السيد محمد بن عبد الصمد ، وعلى شقيقنا الحافظ أبى الفيض رحمه الله .

ثم رحلت إلى فاس لقراءة العلم بجامع القرويين . أكبر جامع بالشمال الأفريقى ، وهو أكبر من الأزهر وأقدم . وفيه تخرج علماء المغرب ، ودرّس فيه أبو بكر ابن العربى المعافرى ، ومحيى الدين ابن العربى الحاتمى ، وابن خلدون ، وأبو الحسن الشاذلى ، وابن غازى وزروق وغيرهم .

فحضرت الألفية بشرح المكودى على العلامة الحسيب النسيب السيد الحبيب المهاجى كما حضرت عليه فى مختصر خليل بشرح الخرشى ، والسلم بشرح القويسنى فى المنطق .

وحضرت الألفية بشرح ابن عقيل على العلامة الشيخ محمد — بفتح الميم الأولى — ابن الحاج ، مع مراجعة حاشيتى السجاعى والخضرى .

وحضرت الألفية أيضا بشرح التوضيح لابن هشام ، مع مراجعة التصريح للأزهرى ، وحاشية الطيب بن كيران على التوضيح أيضا ، وبشرح المكودى مع مراجعة حاشية ابن الحاج ، على ابن المحشى العلامة الشيخ محمد بن الحاج ، كما حضرت عليه فى مختصر خليل بشرح الخرشى ، وحضرت عليه جملة كبيرة من صحيح البخارى بالجامع الإدريسى ، وكان قوى الحافظة ، يبدى إعجابه بالحافظ ابن حجر ، ويتورك على العينى فى اعتراضاته عليه ، ويقول عنه بعد حكاية اعتراضه : كأنى به لم يفهم كلام الحافظ ، ثم يجيب عنه .

ولما وصل فى قراءة البخارى إلى كتاب الجهاد والمغازى ، بعث إليه حاكم فاس الفرنسى وطلب منه أن يتخطى هذا الباب إلى غيره ، ويقرأ ما بعده ، فامتنع عن الدرس أياما ، وبعد مراجعة وكلام حصل الاتفاق

على أن يقرأ كتاب الجهاد ، على ألا يتوسع فى الشرح ، وهذا نوع من الضغط الذى كان يمارسه الاستعمار الفرنسى فى المغرب .

وحضرت باب الجنايات والقصاص من مختصر خليل بشرح الخرشى على العلامة المحقق السيد أحمد القادرى .

وحضرت فى المختصر أيضا على إمام جامع القرويين العلامة السيد إدريس المراكشى وكان على علمه وفضله فيه غفلة .

كما حضرت فى المختصر أيضا على العلامة الشيخ محمد الصنهاجى ، وحضرت من باب الإجارة إلى الآخر من شرح الدردير لخليل ، على العلامة الشيخ عبد الرحمن بن القرشى ، القاضى . وحضرت مواضع من مختصر خليل بشرح عبد الباقى الزرقانى على شيخ الجماعة العلامة السيد عبد الله الفضيلى . كما حضرت عليه رسالة الوضع ، وكان محققا بارعا .

وحضرت فرائض مختصر خليل بشرح الخرشى وحاشية شيخ الجماعة السيد أحمد بن الخياط ، على العلامة الشيخ أبى الشتاء الصنهاجى ، وكان صالحا خشن المعيشة والملبس ، وهو شقيق الشيخ محمد الصنهاجى السابق .

وحضرت المقدمة الآجرومية على شيخ الجماعة بفاس العلامة السيد أحمد بن الجيلانى الأمغارى ، وحضر عليه معظم العلماء تبركا . كما حضرت عليه مواضع من مختصر خليل بشرح الخرشى .

وحضرت على العلامة القاضى السيد الحسين العراقى جمع الجوامع بشرح المحلى ، وتفسير الجلالين بحاشية الصاوى .

وحضرت مبحث الأداء والقضاء من مقدمة جمع الجوامع ، على العلامة المحقق السيد الراضى الحنش ، وكان منقطع النظير فى التحقيق .

وحضرت مقدمة جمع الجوامع بشرح المحلى على العلامة المحقق القاضى

العباس ابن أبى بكر البنانى ، كما حضرت عليه قسم التوحيد من منظومة ابن عاشر وذكر مرة فى درس الأصول حديثا لم يعرف رتبته ، فبينتها له ، فسألنى من أنت ؟ فانتسبت له ، فقال : تبارك الله ، الدر من معدنه لايستغرب . وطلبت منه مرة فتوى فقهية فى خصومة كانت بين بعض الإخوان . فسألنى هل يطلع عليها والدك ؟ قلت : نعم . قال : إذاً يجب التدقيق فيها ، لأن والدك فى العلم مخيف .

وأخذت عنه أيضا شرح البنانى على السلم فى المنطق . كما أخذت عنه المقولات . وأجاز لى اجازة عامة كتبها لى بخطه ، كما أجاز لى الشيخ محمد ابن الحاج السابق ، والسيد المهدى العزوزى الذى يروى عن السيد مرتضى الزبيدى شارح القاموس ، بواسطتين .

ثم رجع من الشام إلى فاس العلامة المحدث الولى الصالح السيد محمد ابن جعفر الكتانى ، فلازمته واستفدت منه .

ثم رجعت إلى طنجة ، فدرست بالزاوية الصديقية لبعض نجباء الطلبة والإخوان المقدمة الآجرومية ورسالة ابن أبى زيد بشرح أبى الحسن . وكتبت إذ ذاك شرحا على الآجرومية ، يعتبر أكبر شرح وأكثره فوائد ، بعد أن راجعت من شروحها وحواشيها ما ينيف على العشرين . منها شرح الراعى وهو مخطوط ، وشرح الشيخ أحمد بابا السودانى ، وهو مطبوع بفاس مع حاشية السيد المهدى الوزانى عليه . وشرح الشيخ على بركة التطوانى ، وعليه ضريح يزار بمدينة تطوان ، وشرحه هذا مخطوط . وشرح سيدى أحمد ابن عجيبة ، وحاشية الفيشى على الأزهرى وهما مخطوطان أيضا . وعرضته على سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضى الله عنه فأصلح فيه مواضع بخطه وأقره وسماه شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالى « تشييد المبانى لتوضيح ما حوته المقدمة الآجرومية من الحقائق والمعانى » .

وكنت إلى جانب هـذا أقوم باختصار كتاب « إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول » للشوكانى بأسلوب غـير أسلوب « حصول المأمول » للقنّوجى ، مع حضورى على سيدنا الإمام الوالد رضى الله عنـه فى رسالة ابن أبى زيد بشرح أبى الحسن ، وفى شرح العارف أبى محمـد ابن أبى جمرة لمختصره للبخارى قبل أن يطبع . وكنت أرجع إليـه فى مواضع من كتاب « مغنى اللبيب » كانت تشكل علىّ ، فيشرحها لى . وقد قرأت هذا الـكتاب مع مراجعة شرح الدمامينى وحواشى الأمير والدسوقى وعبد الهادى نجا الابيارى ، وانتفعت به كثـيراً كما انتفعت بكتاب « الاشباه والنظائر النحوية » للسيوطى وكان من مراجعى فى شرح الآجرومية (١) .

وكتبت بحوثاً أخرى فى مسائل نحوية عويصة ، بإشارة سيدنا الإمام الوالد رضى الله عنه ، الذى كان يشجعنى على البحث والـكتابة ، ويدربنى على معرفة المظان . واتخذنى كاتبه ، أكتب له الفتاوى التى يحررها إلى الجهات المختلفة من أنحاء المغرب (٢) ، وتارة يأمرنى فأمضيهـا باسمى . وكان مع أصدقائه يثنى على معرفتى وفهمى .

---

(١) قرأت فى كتب النحو كثيرا ، مثل شرح المرادى وبدر الدين ابن مالك والسيوطى ودحلان على الألفية . والأول مخطوط ، والثلاثة بعده مطبوعة ، وحاشيتى الطرنباطى ويس العليمى عليها أيضا وشرح التسهيل لابن عقيل مخطوط ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى ، والاقتراح فى أصول النحو له أيضا ، وشرح ابن زكرى على الفريدة وهى ألفية السيوطى فى النحو . وكنت شديد الشوق للاطلاع على كتاب شرح المفصل لابن يعيش حتى طبع وحقق الله أمنيتى بالاطلاع عليه ، وقرأت شرح الجمل للمجرادى ، وغير ذلك .

(٢) وكانت فتاواه فى نهاية الدقة والتحرير وكان لا يتقيد بمذهب مالك الذى بلغ فيه رتبة الاجتهاد بل كان يفتى ببقية المذاهب الأربعة ، وكان مع هذا واسع الاطلاع فى فقه الزيدية والامامية والإباضية .

وجاءه مرة الأستاذ الأديب الشيخ محمد بن العياشى سكيرج ـ وهو من تلاميذه ، وله مؤلفات ـ برسالة شرح فيها أبيات ابن مالك التى مطلعها :

إنى أقول لمن ترجى وقايته   ق المستجير قياه قوه قى قينا(٢)

وعرضها عليه ليبدى رأيه فيها ، فقال له : اعرضها على فلان ـ يعنينى ـ فله بهذا العلم معرفة جيدة ، فجاءنى بالرسالة ، وقال لى : إن السيد أمرنى بعرض الرسالة عليك . وأثنى على علمك وفهمك ، فقرأتها وأبديت له رأيى فيها . وكان يتحدث إلىّ ساعات طويلة عن الكتب العلمية فى مختلف العلوم ، فيعطينى فكرة عن كل كتاب وما يمتاز به عن غيره ، المطبوع منها والمخطوط . وكانت حافظته قوية جدا ، إذا أفاض فى موضوع أتى فيه بما يدهش السامع . وكنت أتكلم معه مرة فى مسائل نحوية ، وجاء ذكر لفظ (البتة) وهل هو بهمزة وصل ؟ أو قطع ؟ فقال لى : تكلم عليه الحافظ ابن حجر فى الفتح وحكى فيه الوجهين واختار الوصل .

كما حكاهما الأزهرى فى التصريح واختار القطع ، وعين لى الموضع فى الكتابين ، فوجدتهما كما قال . وقال لى مرة فى بعض خطاباته إلى : أنت فقيه محدث صوفى . وتلقنت منه طريق الشاذلية ، كما تلقنه من شيخه القطب الكبير سيدى محمد بن إبراهيم عن شيخه العارف المحب الربانى سيدى عبد الواحد بنانى ، عن شيخه العارف المحبوب سيدى محمد أيوب ، عن جدنا القطب الغوث الجامع سيدى الحاج أحمد بن عبد المؤمن الغمارى ، عن قطب الواصلين مولاى العربى الدرقاوى ، وبقية السلسلة

---

(٢) وهى فى الأفعال التى يجىء فعل الأمر منها على حرف واحد ، لأنها معتلة الفاء واللام ، نحو وقى ورعى ووسى ووشى ووفى ، وقرأت رسالة فى شرحها أيضا للشيخ مصطفى البدرى الدمياطى .

مذكورة فى أول « إيقاظ الهمم بشرح الحكم » لجدنا سيدى أحمد ابن عجيبة .

ثم أذن مؤذن الرحيل إلى مصر ، فركبنا باخرة يابانية من جبل طارق أنا وشقيق الأكبر الحافظ أبو الفيض رحمه الله ، وشقيق الأصغر منى العلامة السيد محمد الزمزمى ، ومعنا أحد الاخوان الصديقيين اسمه أحمد عبد السلام الشرقى ، وشهرته الحاج شكاره رحمه الله (١) .

وقفت الباخرة بنا فى مالطة ، فنزلنا إليها ، وشهدنا شوارعها ومعالمها ، ولغة أهلها ، ثلثها عربى ، وثلثاها انجليزى . لأنهم كانوا مسلمين (٢) يتكلمون العربية لغة القرآن ، لكن الاستعمار الانجليزى تمكن منهم ، فسلبهم دينهم ولغتهم . وهكذا فعل الاستعمار الأسبانى فى الأندلس ، والاستعمار الإيطالى فى صقلية ، وهكذا حاول أن يفعل الاستعمار الفرنسى فى البربر بالمغرب ، وهذه هى خطة الاستعمار فى كل مكان وزمان .

ثم واصلت الباخرة سيرها ، فوصلت إلى الإسكندرية أواخر

---

(١) كان ملازما لخدمة شقيق الحافظ أبى الفيض منذ صغره ، وحفظ معه القرآن فى الكتاب الذى كان بزاويتنا ، وهو من تلاميذ سيدنا الإمام الوالد رضى الله عنه فى الطريقة الصديقية ، توفى بمحطة كفر الزيات ودفن بمشلة قرية قريبة منها ، يقام له موسم ثانى خميس من شهر رجب كل سنة ، وأهل تلك البلدة يحكون عنه كرامات .

(٢) فتحت جزيرة مالطه سنة ٢٥٥ هجرية ، فتحها أبو الغرانيق محمد بن احمد بن الأغلب ، وأسر ملكها . وفتحت صقلية سنة ٢١٢ هـ فتحها زيادة الله بن ابراهيم ابن الأغلب ، أرسل لفتحها جيشا بقيادة أسد بن الفرات صاحب كتاب الأسدية فى مذهب مالك .

شعبان سنة ١٣٤٩ هجرية . نزلنا فيها عند قريب لنا اسمه الحاج محمد أجْزنَّاى ، وفى الأسبوع الأول من رمضان وصلنا إلى القاهرة المعزِّية ، واستأجرنا بيتاً فى شارع الكحكيين ، بجوار الشيخ الدردير . وبعد انتهاء رمضان وإجازة العيد ، التحقت بالأزهر .

فحضرت بالقسم العالى منهاج البيضاوى بشرح الأسنوى فى الأصول ، على الشيخ حامد جاد .

وحضرت جمع الجوامع بشرح المحلى من كتاب القياس إلى الآخر ، على العلامة المحقق الشيخ محمد حسانين مخلوف العدوى ، كما حضرت عليه رسالة آداب البحث والمناظرة ، واستجزته فوجدته لا يعرف معنى الاجازة .

وحضرت السلم بشرح الملوى وحاشية الصبان على الشيخ عبد القادر الزنتانى ، برواق المغاربة .

وحضرت التهذيب بشرح الخبيصى فى المنطق ، على العلامة المحقق البارع الشيخ محمود الإمام عبد الرحمن المنصورى . أعجبت بشدة تحقيقه ، وسعة اطلاعه فى علوم المعقول ، والفقه الحنفى ، فتعرفت به وزرته فى بيته بشبرا ، وأطلعنى على مكتبته القيمة .

ولما علم أن عندنا تخريج أحاديث الكشاف للزيلعى ، طلب منى إعارته إياه لينسخه . كما طلب منى أن أبحث له عن حاشية ابن سعيد التونسى على الأشمونى ولو باستحضارها من تونس ، لأنه كان معجبا بها غاية الإعجاب (١) . سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، كما سمعه من

---

(١) وهى من حيث علم النحو أفيد وأحسن من حاشية الصبان ، والحقيقة أن الصبان أفسد حاشيته بكثرة مناقشته للحفنى تعنتا واعتسافا ، وفعل مثله ابن =

الشيخ أحمد الحلوانى ، وكتب لى سنده فيه بخطه ، ولم تكن عنده اجازة ، رحمه الله وأكرم مثواه .

وحضرت الربع الأول من شرح الدردير لمختصر خليل ، على شيخ اسمه الشيخ عمران (٢) . وكان سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضى الله عنه قد أوصانى بقراءة فقه الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فقرأت شرح الخطيب لمتن أبى شجاع ، على الشيخ عبد المجيد الشرقاوى ، وكان يتقن فقه الشافعية اتقانا ما عليه مزيد ، وهو من ذريه الشيخ عبد الله الشرقاوى شارح مختصر الزبيدى .

وقرأت الربع الأول من المنهج بشرح زكريا الأنصارى وحاشية البجيرمى ، على الشيخ محمد عزت ، وهو متين فى الفقه الشافعى جداً .

وحضرت دروسا فى جمع الجوامع ، على الشيخ دسوقى العربى المالكى ، وكان يعنى بمناقشة عبارات الشارح ، وما كتب عليه الناصر اللقانى ، وما أجاب به ابن قاسم العبادى . الخ

= الحاج فى حاشيته على المكودى . فقد أكثر من الاعتراض عليه بحق وبغير حق . ولذلك كانت حاشية المهدى الوزانى على المكودى أفيد ، وهى مطبوعة بفاس فى جزءين وذكر لى سيدنا الإمام الوالد رضى الله عنه أنه رأى المكودى فى رؤيا يشكو إليه من اعتراضات ابن الحاج وطلب منه أن ينتصر له ، ولما حكاها لى ، كلفنى أن أقوم بهذه المهمة عنه .

(٢) مما لاحظته أن علماء المغاربة أعلم بالفقه المالكى وأعرف بقواعده وأوسع اطلاعا على كتبه من علماء مصر بل مما لاحظته بوجه عام أن العالم المغربى يعطى الدرس حقه من البحث والاطلاع على الكتب المتصلة به ، مالا يوجد مثله عند العالم الأزهرى الذى لايتجاوز فى درسه حل عبارة المتن والشرح . =

وحضرت دروسا من شرح الهداية فى الفقه الحنفى ، على مفتى الديار المصرية وشيخ علمائها الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى ، كما حضرت عليه دروسا فى التفسير ، وزرته ببيته فى الزيتون غير مرة ، واستجزته فأجاز لى أجازه عامة ، وكان يزورنا بالبيت ويسأل شقيقنا الحافظ أبا الفيض عن أحاديث تعرض له ، وكان واسع العلم ، غزير الاطلاع ، حاضر البديهة ، سريع النكتة ، كريم الخلق ، سخى اليد . رحمه الله ، وأثابه رضاه .

وسمعت حديث الأولية من مسند الديار المصرية السيد احمد رافع الطهطاوى ، وأجاز لى بما حواه ثبته « المسعى الحميد إلى بيان وتحرير الأسانيد » (١) وأجاز لى الشيخ محمد إمام السقا خطيب الجامع الأزهر . والشيخ محمد السمالوطى ، بعد أن حضرت عليه دروسا فى سنن الترمذى .

وأجاز لى الشيخ عويد نصر الخزاعى المكى عن الشيخ عبد الهادى نجا الأبيارى بمؤلفاته ومروياته . والشيخ طه الشعبينى شيخ الطريقة الشاذلية ، وكان عالما صالحا فاضلا ، ومن شيوخه الشيخ احمد الرفاعى شيخ المالكية ، والشيخ عبد القادر الشفشاونى صاب كتاب « سعد الشموس والأقمار » .

= فطريقة المغاربة فى التدريس تعطى الطالب ملكة الفهم ، وتعلمه كيفية البحث فى كتب العلم وقواعده . وطريقة الأزهريين تعطى الطالب ملكة الفهم فقط . نعم كان الشيخ محمود الإمام على طريقة المغاربة . حضرنا عليه تهذيب السعد بشرح الخبيصى ، فكان لايدع شيئا يتصل بالكتاب وشروحه وحواشيه ، وبالعلم وقواعده إلا أتى به وناقشه وقرره . وبهذه الطريقة حضرت ثلاث سنوات بفاس ، حصلت فيها ما يمكن تحصيله فى عشر سنين .

(١) وهو كتاب نفيس ، نبه فيه على أوهام وقعت فى كثير من الأثبات ، خصوصا فهرس الفهارس للشيخ عبد الحى الكتانى .

ومن أجاز لى من شيوخ مصر : الشيخ عبد الغنى طموم إمام المسجد الحسينى ، والسيد محمد البلاوى خطيب المسجد الحسينى ونقيب الأشراف .

والشيخ عبد المجيد اللبان ، زرته بمعهد الاسكندرية ، وكان شيخا له ، وذلك بعد مانزلنا من الباخرة بيومين فهو أول شيخ بمصر أجاز لى . ثم لما عين عميدا لكلية أصول الدين ، حصل حادث على (٢) ، خدمته فيه خدمة قيمة فتوطدت أواصر المودة بيننا ، وجهد أن يعينى مدرسا للحديث عنده فى الكلية ، فلم يستطع ، لشدة معارضة الشيخ المراغى شيخ الأزهر إذ ذاك .

---

(٢) لما طبع رد الدارمى على بشر المريسى ، وكانت فيه عبارات صريحة فى التجسيم . كتب الشيخ اللبان مذكرة لمشيخة الأزهر يطلب فيها منع تداول الكتاب باعتباره خطرا على عقائد العامة ، ونقل منه حديث الأوعال نموذجا لما فيه . وفاته أن يذكر ماهو أصرح منه . فحولت المشيخة مذكرته إلى لجنة، من أعضائها محمود أبو دقيقة وعيسى منون ، فكتبت اللجنة تقريرا فى ثمان صفحات ، قالت فيه عن حديث الأوعال : رواه أبو داود وصححه بعض الحفاظ ، ونقلت كلام ابن القيم فى شرح تهذيب السنن ، كما نقلت عبارات من تهذيب التهذيب فى توثيق بعض رجال السند . وانتهت إلى أن الكتاب لاخطر فيه على العامة ، فلا يمنع . ووزع التقرير ـ بعد طبعه ـ على جماعة كبار العلماء ، فأحرج اللبان وسقط فى يده ، وزاره صديق له . فأخبره بالقصة . وقال له : لو طلبت من الشيخ الشنقيطى أن يرد على التقرير ، فانه يفضحنى بكلامه فى المجالس . قلت : ماكان الشيخ حبيب الله يستطيع الرد على التقرير ، لأنه لاخبرة له اطلاقا بالرجال والأسانيد ، وإنما كان يستطيع الرد بحق ، الشيخ الكوثرى الذى كان مريضا . فقال له ذلك الصديق: أعرف عالما شابا يرد على التقرير ويبطله فقال : أدركنى به . وجاءنى وأخبرنى بالقصة ، وطلب منى زيارة الشيخ اللبان ، فزرناه فى بيته بالعباسية ، وسلمنى التقرير وهو متجهم الوجه مهموم ، فقرأته ، وقلت له : ابطاله سهل . فسر وانبسطت أسارير وجهه . وبعد أربعة أيام سلمته ردا فى خمس وعشرين صفحة ، بينت فيه ضعف الحديث وسقوطه من جهة انقطاع فى سنده ،

والشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الجامع الأزهر ، ورئيس جمعية الهداية الإسلامية وكان يزورني بالبيت ، ويسألني عن أحاديث يحتاج إليها في مواضع يكتب فيها .

والشيخ محمد دويدار الكفراوى ، زرته ببيته في تلا ،وكان قد جاوز المائة بسنتين ، فناولني ثبت الشبراوى ، وأجاز لي بما فيه ، وكتب الاجازه بخطه . وهو يروى عن الشيخ اسماعيل الحامدى محشي الكفراوى ، وصاحب الرسالة في الجمالة ، والشيخ عيسى القلماوى ، والشيخ الانبابي والشيخ الشربيني وغيرهم ، ويروى بالعامة عن الشيخ ابراهيم الباجورى ، وأجاز لي الشيخ أبو النصر القاوقجي عن والده أبي المحاسن وغيره . وأخوه كمال الدين ، باستدعاء شقيق الحافظ أبي الفيض ، لأنه توفي قبل حضورى إلى مصر (١)

= وضعف بعض رجاله ، واضطراب في متنه ، ونكارة معناه من عدة وجوه . وبينت خطأ أعضاء اللجنة في فهم نصوص الحفاظ ، وجهلهم باصطلاح أهل الجرح والتعديل . فطبعه وقدمه إلى المشيخة التي قدمته إلى اللجنة ، فاجتمع أعضاؤها ثانيا وكتبوا تقريرا آخر عدلوا فيه عن رأيهم الأول ، ووافقوا على منع الكتاب . وأطلعني الشيخ على هذا التقرير وهو مسرور بانتصاره ، وشكرني كثيرا رحمه الله . وحاصل حديث الأوعال : أن أربعة من الملائكة على صورة الأوعال ـ والوعل التيس الجبلي ـ يحملون العرش على أكتافهم ، والله فوق العرش .

(١) وممن أجاز لي السيد أبو القاسم الدباغ وكان مجتهدا لا يقلد . والشيخ محسن ناصر شيخ رواق اليمن عن صاحب « عقد اليواقيت الجوهرية » ومن طريقه يتصل سندنا بالسادة آل باعلوى وغيرهم من أشراف حضرموت وعلمائها . والشيخ الرحلة عمر حمدان التونسي ، بعث لي بالاجازة من مكة وبها توفي ، وهو يروى عن أكثر من مائة شيخ من مختلف البلاد الإسلامية . والشيخ محمد عبد الباقي الأنصارى بعث لي من المدينة المنورة بكتابه في المسلسلات ، وأجاز لي به وبسائر =

وفى سنة ١٣٥٠ تقدمت لامتحان شهادة العالمية الخاصة بالغرباء ، والامتحان فيها يكون فى اثنى‌عشر علما ، هى : النحو والصرف ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ، والأصول ، والمنطق ، والتوحيد ، والفقه ، والتفسير ، والحديث ، ومصطلح الحديث . فنجحت فى الامتحان ، وحصلت على الشهادة ، ممضاة باسم شيخ الأزهر ، وهو الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى فى ذلك الوقت ، وكان عالما ذكيا صوفيا ، إلا أنه ضعيف .

وفى هذه السنة طلب منى كثير من الطلبة أن أدرس لهم بعض العلوم ، فشرعت فى تدريس المكودى على الألفية ، وأنا أول من درسه بالأزهر ، ودرست لهم الجوهر المكنون فى البلاغة ، والسلم فى المنطق ، بشرح البنانى وسلم الوصول إلى علم الأصول لابن أبى حجاب ، ثم درست جمع الجوامع بالرواق العباسى بين العشاءين ، ختمته فى أربع سنوات .

وحضر على الطلبة من أندونيسيا والهند وتركيا ويوغوسلافيا ورومانيا وألبانيا والشام والحجاز واليمن والحبشة والصومال والسودان وشمال افريقيا

= مروياته ، ومن شيوخه خاله علامة الهند أبو الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى . وشيخ علماء دمياط الشيخ محمد محمود خفاجة ، كتب لى بالإجازة على ظهر كتاب أوائل بعض الكتب الحديثية لشيخه أبى المحاسن القاوقجى . والشيخ بدر الدين الدمشقى والشيخ توفيق الأيوبى . والشيخ سعيد الفرا وغيرهم من علماء الشام . والشيخ عبد الواسع اليمنى ، بعث لى بالأجازة من صنعاء ، ثم قابلته بمصر ، وله مؤلفات مطبوعة . وشيخ المالكية بتونس الشيخ الطاهر بن عاشور ، بعث لى بالإجازة وبعض مؤلفاته من تونس . والسيد هبة الله الحسينى ، بعث لى بالاجازة من النجف ، وعن طريقه يتصل سندنا بعلماء الشيعة الامامية . وأجاز لى أيضا شقيقنا الحافظ أبو الفيض بعد أن أخذت عنه نخبة الفكر ومقدمة ابن الصلاح وسنن أبى داود سماعا . ومواضع من جامع الترمذى وبعض المسلسلات ودروسا فى السيرة وفى نيل الأوطار وارشاد الفحول .

وغيرها ، وكان الطالب من أندونيسيا والحبشة والصومال إذا تخرج وسافر إلى بلده ، يوصى إخوانه القادمين إلى مصر ، بالحضور على ، وكنت أذاكر دروس امتحان العالمية لطلبة القسم العالى المصريين ، وجميع من ذاكرت لهم نجحوا ، وهم يتولون الآن وظائف فى الأزهر وغيره ، بل الطلبة الغرباء الذين حضروا على ، أو ذاكرت لهم نجحوا ، وتولوا فى بلادهم وظائف كبيرة .

وفى سنة ١٣٥١ زارنا بالبيت الأستاذ حسن قاسم - من ذرية الشيخ عبد القادر الكوهن - وطلب منى أن أكتب مقالات لمجلة الإسلام التى كان محررا فيها - وهى أكبر المجلات الإسلامية إذ ذاك - فكتبت فيها بحوثا حديثية ، أعجب بها القراء أيما إعجاب . وانهالت على إدارة المجلة ، خطابات الاستحسان والاستزادة من الشام والسودان والمغرب والجزائر والبحرين وغيرها . وكتب إلىّ الشيخ محمود شويل أمام المسجد النبوى بالمدينة المنورة . كتابا مطولا يثنى فيه على علمى واطلاعى ، ويقول : كنا نعد علم الحديث ، ينتهى فى مصر بعد الشيخ رشيد رضا والشيخ احمد شاكر (١) لكن حين قرأنا بحوثك ، ضممناك إليهما ، فأنت عندنا فى

(١) مع أنه لم يكن من علماء الحديث ، وترتيبه لسند أحمد ليس فيه شىء من الصناعة الحديثية ، بل فيه أغلاط كثيرة فى الكلام على تصحيح الأحاديث وتضعيفها . وأحيانا يتكلم فى الرجال بلسان العصبية الوطنية ، مثلا عبد الله بن لهيعة المصرى ، يقول عنه : ثقة حجة ، فيرفعه إلى درجة رجال الصحيح ، مع أن آخر ما وصل إليه نقد الحافظ الهيثمى فيه : أن حديثه حسن ، لكن ينبغى تقييده بما صرح فيه بالسماع ، لأنه مدلس ، ذكره الحافظ فى طبقات المدلسين ، وصرح بضعفه فى التلخيص الحبير ، والكافى الشاف : ولذا كان الحافظ المنذرى أدق من الهيثمى . حيث صرح فى الترغيب بأن حديث ابن لهيعة حسن فى المتابعات . وقد كان للشيخ أحمد شاكر فى الليث بن سعد وعبدالله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم المصريين الثقات الأئمة غناء عن توثيق ابن لهيعة . نعم كان الشيخ رشيد رضا ذا خبرة بالصناعة الحديثية تبين لى بعد ذلك أن الشيخ احمد شاكر محدث ناقد رحمه الله.

فى الرتبة بعد الشيخ شاكر . وقابلت مرة طالبا سودانيا عند أحد الكتبية بالأزهر ، فلما عرفنى أبدى إعجابه بما قرأ لى ، وقال : عندنا فى السودان ، **إذا جاء مقال أو افتاء من مصر باسم أحد شيوخ ثلاثة، سلموه بدون مناقشة.**

قلت : من هم ؟ قال : الشيخ بخيت والدجوى والغمارى . ولما مر بمصر فى طريقه إلى الحجاز العلامة المحدث السيد عبد الحى الكتانى ، وذهبت لزيارته ، هنأنى بالحصول على شهادة العالمية ، وأبدى إعجابه ببحوثى ، وقال : نحن نفخر بما تكتبه ، وكنت قبل ذلك سمعت منه حديث الأولية ، وحضرت عليه دروسا فى حاشية الشنوانى على مختصر ابن أبى جمرة ، بجامع القرويين ، وأجاز لى اجازة عامة .

واستمرت كتابتى بمجلة الإسلام ، عشر سنوات ، حصلت فيها مناقشات بينى وبين بعض العلماء ، فى مسائل متعددة . وكتبت أيضا فى مجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية ، ومجلة هدى الإسلام ، ومجلة الرابطة الإسلامية ، ومجلة الشرق العربى ، ومجلة الإرشاد التى يصدرها خطباء وأئمة المساجد بمصر ، ومجلة المسلم التى تصدرها العشيرة المحمدية ، وهى جمعية صوفية فاضلة مباركة . ونشرت مجلة التمدن الإسلامى التى تصدر فى دمشق مقالا لى فى شرح حديث ، نقلا عن مجلة الشرق العربى .

وتعرفت بالأستاذ العلامة المطلع البارع الشيخ محمد زاهد الكوثرى رحمه الله ، فتوطدت بيننا أواصر المودة والصداقة ، وكان يسألنى عن بعض الأحاديث التى يسأل هو عنها، وكنا مرة عند فضيلة المرحوم الشيخ يوسف الدجوى ، بعزبة النخل ، وكان المجلس غاصا بالعلماء وغيرهم ، وهو يتكلم فى مسائل علمية متنوعة ، فوجه إليه أحد الحاضرين سؤالا عن حديث ، فوجه السؤال إلى ، وقال : لا يفتى ومالك فى المدينة ، ولما استجزته ببيته بالعباسية أجاز لى ، واستجازنى وألح على أن أجيز له بل بلغ من

وثوقه بعلمي أنه نشر مقالا (١) بمجلة الإسلام يقرظ فيه كتابي « إقامة البرهان

(١) جمع بعض محبيه وتلاميذه مقالاته ونشروها في كتاب خاص ومع أنهم نشروا جميع مقالاته المطبوعة في مجلة الإسلام لم ينشروا المقال المشار إليه. لأن فيهم حاقدا أشار بعدم نشره. ولم يكن منا إساءة لذلك الحاقد الا أننا فتحنا له بيتنا يأوي إليه متى شاء، ونفعناه بعلمنا ومكتبتنا ومائدتنا قبل أن يعرف الكوثري ببضع سنوات. ولما عرفه أخيرا، سعى كالشيطان ليفسد الصداقة التي بيننا. لكن المرحوم الكوثري كان عاقلا لا يصدق كلام الحقدة الكذبة، وظلت صداقتنا على حالها، نتزاور، ونتقابل يوم الجمعة بمسجد محمد بك أبي الذهب، ويوم الاثنين بمكتبة الخانجي. وإذا زرته في بيته وحضرت صلاة المغرب أو العشاء قدمني للصلاة بالحاضرين، ولم يتقدم قط رغم إلحاحي عليه. وأذن لجماعة من علماء الهند في ترجمة كتابي « إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان » إلى اللغة الأردية قبل أن يستأذنني، ثم أخبرني بذلك. وكان إذا تقابلنا في مكتبة الخانجي. يخرج من جيبه خطابا لذلك الحاقد، ويسألني عن أحاديث سأله عنها، فأجيبه بما أعلم فيها. كل هذا وأكثر منه حصل بعد سعي ذلك الحاقد - أسخن الله عينه - في إفساد المودة بيننا. وكنا نعجب بالكوثري لعلمه وسعة اطلاعه وتواضعه، كما كنا نكره منه تعصبه الشديد للحنفية، تعصبا يفوق تعصب الزمخشري لمذهب الاعتزال. حتى كان يقول عنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض: هو مجنون أبي حنيفة، ولما أهداني رسالته « إحقاق الحق » في الرد على رسالة إمام الحرمين في ترجيح مذهب الشافعي، وقرأتها، وجدته غمز نسب الإمام الشافعي، ونقل عبارة عن زكريا الساجي في ذلك. فلمته على هذا الغمز، وقلت له ان الطعن في الأنساب ليس برد علمي، فقال لي: متعصب رد على متعصب، هذه عبارته فاعترف بتعصبه. وزرته مرة ببيته أنا والشريف الجليل السيد محمد الباقر الكتاني، وجرى الحديث بيننا في مسائل علمية، وجاء ذكر الحافظ ابن حجر، فأبدى السيد الباقر إعجابه بحفظه وبشرحه للبخاري. وأيدته في ذلك، فقلل من قيمة شرحه المذكور، وقال: كان يعتمد على الأطراف في جمعه لطرق الحديث - وهذا غير صحيح - وذكر أنه أي الحافظ ابن حجر كان يتبع النساء في الطريق ويتغزل فيهن، وأنه تبع امرأة ظنها جميلة حتى وصلت إلى بيتها وهو يمشي خلفها وكشفت له البرقع فإذا هي سوداء دميمة فرجع خائبا !!! وسر =

على نزول عيسى فى آخر الزمان ، الذى رددت به على الشيخ محمود شلتوت ، قبل أن يراه . مع أنه كان ضنينا جدا بالتقريظ (١) ثم تقدمت لامتحان شهادة العالمية الأزهرية ، ويكون الامتحان فيها فى العلوم السابقة ، مضافا إليها علم الوضع ، وعلم العروض والقوافى ، وعلم الأخلاق . فنجحت وكنت الثالث من ستة نجحوا ، وكان المتقدمون للامتحان ستة وثمانين ومائتين .

= هذه الجملة أن الحافظ كان يحمل على بعض الحنفية فى كتب التراجم ، مثل الدرر الكامنة ورفع الأصر . وقال عن العينى الحنفى : كان يأخذ كراريس من فتح البارى من بعض طلبته ، فيستفيد بها فى شرحه ، فلما علم الحافظ ذلك منع إعطاء الكراريس للطلبة . وأكبر من هذا أن الكوثرى رمى أنس بن مالك رضى الله عنه بالخرف ، لأنه روى حديثا يخالف مذهب أبى حنيفة ، وأقبح من هذا أنه حاول تصحيح حديث موضوع لأنه قد يفيد البشارة بأبى حنيفة . وهو حديث « لو كان العلم بالثريا لتناوله رجال من فارس » فإن الحديث فى الصحيحين بلفظ « الإيمان » . والنبى صلى الله عليه وسلم لما قاله وضع يده على كتف سلمان رضى الله عنه . فغير بعض الوضاعين لفظ الإيمـــان بالعلم ، كما بينه شقيقنا الحافظ أبو الفيض فى « المثنونى والبتار » وقال : لو فرض صحته لم يكن فيه إشارة إلى أبى حنيفة ، ولكن إلى حفاظ الحديث الذين خرجوا من فارس ، مثل أبى الشيخ وأبى نعيم ، لأن العلم فى عرف الشرع يراد به الكتاب والسنة ، لا الرأى والقياس . فتعرض له الكوثرى فى « تأنيب الخطيب » ورد عليه بعبارة فيها جفاء ، فكتب شقيقنا ردا عليه ، جمع فيه سقطاته العلمية ، وتناقضاته التى منشأها تعصبه البغيض ، وقسا عليه بعض القسوة ، وهو مع هذا معترف بعلمه واطلاعه . ولم يقدم الرد للطبع ، احتراما لصداقته . والعالمان المختلفان فى الرأى لا تنفصم صداقتهما ، كالمحاميين يختلفان فى ساحة المحكمة ، ويجتمعان خارجها صديقين . لكن بعض الجهلة مثل ذلك الحاقد ـ أسخن الله عينه ـ اتخذوا هذا الخلاف العلمى سببا لإشعال نار العداوة بيننا . خيب الله مسعاهم ، وردهم خاسئين . رحم الله شقيقنا والكوثرى عالمى عصرهما بدون مزاحم ، وجمعنا وإياهما فى دار رحمته .

(١) وقد ألح عليه الشيخ عبد القادر بن بدران فى تقريظ بعض كتبه كتهذيب تاريخ ابن عساكر ، فامتنع .

وحصلت على الشهادة ، وهى ممضاه باسم الملك فاروق . ورأى المرحوم الكوثرى اسمى فى جريدة الأهرام ، فأسرع إلى بيتى بسوق السلاح ، وكان أول من هنأنى بالنجاح ، وبعد هذا بأيام زرت الشيخ محمود شلتوت فى بيته بدعوة منه ـ وكان إذ ذاك وكيلا لكلية الشريعة ـ فهنأنى بعض الأصدقاء عنده ، فقال له الشيخ شلتوت : نحن نهنى الأزهر والشهادة الأزهرية بحصول الشيخ عبد الله عليها ، وكنت قبل ذلك زرته فى كلية الشريعة باستدعائه أيضا ، ليتعرف بى ، بعد أن قرأ ردودى عليه بمجلة الإسلام ، فى نزول عيسى عليه السلام ، وأحدثت دويا كبيرا فى الأوساط العلمية . وقال لى حين رآنى : كنت أظنك شيخا كبيرا ، لكنك شاب ، قلت : أنا كما يقول المثل العربى : تسمع بالمعيدى خير من أن تره : قال لا أقصد هذا ، وإنما أقصد أن سنك دون مقالاتك التى تدل على علم كبيرا واطلاع واسع ، لا يتأتيان إلا من رجل تقدمت به السن ، مع طول الدراسة . قلت : هذا من فضل الله على ، وكان سنى حينئذ ٣٣ سنة ، ثم نادى على الشيخ محمد المدنى ، وعرفه بى ، وحصلت بيننا مناقشة فى مسائل علمية متعددة . وصارت بعدها معرفة ، على خلاف فى الرأى بيننا . ولما تم طبع « إقامة البرهان » قدمت له نسخة فى بيته ، فكتب ردا عليه بضع مقالات فى مجلة الرسالة ، فكتبت كتابا آخر سميته « عقيدة أهل الإسلام فى نزول عيسى عليه السلام » وطبع ، وقدمته إليه أيضا فى بيته ، فلم يكتب شيئا بعده .

وقد وفقنى الله إلى كتابة عدة مؤلفات . وهى :

اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بسيد الأنبياء — طبع ونفد

الأربعون حديثا الغمارية فى شكر النعم — طبع ونفد

الأحاديث المنتقاه فى فضائل سيدنا رسول الله — طبع ونفد

الأربعون حديثا الصديقية فى مسائل اجتماعية — طبع مرتين

الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء — طبع ونفد

إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان طبع مرتين
وترجم إلى اللغة الأردية .
الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين طبع ثلاث مرات
عقيدة أهل الإسلام فى نزول عيسى عليه السلام طبع
سمير الصالحين ج ١ طبع مرتين سمير الصالحين ج ٢ طبع
حسن البيان فى ليلة النصف من شعبان طبع مرات
فضائل القرآن طبع شرح الآجرومية مخطوط
فضائل رمضان طبع
تخريج أحاديث منهاج البيضاوى فى الأصول طبع
مصباح الزجاجة فى صلاة الحاجه طبع
تخريج أحاديث اللمع طبع
قصة آدم عليه السلام طبع
قرة العين بأدلة إرسال النبى إلى الثقلين مخطوط
قصة ادريس وهاروت وماروت عليهم السلام طبع
خواطر دينية طبع
جواهر البيان فى تناسب سور القرآن طبع
نهاية الآمال فى صحة حديث عرض الأعمال طبع
بدع التفاسير طبع
الحجج البينات فى إثبات الكرامات طبع
واضح البرهان على تحريم الخمر فى القرآن طبع
دلالة القرآن المبين على أن النبى أفضل العالمين طبع

النفحة الإلهية فى الصلاة على خير البرية طبع

شرح وجيز على الارشاد (١) فى فقه المالكية طبع مرات

اعلام النبيل بجواز التقبيل طبع مرتين

الكنز الثمين فى حديث النبي الأمين طبع

هذا سوى ما كتبته من مقالات إذا جمعت جاءت فى مجلد .

ومن تعليقات على كتاب «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» لأبى الشيخ ابن حيان، وكتاب «إعجاز القرآن» للخطابى، والمقاصد الحسنة للسخاوى وكتاب «تنزيه الشريعة المرفوعة» لابن عراق، وتأييد الحقيقة العلية» للسيوطى، ورسائل أخرى له أيضا، وشرح الأمير على مختصر خليل فى فقه المالكية، وغير ذلك. ونسأل الله المزيد من فضله .

ولما ذهبت إلى فاس أول مرة، صعب على العلم، واستغلقت أبوابه فكتبت إلى مولانا الأستاذ الإمام الوالد رضى الله عنه أشكو اليه حالى، وأستشيره فى اتخاذ مدرس خاص يفهمنى الدروس، فأجابنى بألا أستعين بمدرس إطلاقا، وأمرنى باستذكار الدروس والحضور على المشايخ، سواء أفهمت أم لم أفهم؟ وقال لى: العلم لنا مضمون، وعما قريب يفتح الله عليك وكذلك كان، فلم تمر سنة حتى فتح الله علىّ وله الحمد. ثم تاقت نفسى للسفر إلى مصر. وطلبت منه ذلك. قال لى: ستذهب اليها إن شاء الله، ولكن أحب أن تذهب اليها عالما يحتاج اليك علماء مصر .

وقد حقق الله كلامه، فاحتاج إلى منهم كثيرون فى مقدمتهم المرحومون المشايخ بخيت والدجوى واللبان والخضر حسين .

وكذلك حقق الله بشارته لى فى كتاب بعث به إلى وأنا بمصر، قال فيه: ولابد أن تكون عالما كبيرا، ومحققا شهيرا . وقد رزقنى الله والمنة له

التحقيق في علوم النحو والأصول والمنطق والحديث بفنونه الثلاثة ، مع المشاركة التامة في علوم الفقه والبلاغة وغيرها(١) .

وحافظتي قوية والحمد لله . واطلاعي كبير بفضل الله . ولهذا أعجبت بالمرحوم الكوثري الذي كان يرضيني إطلاعه الواسع ، وخبرته التامة بالرجال . ويمكن أن أقول ـ تقريراً للواقع : بعد وفاة سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه وشقيقنا الحافظ أبي الفيض ، والشيخ بخيت ،

---

(١) مع أني لم أتلق علوم البلاغة عن أحد الا مواضع من شروح التلخيص أوضحها لي سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه ، بل عكفت على مطالعة عقود الجمان وشرحه ، والمقامات الحريرية وشرحها للشريشي ، وهي ملأى بأنواع البديع ، ومما ساعدني على فهم علوم البلاغة تمكني في علم العربية الذي يعتبر أساسا لها ومهادا . ودرست الجوهر المكنون للطلبة بالأزهر ، كما ذاكرت لطلبة العالمية بالقسم العالي الأزهر مختصر السعد بحاشية البناني وتقرير الانبابي . ومما يذكر أن بعض أوائك الطلبة رغب إلى شقيقنا الحافظ أبي الفيض أن يذاكر له العلوم المقررة عليهم في الامتحان وهي تفسير النسفي ، والأحكام للآمدي في الأصول ، ومختصر السعد على التلخيص في البلاغة ، والمسايرة في التوحيد ، والخبيصي على تهذيب السعد في المنطق ، فاعتذر له ، وأحاله علي ، فاستقلني في نظره ـ وكنا حديثي عهد بالحضور إلى مصر ، لم يمر علينا فيها أكثر من سنة ـ لكنه اضطر أن يأتي إلي ، فذاكرت له ولإخوانه هذه العلوم في مدى أربع سنوات هي مدة القسم العالي ، وصار من إعجابه بي ، ووثوقه بعلمي ، لايثق بفهمه في أي مسألة حتى يعرضه علي وأوافقه عليه . ودرست لبعض الطلبة الألبانيين الفاتحة وأوائل سورة البقرة من تفسير البيضاوي ، وأوائل شرح التحرير لابن أمير الحجاج في الأصول ، واطلعت من كتب الحديث والأصول والتفسير وغيرها على شيء كثير جدا . وكذلك كتب التراجم والرجال والطبقات على اختلاف أنواعها واستدركت على الحفاظ صحابيا لم يذكروه ، وهو الحارث بن سعيد عم عمير بن سعيد ، وحديثه في مستدرك الحاكم بإسناد صحيح . ولي استدراكات أخرى غيره ، وبالله التوفيق .

والشيخ الكوثرى ، والشيخ محمد الخضر حسين ، لا يوجد عالم يجوز تقديرى ، ويرضى معرفتى واطلاعى . وكنت أعد نفسى ثالثا للكوثرى والخضر حسين لأقول هذا فخراً ، وأى فخر لمن ينتظر الموت بين لحظة وأخرى ؟ وإنما أقوله تعريفا بنفسى واقتداء بيوسف الصديق الذى قال لملك مصر :

(اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم) وتأسيا بعلماء هذه الأمة وصلحائها ، ولا يفوتنى أن أذكر حصولى على اجازات من علماء الحجاز واليمن وتونس وغيرها . وحُج بى وأنا صغير ، حين حجت العائلة ، ثم أديت فريضة الحج سنة ١٣٧٨ وكنت مالكيا ثم صرت شافعيا ، ثم تركت التقليد ، لا إزراء على الأئمة رضى الله عنهم ، ولكن لأن التقليد إنما هو للعوام الذين لا يعرفون قواعد الاستنباط والاستدلال ، ومن عرفها وتمكن فى معرفتها ، لا حاجة به إلى التقليد على أنى لا أفتى إلا على مذهب مالك ، أو الشافعى ، لأنى لا أحب أن أحمل أحدا على اجتهادى ورأيى ، إلا فى مسألة وضح دليلها ، وعرف طريقها .

ورأيت مبشرات متعددة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعه الشيخان وغيرهما ، ورأيت جبريل عليه السلام وأخبرنى أنه جاء من الأبواء .

ورأيت عليا عليه السلام ، ورأيت الحافظ ابن حزم مرات وابن العربى المعافرى ، وعز الدين ابن عبد السلام وحصلت بيننا مذاكرة فى قاعدة علمية والسيد أحمد البدوى رأيته مرتين ، ورأيت أبا الحسن الشاذلى شارح الرسالة والجمل محشى الجلالين ، وجدنا أبا العباس ابن عجيبة ورؤيت لى مبشرات كثيرة ، منها إنى زرت مرة قرية أويش الحجر من جملة زياراتى لها ، وألقيت درسا حديثيا كعادتى مع أهل البلدة ، وانجر الكلام إلى موضوعات متنوعة حتى انتهى إلى أشراف المغاربة وهل هم ينتمون إلى الحسين ؟ فأخبرتهم أن معظم الأشراف عندنا ينتمون إلى الحسن بن على عليهما

السلام ، وقليل منهم ينتمي إلى أخيه الحسين عليه السلام ، وسألوني أن أملي عليهم نسبي فأمليته عليهم ، لأني حفظته وأنا في الكتّاب ، فقال لي الشيخ الحسيني ـ وكان امام مسجد وسط البلد ومعلم القرآن يتبرك به أهل البلد لصلاحه وعزوفه عن الدنيا رحمه الله ـ :

أشهد أنك شريف منسب حقا ، قلت : وما ذاك ؟ قال : رأيت الليلة الماضية النبي صلى الله عليه وسلم وقبلت يده ؛ ووجدت شخصا يقعد بجانبه فسألت عنه ، فقال : هذا ولدي وسيتلو عليك نسبه ، فأصبحت بيننا على غير ميعاد ، وتلوت علينا نسبك .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ٭



فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٤	خطبة الكتاب
٩	مقدمة
١٣	من سورة البقرة
٣٢	» » آل عمران
٣٧	» » النساء
٤١	» » المائدة
٤٢	» » الأنعام
٤٤	» » الأعراف
٥١	» » الأنفال
٥٤	» » التوبة
٥٧	» » يونس
٦٥	» » هود
٦٩	» » يوسف
٧٣	» » الرعد
٧٤	» » إبراهيم
٧٦	» » النحل
٧٨	» » الإسراء
٨١	» » الكهف
٨٤	» » مريم
٨٧	» » طـه
٩١	» » الأنبياء
٩٤	من سورة الحج
٩٦	» » النور
٩٨	» » الشعراء
٩٩	» » القصص
١٠١	» » لقمان
١٠١	» » الأحزاب
١٠٢	» » فاطر
١٠٧	» » يس
١٠٧	» » ص
١٢٠	» » ألزمر
١٢٠	» » غافر ـ فصلت
١٢٢	» » الشورى
١٢٦	» » الزخرف
١٢٨	» » ق
١٣٠	» » الرحمن
١٣١	» » التحريم
١٣٧	» » الملك
١٣٧	» » القلم
١٤٠	» » المزمل
١٤١	» » المدثر
١٤١	» » الإنسان

الصفحة	الموضوع
١٤٣	من سورة النبأ
١٤٤	» » عبس
١٤٥	» » الغاشية
١٤٥	» » الفجر
١٤٧	» » الضحى
١٤٧	» » ألم نشرح
١٤٨	» » قريش
١٤٨	من سورة الفلق
١٤٩	خاتمة
١٥٠	التفسير الاشارى
١٥٢	نبذة جامعة عن التفاسير المشهورة
١٦٣	التعريف بالمؤلف

(تم الفهرس)

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء
الايداع القانوني رقم 1986/166